

كلية الدراسات الإسلامية

والعربية للبنين بدسوق

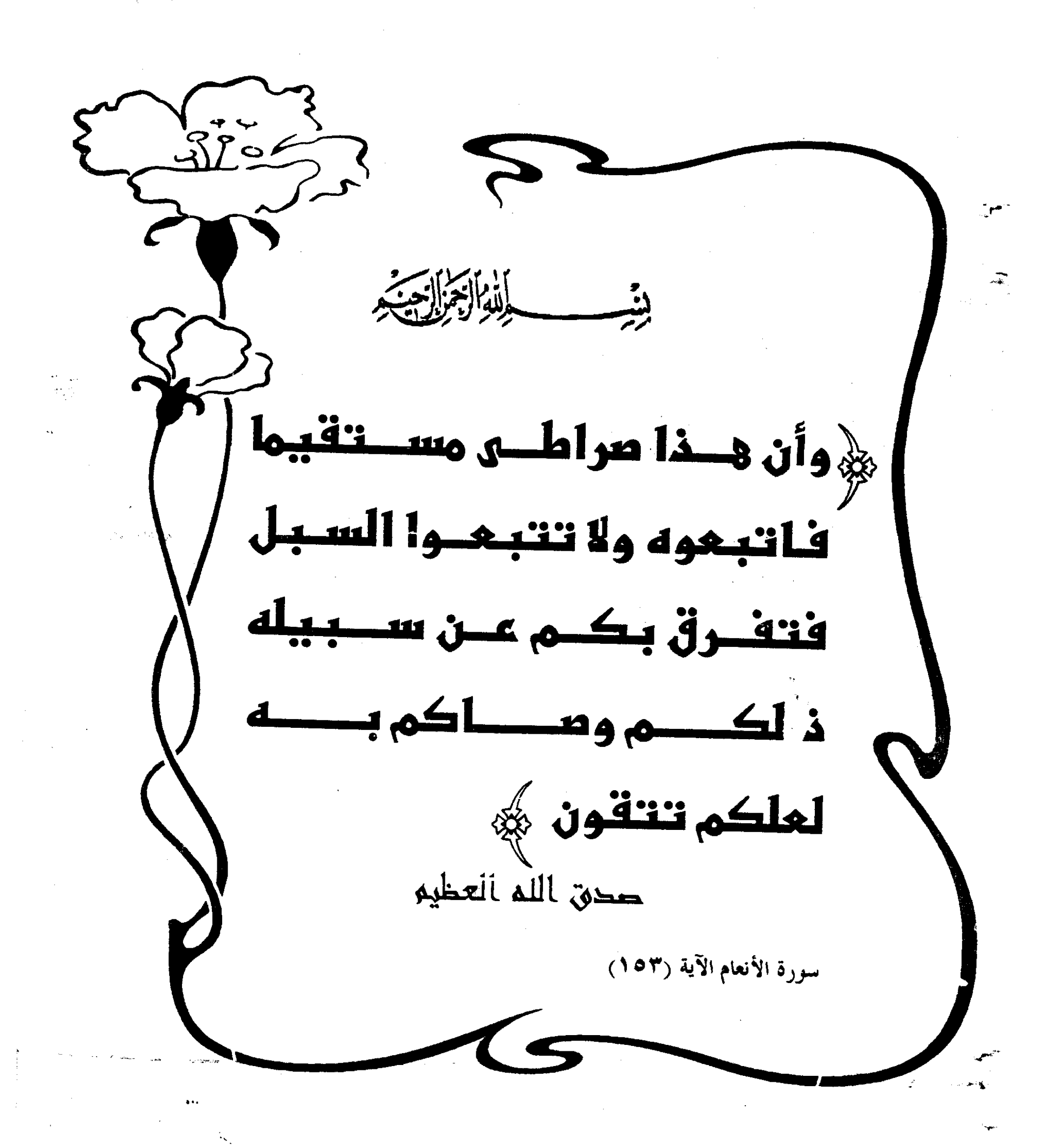
محاضرات في التيارات والمذاهب الفكرية المعاصرة

الجزء الثاني

الدكتور / ثروت حسين سالم

مدرس العقيدة والفلسفة بالكلية

١٤٢١هـ - ٢٠٠١م


بسم الله الرحمن الرحيم
وأن هذا صراطى مستقيما
فاتبعوه ولا تتبعوا السبل
فتفرق بكم عن سبيله
ذلكم وصاكم به
لعلكم تتقون
صدق الله العظيم
سورة الأنعام الآية (١٥٣)

توطئـــــة

إذا كنا قد عرضنا فـــي الجـزء الأول لبعـض التيـارات الإلحاديـة المعاصرة والتي كان لها أثرهـــا السـلبي علـى بعـض المجتمعـات التي لاتدين بـالإ سـلام والتـي لـم يسـلم منـها أبنـاء المجتمـع الإسلامى بشكل مباشر أو غـير مباشـر . فإننـا نشـرع بحـول الله حول بيـان للجـانب الإ يجـابي للمجتمـع المسـلم.والـذي رسم قواعده المولى عز وجل،ووضـح معالمـه النبـي صلـى الله عليه وسلم . هذا المجتمع والذي لم يسـرف فـي إشـباع شـهواته كما رأينا عند فرويد.ولم يـدع إلـى التطـور الحتمـي للكائنـات بقاء للأصلح كما وجدنا عنـد دارو ن.ولـم يجعـل المـال عـدة الحيـاة وأساسها الذي لابد منه فهو غاية الحيـاة وبـه يتمـيز النـاس كما جاء عند الماركسية الزائفة وأرباب المادة .كذلك لـم يـدع الإسـلام للحرب والدمار كما جاء عنـد فلاسـفة القـوة مـن أمثـال نيتشـة وغـيرد ......ألـخ فـهؤلاء كمـا يوصفـون بأنـهم (عبيـد البطون وأسـرار الشـهوات لا يسـتنكفون مـن الدنيـة إذا أعقبـها

عطية ولايخجلون من الفضيحة إناتبعتها رضية لاعلم عندهم بالوقار ولا إحساس لهم بالعار ولم يبلغهم من شر النفس خبر مخبر، ولا وصل اليهم عن الهمة عبارة معبر أو تفسير مفسر . الابن فيهم لايامن آباه .والبنت لا أمان لها من كليهما [1]) ومن هنا فإن هذا الكتاب يأخذ بأيدي الابناء الأعزاء إلى ساحة الإسلام الحقيقة ليعتصموا بكتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم في وجه هذه التيارات الإلحادية التي بات خطرها شائعا.

وقبل أن نشرع فى بيان لهذه ا لايجابيات الإسلامية نحو الدوافع الإنسانية،نطل إطلالة عبرة حول مفهوم الإ لحاد قديما وحديثا

الإلحاد . ترجع الكلمة في اشتفاقتها المتعددة إلى اللفظ لحد . واللحد الشق في جانب القبر والجمع لحود . .واللحد بالضم لغة وجمعه ألحاد .ولحدت الميت جعلته فى اللحد. ولحد الرجل في الدين لحدا وألحد إلحادا طعن .وقال أبو عبيده ألحد إلحادا وجادل ومارى . ولحد جاروظلم. وألحد في الحرم بالألف

---

[1] الرد على الدهريين . جمال الدين الا فغانى نص ٩٠ نقلا عن كتاب الفكر الإسلامي والمجتمع المعاصر د البهي ص ٢١٢

استحل حرمته وانتهكها، والملتحد بالفتح اسم الموضع وهو الملجأ*[**] وقد ورد هذاللفظ فى القران الكريم بصيغ مختلفة تحمل مفاهيم متعددة ومن ذلك قوله تعالى :(ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها وذروا الذين يلحدون فى أسمائه سيجزون ما كانوا يعملون)[*****]والمعنى كما يقول الإمام الفخر الرازى (قال المحققون ، الإلحاد في أسماء الله يقع على ثلاثة أوجه

الأول ، ،إطلاق الأسماء المقدسة الطاهرة على غير الله ،كتسمية الكفار أسماء أصناما لهم باللات والعزى والمناة ، واشتقاق اللات من الإله والعزى من العزيز واشتقاق مناة من المنان ، وكان مسيلمة الكذاب قدلقب نفسه بالرحمن ،

الثاني :-أنهم سموالله بما لا يجوز تسميته به كقول جمهور النصارى ،أب وابن ووح القدس وكإطلاق الكرامية لفظ الجسم

[**] المصباح المنير ، الفيومى ص ٢١٠ ،

[*****] سورة الاعراف الاية (١٨٠)،

على الله ٠٠وقس علــى ســائر الألفاظ المشــعرة بســوء الأدب مــع الله وان صح إطلاقها عليه تعالى كالقول يــا خــالق الديــدان والقرود، بل الواجــب أن يقــال يــا خــالق الســماوات والأرض يــا مقيل العثرات والأولى اتباع المــأثور مــن الدعــاء النبــوى. [*]

الثالث ٠ أن يذكر العبد ربــه بلفــظ لا يعــرف معنــاه ولايتصــور مســماه٠ فإنــه ربمــا كــان غــير لائــق بجــلال الله ومن الذكر الحكيم أيضا قوله تعالى (٠ومن يرد فيــه بإلحــاد بظلــم نذقه من عذاب أليم)[٢] قال المحققون إن الإلحــاد بظلــم عــام فــى كل المعاصي ٠ وإتيانها اشد فــى البقعــة المباركــة٠[٣]ونمضى مــع قوله تعالى أيضا عــن الإلحــاد (إن الذيــن يلحــدون فــي آياتنــا لا يخفون علينــا ٠٠٠٠٠٠) [٣]

يقول أستاذنا الدكتور ٠يحى هاشــم فــر غــل (٠٠ والملحــدون فــى القــرآن حاولوا الطعن فى سلامة النص المو جود بين أيدينا بإدعــاء النقــص فيــه مــن

---

[*] التفسير الكبير • الرازى • الجزء الخامس عشر ص ٧٥ .

[٢] سورة الحج ٠ الآية رقم (٢٥) ٠

[٣] راجع التفسير الكبير الجزء الثالث والعشرون ٠٠ ص ٢٧

[٣] سورة فصلت الآية رقم (٤٠)

هؤلاء منحرفو الشيعة وأصحاب القلوب المريضة منـــهم) [٤]إلـــى جـــانب ذلـــك الشك فيه أدى وقوع الخطافي ترتيبه والخطـــأ فـــى بعـــض قراءاتـــه ،وهنـــاك إلحاد والمجون والخلاعة معاداة للعقيدة وتحديـــا لـــها ومثـــال ذلـــك مـــا نكـــره بعض الشعراء كـــأبي نـــواس ت ١٩٨هـ مـــن ذلـــك قولـــه

يا ناظرا في الدين ما الأمر لاقـــدر صـــح ولا جبـــر

ماصح عندى من جميع الـــذي تذكـــره إلا المـــوت والقـــبر (١):

هـــذا هوحـــال الشـــعراء وان كـــان لـــهم أشـــعار تمتـــاز بـــالورع ....ألـــخ

---

[٤] عوامل وأهداف نشأة علم الكلام فى الإ سلام ،د، يحى هاشم فرغل،ص ٢٤٦ ط، مجمع البحوث الاسلامية ١٩٧٢،

راجع تاريخ بغداد ج٧ ص٤٣٧- ٤٤٧،،

وصدق المولى اذ يقول (والشـــعراء يتبعــهم الغـــاوون٠٠ الم تــر أنهم في كـــل واد يـــهيمون ٠ وأنـــهم يقولـــون مـــا لا يفعلـــون٠ إلا الذيـــن آمنـــــوا وعملـــــوا الصالحـــــات وذكـــــروا الله كثيرا٠٠٠٠٠٠٠)[٢] وقد جـــاء إلا لحـــاد فـــي الســـنة المطـــهرة بمعنى ارتكاب المعاصي وفعـــل الآثـــام ٠ومـــن ذلـــك قولـــه عليـــه الصلاة والســـلام

(أبغض الناس إلي الله ثلاثة ملحد في الحرم ومبتغ في الإسلام ســـنة الجاهلية،ومطلب دم أمري مسلم بغير حق ليريق دمه) وأيضـــا قـــوله عليه الصلاة والسلام (احتكار الطعام في الحرم إلحاد فيه) فالملاحـــدة

البارى سبحانه وتعالى ويزعمون أن الدنيا قديمة لم تزل علـى مـــا هى عليه بلا صانع ولا مدبرلاأول لها ولاآخر ٠وقد ذكر الإمام القرطبى عن الملاحدة (أنهم يقولون بالتناسخ وينفون عـــذاب القـــبر ونعيمـــه) فهولاء الملحدون قد أسرفوا فى أرائهم فانتقلوا من إنكار الصانع تعالى إلى إنكار البعث والقيامة ومافيها ٠كماامتد نظر الفكر الإلحادي إلى عد رسالة الرسل نوعا من العبث ووصفهم بصفات لاتليق بمقـــام النبـــوة

٢- الشعراء، الآية رقم (٢٢٤-٢٢٧) [illegible]

وكلامهم في هذا (إن الرسل أبطنت خلاف ما أظهرت لأجل مصلحة الجمهور) ومن هولاء كما يرى شيخ إلا سلام (ابن تيمية) فلاسفة القرامطة و الإسماعيلية والباطنية وإخوان الصفا ٠٠٠٠٠) على إنه وإن وجد فى البيئة العربية معطلون لو جود الإ له كما ذكر الشهرستانى إلا أن ذلك لا يقدح في كونهم قد عر فوا الإله وأقروا بوجوده كما حكى القرآن الكريم في آيات عديدة منها قوله تعالى (ولئن سألتهم من خلق السماوات والأرض وسخر الشمس والقمر ليقولن الله ٠٠٠٠٠) وقدكان المشركون يعترفون بذلك كما كانوا يقولون فى تلبيتهم :لبيك لاشريك لك إلا شريكا هو لك تملكه وما ملك ٠ وهذه الشبهة هى التى اعتمدها المشركون فى قديم الدهر وحديثه وجاءتهم الرسل صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين بردها والنهى عنها والدعوة إلى إفراد الله وحده لاشريك له وان هذا شي اخترعه المشركون من عند أنفسهم لم يأذن به الله ولارضى به بل أبغضه ونهى عنه كما قال تعالى (ولقد بعثنا فى كل أمة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت فمنهم من هدى الله ومنهم من

حقت عليه الضلالة ٠٠٠٠٠) [١]وقوله تعالى (وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحي إليه أنه لاإله الا أنا فاعبدون)[٢]

الإلحاد في الفكر الأوربي

يتمثل الإلحاد فى الفكر الأوربي في إنكار الألو هية مطلقا اذ يقول نيتشة عن الله (لقد مات الله) كما تشير المصطلحات الأوربية الى نفس الفكرة فكلمة الإلحاد ساوى ٩ = سلب نفى + (ه) ه = إله وهذه المعادلة معناها نفى وجود الاله ٠ولقدتطور هذا المفهوم عبر العصور المختلفة لكنها جميعها قد اتفقت على إنكار كل ما ليقع تحت المشاهدة والحس ومن هذه الفلسفات الإلحادية المذهب الطبيعي ومدرسة التحليل النفسي وفلسفة الوضعية المنطقية ويعتبر أوجست كونت من مؤسسي هذه المذهب الإلحاد ى ولقد صور الحياة بالصورة التجريبية مع ابعاد التفسير الالهى عن الكون والحياة وأيضا نرى أوجست

---

[١] سورة النحل الآية رقم (٣٦)

[٢] سورة الأنبياء الآية رقم (٢٥) ٠

كونت يصور المجتمع تصويرا ميتافيزيقيا فهو واقع تحت المنهج العلمي المبنى على البحث والتجربة وليس محكوما بالدين والفطرة بل ان ظواهر المجتمع مثل ظواهر الطبيعة تماما حيث يمكن تطبيقا للمنهج التجريبي عليها فكان ما كان من قانونه بحالاته الثلاثة فى تطو ر المجتمع المرحلة اللاهوتية ، المرحلة الميتافيزيقية ،المرحلة الواقعية هذه الحالات الثلاث أو قانون تطور المجتمع يعتبر ساريا على كل مجتمع بلا استثناء مع ان الملاحظ وجود مجتمعات جزئية تختلف في طبيعتها على ان منهجه يقوم على أساس من الفروض الفلسفية وليس على العلم والتجربة كما ادعى ذلك .[1] وسار على دربه دور كايم والذي أكد على المنهج الوضعي فىتحديد السلوك والآداب بعيدا عن الدين والأخلاق وأبسط مثال على ذلك أن الإنسان الذي يشارك غيره أفراحه واتراحه إنما الذي دفعه إلى ذلك المجتمع

---

[1] المذ هب الطبيعي :- يقول به النفعيون والبراجماتيون و تقوم فيه الأفعال والمؤسسات بما يمكن أن نستنتجه من أثار من شأنها إسعاد و استمرارحياة من تتناولهم . المعجم الفلسفي عبد المنعم الحنفي ص ٣١٤ -.

[1] اميل دور كايم اد رعبد المعبود سام ص٦ وبعدها .

وليس الدين بما يدعو إليه من خـــلال حميـــدة. كذلـــك بـــدد الرجـــل الكيـــان الأســـرى وفـــى إنكـــاره للديـــن والأخـــلاق .....الـــخ ويمكن إيجاز أقواله الإلحادية فيمـــا يلـــى:-

١- إقامة فكر ينادى بتطور مطلق فـــي كـــل شـــي وإلغـــاء الفكرة التى تنادى بثبـــات الأشـــياء وهـــو المفـــهوم آذى يقـــوم عليه إلا سلام والقائم على إطار من الثوابت فـــي داخلـــه حركـــة وتغيـــير .

٢- الدعوة إلى فكرة القهر الخـــارجي الـــذي يقـــهر الفـــرد على غير رغبة منه وذلك ليلغى مفهوم إلا ســـلام الـــذي ينـــادى بـــل ويقـــوم فـــي مبادئـــه وتأسســـه علـــى الإرادة الفرديـــة والمسئولية الفردية التي يعقبها جزاء الفرد على مـــا قـــدم مـــن عمل وما أدى مـــن أفعـــال .

٣- إنكاره الشنيع لقواعد الأخلاق ومبادئـــها الثابتـــة فـــي نفوس البشر عن طريق الدين الحنيف فتلك هـــي دعـــوة الرســـل وما أقرره الإسلام الديـــن الخـــالد .

٤- إنكـــاره لفطريـــة الديـــن والأســـرة والـــزواج ......ألــخ وبالتــالي الدعــوة إلــى الفوضــى الجنســـية وارتكاب الفواحش ماظهر منها ومـــا بطــن .

٥- القول بتغير القيم الأسرية وتبدلـــها نــاهيك عــن نفــى قداسة الديــن .[1].

٦- تفسير الحياة الإنسـانية تفســير ماديــا بحتــا وتبــدو أصابع الصهيونية من وراء هــذه التيــارات الإلحاديـــة

الشيوعية .

نظام اجتماعي لا طبقى الملكية فيه عالمة والعمل لكل الناس بحسب قدراتهم ولكل فرد نصيب فى الثروة بحسب حاجاته . وتعتبر جمهورية أفلا طون أولى مصنفاتالشيوعية وتتابعت بعدها تصورات الفلا سفة توماس مووتوماسكامبانيلا...... واتفقوا جميعا على أن المنافسة على الملكية أصل الخطيئة والجريمة وأن العالم فيه ما يكفى الجميع من الخيرات لكن اكتنازها من قبل البعض حجبها عن آلا خرين إذن فليست

---

[1]. المرجع السابق ص ٤٢

المشكلة في الا نتاج لكنها فى التوزيع ٠ وتختلف الشيوعية عن الاشترا كية فى هذه النقطة فالا شتراكية تركز على الا نتاج وتنادى من كل حسب قدراته إلى كل حسب عمله وانتاجه بينما توكد الشيوعية على إلا ستهلاك وشعارها من كل حسب قدراته إلى كل حسب حاجاته ٠

*** تقوم الماركسية على دعامتين :- ***

المادية التاريخية فلسفة الماركسية في التاريخ والجانب التطبيقي للمادية الجدلية في مجال الدراسات الا جتماعية وترد حركة لتاريخ إلى تطور قوى وعلاقات الإنتاج في المجتمع وتصفها بأنها الأساس التجريبي الذي يقوم عليه البناء الفوقي القانوني السياسي والذى يتطابق معه الوعي الا جتماع ٠ وهى تعنىان نمو الحياة الا نسانية فردية او اجتماعي يتوقف كله

علـى الظـروف الماديـة والا قتصاديـة وأن نـوع الإنتـاج فـي الحياةالمادية شرط تطور الحياة الا جتماعيـة والسياسـية والعقليـة

المادية الجدلية :- وتعنى أن المـادة هـي كـل الوجـود وتسـمى بالماديـة لأن تصوراتـها وتعليلاتـهالحوادث الطبيعـة وللمجتمـع تفسير مـادي وتوصـف بالجدلية لأن أسـلوبهافى نظرهـا إلـى الأحداث أو ما يسمى منهجـها فـي البحـث والمعرفـة جدلـي . (١)

*** الديـن افيـون الشـعوب ***

عبارة رددها المـاديون ومـن سـار علـى دربـهم وهـى دعـوى متهافتة وذلك لمـايلى:::-

١- لو كان الدين أفيو ن الشعوب لأبقى أوضاع الجاهلية على وضعها لكن الإسلام أعطى للإ نسان طاقات لاحدود لها في كل مشكلات المجتمع فاهتم بالعمل والسلوك القويم والآيات فى ذلك كثيرة فالا نسان لاقيمة له إلا بالعمل وفي هذا الإطار كتب الله الأ جر والثواب للعالمين كما نهاهم عن الربا ووجوهالمختلفة التي دعا إليها الماديون .

---

(١) المعجم الفلسفى عبد المنعم الحفنى ص ٢٩٨ .
راجع الفلسفة الماركسية ص٨ وبعدها .

٢- لا يليق بماركس وأشيا عه أن ينكروا الدين كأول صوت للدعـــوة إلى العدالة بين الناس وأول منظم للمعاملات بين الأفــراد والجماعــات ولو استطردنا لطالبنا المقام ٠

٣- ان على الماركسيين وأعوانهم الماديين ان يرجعوا إلـــى الديــن الإسلامي الذى سلم كتابه من التحريف والتبديل ففيه الحياة المتطــورة الصالحة لكل زمان ومكان كما أن الإ سلام بتعاليمه البناءة قد اشـــتمل على الشرائع السابقة وحواها وصدق المولى عز وجل اذ يقول (شـرع لكم من الدين ما وصينا به نوحا والذي أوحينا إليك وما وصينا بـــه إبراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيـــه ٠٠٠٠٠)

فإذا كانت الأديان السالفة قد اندثرت معالمها بـــالتبديل أو التحريــف لكتبها من لدن أحبارها ورهبانها.فهذا هو الإ سلام بتعاليمه المحفوظــة من قبل المولى عز وجل ٠

٤- إن التاريخ يقرر والشواهد تسجل والأرقام تنطق بأن الدين ارتقت الإنسانية به إلى أسمى مراحل نموها العقلي وألا خلاقي ٠

[illegible]

أولا : غريزة الأمومة

تعتبر غريزة الأمومة من أعظم الغرائز الإنسانية قدرا وذلك لارتباطها بكيان المرء وحياته . فمتى ذكرت الأم ذكر معها أرقى معانى الود والرحمة والحنان ... وسائر المعانى الراقية التى أودعها الله إياها . والأمومة معناها وجود علاقة بين طرفين . أم ووليدها . بينهما تنتشر معانى الحنان والشعور (بالأمن والسعادة مما يساعد على نمو الطفل نموا متكاملا سليما .)[١] .

والأمومة

فقد أعدها الله أعدادا فطريا لتقوم بهذه الرسالة وتحملها حيث جعلها مخلوقا مهيأ لأداء هذه الرسالة العظيمة . كما يسر السبل العديدة من أجل إعدادها لتكون أما فيما بعد . فهى تتحمل المشاق أثناء حملها وكذا فى وضعها وإرضاعها . وقد وصف الله ما تتحمله الأم فى تلك المراحل بالكره مرة وأخرى بالوهن.فقال تعالى (**ووصينا الإنسان بوالديه حملته أمه وهنا على وهن ....**) [٢] .

وقال أيضا (**ووصينا الإنسان بوالديه إحسانا حملته أمه كرها ووضعته كرها وحمله وفصاله ثلاثون شهرا ...**) [٣]

كل ذلك وهى لا تفتر عن حبها ورعايتها لوليدها لينشأ مستقيما صالحا فى مجتمعه فهى (تسعد لنجاحه وتحزن لفشله وتقلق لغيابه وتغضب لأى عدوان يقع عليه.)[٤]

(١) [illegible] ص ٢٧٧ [illegible] ١٩٧٧م

(٢) سورة لقمان الآية رقم ١٤

(٣) سورة الأحقاف . الآية رقم (١٥)

(٤) [illegible] ٢٥٩ مكتبة [illegible] بدون تاريخ

تلك مشاعر فطرية أودعها الله قلوب الأمهات ومن وراء ذلك ثمار عديدة . منها الحب والرحمة ومن خلفهما بقاء النسل واستمرار الوجود . والأمومة تعد تميزا للمرأة عن الرجل فهى من أرقى المعانى الجميلة التى تدع الفرصة للأم فى (الإبداع وتحقيق الذات وأنها الرخصة التى تعطيها حق التمييز وأخذ مكانة خاصة فى المجتمع.) [١]

والأم يرقى إحساسها مع وليدها فهى تتحفه بأرق أنواع الحنان والرعاية فلا شغل لها ولا هم إلا وليدها . فالأمومة تتطور شيئا فشيئا لدى الطفل تجاه أمه . ثم (يرتبط الطفل بعلاقات مختلفة مع البيئة ثم يأتي الحب إنه دافع وسلوك.) [٢]

وهذا الحب يحتاج لفهم وسياسة واعية من الأم تجاه أبنائها فالأبناء يحبون أمهاتهم (متى أحسوا عطفها ومتى عاقبتهم انقلب حبهم كرها . لأن الغرض الشريف من العقوبة التى يوقعونها بهم يدق فهمه على أذهانهم .) [٣]

فالتوافق ضرورى ومطلوب بكل صوره بين الأم وليدها . حتى تحس من نفسها بتلك المكانة السامية ، وهذا يتطلب ثقافة واعية من الأم وعدم حصر فكرها فى دائرة ضيقة فقد إزدادت قيمتها خاصة حين ترى (اعتماد الطفل التام عليها وحبه لها مما يجعل حياته مرهونة بها.) [٤]

ومن هنا كان التلازم أمرا حيويا لأن به تقوى الغريزة بين الأم ووليدها ، ويساعد أيضا على بناء طفلها نفسيا وجسديا . غير أن هناك عوامل تحول دون

---

[١] هموم المرأة – مرفت عبدالناصر . ص ١٣٦ط . مكتبة مدبولى . بدون تاريخ .

[٢] علم النفس طه مزروع ، ص ٢٣٩ .

[٣] الغرائز وعلاقتها بالتربية ، محمد حسنين العمراوى ، ص ١١٩ .

[٤] أصول علم النفس أحمد عزت راجح . ص ١٢٢ .

إحساس الأم بمكانتها ورعايتها لوليدها وربما تفقدها الحنان تجاه ابنها وتؤدى لآثار جانبية أخرى خطيرة منها :-

أولا : البعد الأسرى أو الحرمان العائلى :-

يتمثل هذا البعد فى الجفاء وحرمان الطفل حنان أمه ورعايتها له ، فبدلا من تربيته فى كنفها وظلها إذا بها تودعه إحدى دور الحضانة لتقذف به فى (عداد المساكين إلى المحاضن التى يصطدم نظامها بنظام فطرة الطفل وتكوينه النفسى فتملأ نفسه بالعقد والاضطرابات.) [١] . إذ من المعلوم أن الأم أعلم بحال ابنها من غيرها ولا يكون ذلك إلا بالالتصاق الكلى والجزئى للطفل بأمه . وهذا راجع إلى أن هناك عادات ووظائف (أساسية فى التنشئة الأولى هى من صميم عمل الأم وذلك مثل عادات الإخراج (التبول والتبرز) والنظافة والطعام .) [٢]

والطفل وإن لقى رعاية فى تلك الأماكن إلا أنها لا تمثل الجانب الأكبر فى تكوينه نفسيا واجتماعيا . وليس هناك من يزعم أن حنان المربية كحنان الأم ورعايتها . وقد انتهت أبحاث التربويين إلى أنه لكى يكون النمو سليما يجب (أن يعيش الطفل فى الحضانة الطبيعية بين عاطفة الأم الحنون ورعايتها وبين إشفاق الوالد الرحيم ورعايته وتربيته.) [٣]

وهذه الحضانات وإن قامت على خدمة الطفل ورعايته كما علمنا ،إلا أنها لاتعطى إحساسا للأم بدورها ويخلف ذلك نوعا من أنواع الحرمان . كذلك (لا توجد

---

[١] فى ظلال القرآن . سيد قطب ص ٣٣٥

[٢] علم النفس [illegible] النمو . ص ١٣٣ .

[٣] علم النفس التربوى فى الإسلام ، يوسف القاضى ، ص ١٠٠

امرأة تستطيع أن(تعطى حنانها واهتمامها لمائة طفل . فإنهـــا إذا أعطـت الاهتمـــام لطفلين أو ثلاثة فإنها ستهمل باقى الأطفال.) [١]

وهذا أمر بدهى لايحتاج إلى بيان يعلمه من له أدنى عقل أو ذاق طعم الأمومة .

ثانيا : الصراعات الأسرية :

تؤثـر الصراعــات الأســرية علــى شــخصية الأم تجــاه وليدهــا فغالبـــا ما (يشب الشجار بين الأبوين فيحدث الصراع والذى له أثره على شخصية الأطفـــال فيما بعد.) [٢]

وربما تركت الأم طفلها لخلاف مع الأب ويكون الضحية الأبن . كذلـــك تؤثـــر حالات الحرمان الأبوى على الأم وذلك عند الطلاق،فهى تؤثر على مشـــاعرها وكـــذا على طفلها . فقد يضم الوالد أولاده وتبقى الأم وحيدة فريدة ، وربما تلقى بأولادهـــا بعيدا عنهالتتزوج من أخر.وهكذا تؤدى التفككات الأسرية لضياع أرقى معانى الأمومة ناهيك عن ضياع الأبوة. فالعيش فى جو يسوده الجفاء أو الشجار بين الوالديـــن أو الأحوال الاقتصادية يؤثر تأثيرا سلبيا على مكانة المرأة كوالدة لاحاضنـــة. [٣] وفـــى هذا المقام نتذكر " خوله بنت ثعلبة " رضى الله عنها . وشكواها لرسول الله صلـــى الله عليه وسلم عندما وقع الظهار عليها من زوجها وخوفها مـــن ضيـــاع أولادهـــا وفقدانهم للحنان والرعاية بسبب التمزق الأسرى بين الأب والأم فجـــاءت قائلـــة بأرسول الله إن (أوسا تزوجنى وأنا مرغوب فى.فلما خلاسنى وكثر ولدى جعلنى كأمه . وإن لى صبية صغارا إن ضممتهم إليه ضاعوا وإن ضممتهم إلى جاعوا.) [٤]

---

(١) المرأة . محمد متولى الشعراوى . ص ١٧ . ط أخبار اليوم . ١٩٩٠ م .

(٢) علم نفس النمو . محمد أحمد سلامه ، ص ١٣٦ .

(٣) نفسه ، ص ١٥٢ .

(٤) التفسير الكبير ، الرازى ، الجزء التاسع والعشرين ، ص ٢٥٠ ، دار الفكر ، ١٤١٥هـ – ١٩٩٥م .

وهذا يستدعى لفوره خلق بيئة سليمة تتاح فيها الفرص لتهيئة الأم من أجل تربية الأبناء بحيث (يستفاد من إمكانيتهم وطاقاتهم فى خدمة المجتمع.) [1]

إذن الأم تورث أبناءها الميول والاستعدادات الأخلاقية فضلا عن الصفات الأخرى المكتسبة والتى تحتاج لوعى ثقافى .

رابعا : الوعى الثقافى:

تعتبر العملية الثقافية من المصادر المهمة فى تنمية الأم كمربية . فالأم التى تفقد مشاعر الأمومة وواجباتها تؤثر سلبيا على أولادها . إذ لايقف الأمر عند حد الرضاع كعمل للأم بل يتعدى دورها إلى ما هو أبعد من ذلك. إنها تغرس أسمى المعانى الإسلامية فى نفسية أبنائها بمعالجة الأمور الشاذة فى سلوكهم ولا تتم مثل هذه الأمور إلا بالتثقيف المبكر للبنت بدلا من جهلها . مع (تبصيرها بطبيعة الانفعالات النفسية أو الاضطرابات الجسدية ...) [2]

فما يحدث للأم يتطلب ثقافة وما ينتج عن اتجاهاتها بعد الولادة يتطلب أيضا ثقافة وما ينتج عن اتجاهاتها بعد الولادة يتطلب علما . والخلاصة إن بنت اليوم هى أم المستقبل وعليه يجب تثقيفها بتعليمها شئونها الخاصة . وعلى الأبوين الجانب الأكبر فى ذلك . فالأم إذا (زرعت فى قلب ابنتها الشجاعة والثقة بالنفس وأفضت إليها بخبرتها فى الحياة الزوجية،ووصفت تجربتها فى الحمل والوضع فى صدق وأمانة ودون مبالغة أو تهويل منها،بذلك تكون قد قضت على الخوف والرهبة من المجهول الذى لا تعرفه الأبنة بعد ...) [3]

---

(1) علم نفس النمو . ص ١٣٣

(2) التربية عبر التاريخ . عبدالله عبدالدايم . ص ٤٨٥ ، ط دار العلم للملايين ، السادسة ، ١٩٨٧ م .

(3) الحمل والاحساس بالأمومة . أحمد السيد طويل . ص ٤٨ ، مجله العربى ، العدد (٣٠٤) مارس ، ١٩٨٤م .

هذا التعبير الدقيق من خولة رضى عنها يوقفنا على مدى شفقة الأم ورعايتها وخوفها على ضياع أسرتها . وأيضا يبرز لنا أن الأبوين يشكلان بناءا متكاملا للأسرة متى غاب أحدهما اختل البناء-ومن هنا كانت رحمة الله بعباده حيث نزل قرأنا يتلى فيها إلى يوم الدين يبين كفارة الظهار . وفى هذا حل للمشكلة من الله تعالى حيث يقول (**والذين يظاهرون من نسائهم ثم يعودون لما قالوا فتحرير رقبة من قبل أن يتماسا ذلكم توعظون به والله بما تعملون خبير . فمن لم يجد فصيام شهرين متتابعين من قبل أن يتماسا فمن لم يستطع فإطعام ستين مسكينا ذلك لتؤمنوا بالله ورسوله وتلك حدود الله وللكافرين عذاب أليم**) [1]

والخلاصة إن الصراعات الأسرية تؤدى فى النهاية إلى هدم هذا البنيان الشامخ الذى ربط بينه سبحانه وتعالى برباط قوى متين وهو عقد الزواج .

ثالثا : الانحرافات الأبوية :

تؤثر الانحرافات الشاذة للأبوين على العلاقات الأسرية خاصة كمربيين فاضلين تجاه أبنائهما . فإن الأم تفقد دورها ولاتنال من وراء انحرافها إلا خلق جيل من المشردين ممن فقدوا حنان أمهاتهم وعطف أبائهم . ومن هنا لا تجد الأم فرصة كافية لترعى وليدها وبالتالى فهى لاتعطى الحنان المطلوب منها تجاه أبنائها بل إنهم يشبون منحرفين مثلها بدلا من تدعيم السلوك السليم. فكيف نزيل ما بنفس الطفل إلا بالتربية المبكرة ؟. [2]

---

[1] سورة المجادلة الآيتين رقم (٣ ، ٤) .

(٢) راجع أصول علم النفس أحمد عزت ، راجع ص ١٢٦ .

ومثل ذلك أيضا فى تربية الأبن وتبصيرته بالحياة وما يفيد فيها . وبهذا الإطار يتشكل المجتمع من آباء صالحين-إنهم لبنة صالحة فى بناء المجتمع الصالح كما ذكرت سابقا . ويتشكل كذلك من أمهات صالحات مثقفات ولسن بالمتعلمات فحسب ، ومن ثم تتوالى الأجيال الواعية.وهذا التثقيف المشترك من الأبوين وكذا جهات التعليم هو من النعيم الذى سوف يسألون عنه يوم القيامة . فإن الله سائل كل راع عما استرعاه . ويكفى أن أول آيات القرآن الكريم نزولا حثت على العلم والتعلم والبعد عن الجهل الذى يؤدى لطمس معالم الحضارات والقضاء على المجتمعات. وفى هذا نقرأ قوله تعالى (**اقرأ باسم ربك الذى خلق . خلق الإنسان من علق . اقرأ وربك الأكرم. الذى علم بالقلم. علم الإنسان ما لم يعلم.**) [1]

خامسا : الإجهاض :

من العادات السيئة التى يجب التخلص منها الإجهاض إنه عبارة عن محاولة بعض النساء إسقاط أولادهن تهربا من ظهور الحمل عليهن -أو تهربا من المسئولية. فتضطر لإسقاط وليدها وبذلك تقوم بقتل النفس التى حرم الله قتلها إلا بالحق . فضلا عن الشواذ من النساء ممن ارتكبن جريمة الزنا . وعليه فالإجهاض هو محاولة لعدم إتمام الحمل. وقد تصيب بعض النساء بأرق نفسى وجسدى . وإذا ما تم الحمل رغم أنفها فإنها لاتزال تذكر موقفها مع السقط فضلا عن وجود الجفاء المتبادل بين الأم ووليدها ، وهو بلا شك يقتل تلك الرحمة التى أودعها الله إياها . ولقد أثبتت الأبحاث العلمية (أن الأطفال الذين تم حملهم تحت ضغط وحاولت أمهاتهم إجهاض أنفسهن كن أقل تكيفا مع الحياة بالقياس مع الأطفال الذين تم حملهن برضا واختيار.) [2]

---

[1] سورة العلق . الآيات : (١ - ٥) .

[2] يراجع . علم نفس النمو . محمد أحمد سلامه ، ص ٢١٨ .

وصدق الله تعالى إذ يقول (**ولا تقتلوا أولادكم خشية إملاق نحن نرزقهم وإياكم إن قتلهم كان خطئا كبيراً ..**) [١]

فمحافظة الأم على وليدها تضفى عليها بهجة وأمانا فما أشفقها على ولدها . وما أقربها منه ولا شك أن هذا (النبع الانفعالى المتدفق فى تكوين المرأة هو الـــذى يجعلها صاحبة الحق الأول فى إرضاع وليدها وفى حضانته.) [٢]

والإسلام هو العلاج الأمثل لمثل هذه الحالات إذ ثبت أن القلة هى التى تفقــــد صوابها فى جو عدم فيه الإيمان . كما كان يفعل أهل الجاهلية قبل الإســـــلام ولـــذا يكون السؤال يوم القيامة عن المؤدة فى قوله تعـــالى (**وإذا المؤدة سئلت. بأى ذنب قتلت.**) [٣] ولا جواب !

سادسا : الرضاعة وظيفة الأم:

حرص التشريع الإسلامى على إبراز معانى الأمومة عند الأم فقد أمرها الحق سبحانه وتعالى بإرضاع وليدها لمدة عامين كاملين لمن أرادت إتمام الرضاعة . فيها تسعد الأم بطفلها بضمه لصدرها وتدفق الحنان الإلهى لبنا خالصا لمولودها بقدرتـــه تعالى ، والرضاعة تعتبر من أهم العوامل الرئيســـية فـــى تكويـــن البنـــاء النفســى والجسدى للأطفال فضلا عن تضمنها حنانا داخليا ولغة مشتركة بيـــن الأم ووليدهـــا. ومن فضل الله يتدفق هذا اللبن فور خروج الطفل للوجود فى صدر الأم . والإســــلام كمنهج له أثره الذى هو نبراس للأمهات عبر العصور وعبر الأيام . نراه قد أرشــــد النساء إلى الرضاعة وحدد المدة كما علمنا . لما للبن الأم من الفوائد الجمـــة وقـــد (رجع العلماء نزوله لهرمون البرولكتين المعاصر لنشاط نزول اللبن لدى الأم .) [٤]

---

(١) سورة الإسراء ، الآية رقم (٣١) .

(٢) لمحات نفسية فى القرآن الكريم ، عبدالحميد الهاشمى ، ص ١٨٤

(٣) سورة التكوير . الآيتين رقم (٨ ، ٩) .

(٤) المرجع إلى علم النفس . سعد جلال ص٤٥ ط دار المعارف ، ١٩٨٥ م

وهذا من فضل الله حيث يقول تعـــالى (**والوالدات يرضعن أولادهن حولين كاملين لمن أراد أن يتم الرضاعة ....**)[١]

وكلما اقترب الطفل من والدته كان ذلك أدعى لإزالة الحواجز النفسية التى قد تنتج لبعدها عن وليدها وعدم إرضاعه بنفسها . وكذلك قرر الإسلام أحقية المرأة فى طلب الاسترضاع لابنها من غيرها . فقال تعالى (**وإن أردتم أن تسترضعوا أولادكم فلا جناح عليكم ...**) [٢]

وقد كان عرب الجاهلية يسترضعون أولادهم فى البادية مقابل الأجر حرصـــا منهم على تقوية أبنائهم وتنشئتهم على حياة الجلد والصبر.وقد كان استرضاعه عليه الصلاة والسلام فى بنى سعد كما نعلم من السيدة حليمة السعدية رضى الله عنهـــا . ولم يكتف الإسلام بالأمر بالإرضاع من جانب الأمهات فقط بل بين ما يترتب عليه من محاذير شرعية فيما يتعلق بالإرضاع من الغير خاصة إذا التقى الطفـــلان أو البنتـــان على ثدى واحد.إذ تكون وشيجة القرب حاصلة بينهما . لذا أرشد الإسلام إلى حرمـــة الزواج فلا تحل له ولا هو يحل لها وفى هذا يقول عليه الصلاة والسلام (يحرم مـــن الرضاعة ما يحرم من النسب.) [٣]

وفى هذا المقام نرى آية طويلة من كتاب الله فيها يبين تعالى المحرمات حيث يقول الله تعالى فيهـــا (**حرمت عليكم أمهاتكم وبناتكم وأخواتكم وعماتكم وخالاتكم وبنات الأخ وبنات الأخت وأمهاتكم اللاتى أرضعنكم وأخواتكم من الرضاعة ....**)[٤] فلا يصح التزاوج بين من التقيا على ثدى واحد ، ذلك لأن المرضعة

---

[١] سورة البقرة ، الآية رقم ٢٣٣ .

[٢] سورة البقرة ، الآية رقم ٢٣٣ .

[٣] أخرجه مسلم فى صحيحه . شرح النووى ، كتاب الرضاع ، الجزء العاشر ، ص٢٢ ط دار الريان الأولى ، ١٩٨٧م .

[٤] سورة النساء . الآية رقم (٢٣) .

نزلت من الله تعالى منزله الأم (**فتحرم على المرضع وكل من يحرم على الأبن من قبل أم النسب .**) [١]

وعبثا ما تفعله بعض الأمهات حيث يلجأن لإرضاع أولادهن لبنا صناعيا مع توافر لبنهن حتى لا يتعرضن للضرر من الإرضاع . وهنا تنشأ الجفوة والبعد بين الأم وولدها ، وتبدأ ملابسات الأمومة تزول شيئا فشيئا . فلم يك رحمها إلا وعاء حمل فقط ، وقد أثبت العلم الحديث ما للبن الأم من فوائد جمة خلاف الغذاء ، وعلى رأسها أنه لبن يعطى الوليد مناعة وحصانة طوال حياته. وأن البعد عن ذلك كان سببا في حصول أمراض عند بعض الأطفال . هذا عن الولدان . أما الأمهات فيصبن بأمراض شتى منها سرطان الثدى وهى نسبة (ترتفع فى المجتمعات المترفة اقتصاديا ، وتقل تدريجيا حسب الانحدار الطبقى لمستوى المعيشة ، وبدهى أن السبب هو عزوف نساء الطبقات المترفة عن الرضاعة . إذ يؤدى إلى تعطيل الأثداء عما خلقت له .)[٢]

وتلك جوانب سلبية لعدم الإرضاع . وإلى القارئ الكريم بعضا من الفوائد التى تعطيها عملية الرضاعة الطبيعية والتى ركز عليها جماعة من الباحثين. فمن تلك الفوائد العديدة التى تعطيها الرضاعة الطبيعية (أن لبن الأم طبيعى ملائم وكاف لسد احتياجات المولود إذ يحتوى على نسبة معتدلة من البروتين . كما يحتوى على حبيبات دهنية صغيرة سهلة الهضم . يهضم بالكامل وبالتالى فطاقته الحرارية مرتفعة ؛ وفى نفس الوقت لايؤدى إلى السمنة ؛ كما أنه معقم إلهيا بعيدا عن التلوث بالميكروبات الضارة ....) [٣] فجميع العناصر الغذائية التى يحتاجها الرضيع يحويها لبن الأم . ويظل الطفل يتمتع بتلك النعم الربانية حولين كاملين يتكامل فيهما نفسيا

---

[١] بداية المجتهد ونهاية المقتصد . ابن رشد ، تحقيق محمد سالم محيسن . شعبان محمد ، الجزء الثانى ، ص ٤٠ ط مكتبة الكليات الأزهرية ، ١٩٧٠م .

[٢] الطب الوقائى فى الإسلام . عمر بن محمود بن عبدالله ، ص ٢٣ ، ط دار الثقافة الأولى ، ١٩٩٠ م .

[٣] كيف نربى أولادنا إسلاميا ؛ محى الدين عبد الحميد ؛ص ٦٧ ؛ ط مؤسسة بدران الاولى ١٩٩٧م.

وجسديا من هذا الغذاء الربانى . ومن هنا نرى التوجيه الربانى تقوية لتلك الغريـــزة وتشجيعها للأم لإظهار مواهبها كأم ومربية ؛ فكان التشـــريع الإلهـــى واضحـــا فـــى التشجيع على إرضاع الأم لوليدها إذ جعل للإرضاع (حافزا ماديا. فجعل لـــلأم حـــق النفقة لإرضاع طفلها فى حالة انفصالها عن زوجها وذلك حتـــى يـــأخذ الطفـــل كـــل احتياجاته من الغذاء اللازم له.) [1]

وفى هذا نقرأ قوله تعالى (.. وإن كن أولات حمل فأنفقوا عليهن حتى يضعن حملهن فإن أرضعن لكم فأتوهن أجورهن واتمروا بينكم بمعروف ....) [2]

هذا هو شأن الإسلام فى المجال التربوى لتلك الغريزة . فإذا كانت الأم لديهـــا من أعذار تستدعى بعدها عن الإرضاع فالأبوين أن يســـتاجرا مرضعـــة غـــير الأم الواضعة حتى تتواصل المسيرة الوالدية ؛ ويكون الاسترضاع أمر حتميا . وهنا لابـــد من اختيار المرضعة الأمينة صاحبة الخلق. ذلك لأنها تصير أما للمولود فيمـــا بعـــد ويتأثر بها الوليد وبكل ما يحدث لها من انفعالات وتوترات عصبية. فيجب أن تكـــون المرضعة (جيدة الصحة . حسنة المزاج . هادئة. فإن العنف والانفعالات والكدر كلها أمور تفسد اللبن . وإذا قصرنا اهتمامنا على الجسم فقط لم نحقق إلا نصف هدفنـــا . فقد يكون اللبن جيدا والمرضع سيئة فحسن الطبع ضرورى كحسن التكوين...) [3]

ولما كان اللبن كما ذكرت يقوم عليه بنيان الإنسان،والإسلام يريد ذرية قويـــة طيبة فقد عدل عن المرضعات اللاتى يرضعن أولادهن وهن يأكلن الحرام فكـــل لحـــم نبت من حرام فالنار أولى به . من هنا كانت نصيحة علمـــاء الإســـلام وصلحـــائهم. ونرى فى هذا الشأن كتابات طيبة ووصايا جيدة ولنأخذ على ذلك مثلا . فقـــد سطـــر

---

(١) كيف نربى أولادنا إسلاميا . ص ٦٩.

(٢) سورة الطلاق الاية رقم (٦).

(٣) علم النفس التربوى فى الإسلام - يوسف القاضى - مقداد الجن - ص ٩٧. ط دار المريخ - ١٩٨١م

الإمام الغزالى كلمته فى هذا الأمر وبين أن الإرضاع لايكون إلا من (امرأة متدينـــة تأكل الحلال . فإن اللبن الحاصل من الحرام لابركة فيه . فإذا وقع عليه نشوء الصبى تعجنت طينته من الخبث فيميل طبعه إلى ما يناسب الخبائث .) [١]

كما ذكر نحو هذا الكلام الطيب* الشيخ محمد عبده* فى تفسيره حيث يقول (إن لبن المرضع يؤثر فى جسم الطفل وفى أخلاقه وسجاياه ولذلك يحتـــاج فـــى اختيـــار المراضع ويتجنب استرضاع المريضة والفاسدة الأخـــلاق والآداب ..) [٢] ذلـــك لأن الطفل عندما يتناول الثدى وهو لايدرى شيئا عن مصدر غذائه ثم يشب فيرى ما كان عليه* أصله التكوينى . فإما أن يصاب بالعقد النفسية ويتمنى عدم وجوده من قبـــل . وإما أن يمضى مع هذا التيار وتصير حياته هباء منثورا .

والأم بإرضاعها ولدها تقوى فيه الإرادة والصبر لأنه يتغذى على فترات ؛ إنه يتعلم الصبر حيث يعلم (أنه ليس كل ما يرغب فيه فى أى وقت يستجاب لرغبته ومن ثم لاينتظر ذلك من المجتمع عندما يخرج إليه فيما بعد.) [٣]

وبذلك تكون الأمومة تنظيما لحياة الأفراد وتقديرا لأوقاتهم خلال عامين . إذ تقوى العاطفة ويزيد (الإحساس الصادق بتلك الغريزة فهى وظيفة الأمهات فإن لـــم يؤدين وظيفتهن ترتب على ذلك كل النتائج الضارة.) [٤]

فالتفاعل مستمر بين الأم ووليدها (بالالتمـــاس الجســـدى المبكـــر بينهمـــا والمواظبة على ذلك يعمق الروابط بين الطرفين مثل إدامة النظر إليه وتقبيلـــه.) [٥] أيضا يشكل الأبوان وحدة متكاملة فى تربية الأطفال . فالأم تقدم فى أمور وكذا

---

[١] إحياء علوم الدين – الجزء الثالث – ص ٣٠٥.

[٢] تفسير القران الحكيم –(المنار) محمد عبده – تأليف محمد رشيد رضا – الجزء الثانى – ص ٤١٦ ط د. المنار ١٣٦٧هـ.

[٣] علم النفس التربوى فى الإسلام ؛ ص ٩٨.

[٤] المرجع السابق ؛ ص٩٩.

[٥] الآباء وتربية الأبناء ؛ محمد عبد الرحيم ؛ ص ٢٠ ، ط دار الفكر الأولى ١٩٩٥ م.

الأب . وكل مهيأ لما خلق له . فالنساء (أعرف بالتربية وأقدر عليها وأصبر وأرأف وأفرغ لها لذا قدمت الأم فيها على الأب. ولما كان الرجال أقوم بتحصيل مصلحة الولد والاحتياط له في البضع قدم الأب فيها على الأم .)[1]

فللرجل القوامة وللمرأة الرعاية،والأب يمثل تكامل البناء السليم لأولاده فهو في نظرهم(الحارس وكذا الحافز والمانح والمربى والعالم بكيفية الشعور الداخلى بمسئوليته هذه وقوة وجدانه العاطفى للقيام بهذا الدور.)[2]

سابعا : الحضانة ودور الأم التربوى

وننتقل من مرحلة الرضاعة إلى المهمة الشاقة الأخرى ألاوهى الحضانة والتى تقدم فيها الأم على الأب لأنها (أرفق بالطفل وأخبر بتربيته وأصبر على ذلك.)[3] كما علمنا سابقاولقد مر من قبل السلبيات التى تتعرض لها بعض الأمهات وتؤثر على حياتها الاجتماعية كأم ومربية أجيال . وهنا نتكلم بالتفصيل عن دور الحضانة فى الإسلام فنقول . لقد حث الشارع الحكيم على ضم الولد لأمه وذلك لينشأ نشأة صحيحة . ولتربية الطفل فى أحضان الأم من الفوائد العديدة والتي تؤثر فيما بعد على شخصية الطفل مستقبلا . فإذا ما أهملت الأم أبناءها ؛ وترك الوالد أولاده يسعون فى الأرض بلا رقيب ولا ضابط فلا يأمن فيما بعد أن يرى ابنه سارقا أو قاطعا لطريق إلى غير ذلك من المساوىء . فالأم تحس بشخصيتهامتى ضمت طفلها إليها وراقبت حركاته وتصرفاته.وللحضانة الصناعية عواقبها الوخيمة. ولنا أن نأخذ مثلا حيا على ذلك . فقد كانت روسيا من أكثر الدول تحمسا لذلك ثم عدلت عن اتجاهها (وبدأت تشجع الأبوة والأمومة وتمنح المرأة التى لها أولاد مزايا وحقوقا ؛ وبدأت

---

[1] زاد المعاد . ابن القيم ؛ ص ١٧١ ؛ الجزء الرابع ؛ ط دار عمر بن الخطاب ؛ بدون تاريخ .

[2] الآباء وتربية الأبناء ؛ ص (١٩).

[3] زاد المعاد . الجزء الرابع ؛ ص ١٧٢.

الصحافة تتكلم عن لذة الحياة العائلية ودورها البطولى فى تنشئة الأطفال وتربيتهم .) [١]

هذا كله بعد أن فشلت وعانت وقاست من جراء تطبيق النظام الشيوعى الذى يمنع حضانة الأطفال فى أحضان أمهاتهم - فالطفل بالنسبة لوالديه يعد السعد الأول والساعد المعول عليه فيما بعد فهو خير ميراث لهما بعد وفاتهما. وعليه فالحضانة الطبيعية هى التى تشكل الطفل تشكيلا سليما يضفى حياة سعيدة على الأسرة كلها لما كابدته من تعب وضيق خاصة فى المراحل الأولى من تربية الطفل. ونلمح ذلك عندما جاء إلى النبى صلى الله عليه وسلم سائل يقول (من أحق الناس بحسن صحابتى ؟قال أمك ؛ قال ثم من . قال أمك . قال ثم من.قال أمك.قال ثم من.قال أبوك.) [٢]

فالأم بالنسبة للتربية تقف على أمور عديدة لايقف عليها الرجال إذ تقوى عاطفتها دوما وتشغل غريزتها دائما . فهى تتألم لبكاء ابنها ؛ وتستطيع أن تقف على سبب امتناعه عن الرضاع إلى غير ذلك من الأمور العديدة.وهى تقوم بمثل هذه الأمور وهى فرحة سعيدة تعطى الحنان والرعاية لطفلها أكثر من غيرها . وقد سجل الإسلام وعيده وتحذيره لكل من فرق بين والدة وولدها.فقال عليه الصلاة والسلام (من فرق بين والدة وولدها فرق الله بينه وبين أحبته يوم القيامة.) [٣]

ومن الآثار السلبية لهذا الأمر ما حدث فى أمريكا حيث كانت (إحدى المربيات تداعب الطفل فى فرجه بحذائها المدبب المرتفع كل يوم ، وشب الطفل وبدأت تظهر عليه علامات الإثارة والانفعال كلما رأى امرأة تلبس حذاء يشبه حذاء المربية. وبعدالتحليل النفسى توصلوا إلى معرفة السبب.) [٤] وهذا يوقفنا على مدى أهمية التربية المبكرة والتنشئة الصحيحة فى ظلال الأم الواعية .

---

(١) علم النفس التربوى فى الإسلام ص ١٠١

(٢) أخرجه مسلم فى صحيحه شرح النووى ، كتاب البر والصلة باب بر الوالدين ، الجزء السادس عشر ، ص ١٠٢

(٣) أخرجه أحمد فى مسنده ، عن أبى أيوب ، الجزء الخامس ص ٤١٣ ط المكتب الإسلامى

(٤) الطب الوقائى فى الإسلام ، عمر بن محمود ، ص ١٤ ، ط الطبعة الأولى ، ١٩٩٠م

بعض القصص القرآني الهادف في إبراز مكانه الأمومة .

حرص التشريع الإسلامى على إبراز دور الأم ورعايتها لأطفالها ومدى حبها وحنانها على قرة عينها عن طريق إبراز القصة القرآنية . وكذا السنة النبوية المحكية عنه عليه الصلاة والسلام وعن غيره من أنبياء الله الكرام ، وإليك بعض الأمثلة من أصدق الحديث وأعظم كلام نزل على الأرض .

أولا : قصة موسى عليه الصلاة والسلام:

أمر الله تعالى أم موسى أن تلقى وليدها فى اليم حتى يغيب عن أعين فرعون الطاغية ، وهى تعلم مدى المخاطر التى سوف يتعرض لها وليدها . لكن حنانها كان نداء ودعاء وتوجها إلى الله تعالى أن يحفظ موسى عليه الصلاة والسلام . وقد بشرها الله تعالى بنجاة ابنها وكونه من المرسلين فى قوله الصدق **(وأوحينا إلى موسى أن أرضعيه فإذا خفت عليه فألقيه فى اليم ولا تخافى ولا تحزنى إنا رادوه إليك وجاعلوه من المرسلين .)** [١] لكن الأم بقلبها العطوف مع هذا لم يهدأ روعها ولم تغمض جفنا فطلبت من أخته البحث عنه وتتبع أثره . قال تعالى حاكيا لهفة الأم **(وقالت لأخته قصيه فبصرت به عن جنب وهم لا يشعرون)** [٢]

فلما بلغ الأخت نبأ أخيها روت لأمها خبر موسى عليه الصلاة والسلام عندئذ تفجرت مشاعر الأمومة لتعلن عن نفسها . ناهيك عن استقرارها بضمها موسى عليه الصلاة والسلام لصدرها حيث رده الله إليها كى يطمئن قلبها بإرضاعه ولتعلم أن وعد الله حق . وفى

---

(١) سورة القصص الآية رقم (٧)

(٢) سورة القصص الآية رقم (١١)

هذا يقول تعالى (فرددناه إلى أمه كي تقر عينها ولا تحزن ولتعلم أن وعد الله حق ولكن أكثرهم لا يعلمون .) [1]

ويلاحظ أمره سبحانه وتعالى لأم موسى عليه الصلاة والسلام بإرضاعه.لأن الرضاعة من الأم لها شأنها الخاص فهى (تولد استجابات معينه عقلية وحسية ونفسية فى وقت واحد ، وتكون عاطفة الأمومة فى أبهى صورها .) [2]

وهكذا تذوق موسى اللبن الأول من أمه وصار فى أعضائه.ثم امتنع بعدها عن الرضاع من غير أمه فكانت رضعتها (استجابة لأمر الله بكل ما أودعتها من الحب والعطف والحنان.) [3] من خلال ما سبق يتبين لنا :-

أولا : الأمر بالإرضاع حتى تتقوى العواطف الجياشة بين الأم ووليدها .

ثانيا : تزكية تلك الغريزة بالضم والرعاية من جانب أم موسى لوليدها حتى تتم التربية الحسنة .

ثالثا : مدى الشفقة والتى تتمثل فى اللهفة من جانب الأم تجاه وليدها فهو قرة عينها ونور فؤادها .

رابعا: بيان رحمة الله تعالى بعباده وأنه أرحم من الوالدة بولدها . يظهر واضحا فى رده موسى لوالدته سالما .

خامسا : العودة للأصل الطبعي لها شأنها.حيث عاد موسى يشرب من لبن أمه لكى يتكامل ويقوى نفسيا وجسديا . كل ذلك بفضل من الله العليم بحال عباده [4]

---

[1] سورة القصص . الأية رقم (١٣) .

[2] كيف نربى أولادنا إسلاميا . محيى الدين عبدالحميد ، ص ٧٥ . ط مؤسسة الأولى . ١٩٩٧ م)

[3] نفسه . ص (٧٦) .

[4] يجدر بنا أن نلفت نظر القارئ إلى بعض سلبيات العلم الحديث والتى فيها قتل لعاطفة الأمومة تحت مسمى بنوك الأرحام حيث تحمل المرأة ماء الرجل الأجنبى عنها مدة الحمل ثم تضع وليدها ولاعلاقة لها به . وهنا تنتزع الرحمة والشفقة وسائر المعانى النبيلة من الأم ناهيك عن الأب . وقد أفتى علماء الأزهر الشريف بتحريم هذه البنوك وبينوا مضارها وخطرها . راجع مجلة الأزهر ج ٧٤ : ١ عدد رجب . نوفمبر ١٤١٨ هـ . ١٩٩٧م

سادسا : قوة غريزة الأمومة عند أم موسى عليه الصلاة والسلام . ويبدو ذلك واضحا من خلال قلقها على ابنها وما حدث له وما كان ليسكن هذا إلا بربـــط اللـــه وتثبيته لها . وفى هذا يقول الله تعـــالى **(وأصبـح فـؤاد أم موسى فارغا إن كادت لتبدى بـه لولا أن ربطنا على قلبها لتكون من المؤمنين.)** [1] وهكذا تعد تلك القصة نبراسا للأمومة الصادقة .

ثانيا : قصة أم اسماعيل عليه الصلاة والسلام

إنه موقف كريم أخر عرض له القرآن الكريم يعطينا انطباعا خاصا عن شفقة الأم ورحمتها بابنها . فلقد ترك إبراهيم عليه الصلاة والسلام زوجه وولده بدون زاد ولا مأوى فى هذا المكان القفر بالصحراء . ولم تجد الأم الصابرة إلا التضـــرع إلـــى الله عزوجل أن يفرج عنها وعن ولدها الكرب . فالولد يتضوع جوعا وهى أشد منه فأين تذهب ؟ ثم العطش الشديد فأين المخرج ؟ ومن تنادى إن صوتها لايسمعه إلارب الأرباب وهى تتألم لصراخ وليدها **(فانطلقت كراهية أن تنظر إليه فوجدت الصفا أقرب جبل فى الأرض يليها فقامت عليه . ثم استقبلت الوادى تنظر هل ترى أحدا فلم ترى أحدا . فهبطت من الصفا حتى إذا بلغت بطن الوادى رفعت طرف درعها ثم سعت سعى الإنسان المجهود . حتى جاوزت الوادى ، ثم أتت المروة فقامت عليها ونظرت هل ترى أحدا فلم ترى أحدا فعلت ذلك سبع مرات.)** [2]

فأى دافع دفع الأم لفعل هذا السعى المتواصل ليس إلا غريزة الأمومة وما تحمله من معانى الحنان والعطف لوليدها . وما ارتاحت الأم حتى تفجرت لها ماء زمزم فشربت هى ووليدها وحمدت الله تعالى .

---

(1) سورة القصص الآية رقم ١٠ .

(2) [illegible] تحقيق د. عبد الوهاب ص ١٤٣ - ١٤٤ ط . مركز الكتاب للنشر ١٩٩١ م

ثالثا : سليمان عليه الصلاة و السلام و قصة الأمومة :

في مجلس قضائى كانت حكمة سيدنا سليمان عليه الصلاة و السلام فى أمـــر الأمومه فقد روى أنه (بينما امرأتان معهما ابنان لهما إذ جاء الذئـــب فـــأخذ أحـــد الأثنين فتحاكما إلى داود عليه الصلاة و السلام فقضى به للكبرى.فخرجتا فدعاهمـــا سليمان عليه السلام فقال هاتوا السكين أشقه بينكما فقالت الصغرى يرحمك الله هـــو ابنها لا تشقه فقضى به للصغرى)[1] فالأم الحقيقية دفعتها غريزة الأمومة وما تحمل من عطف و حنان أن تمنع قتل ولدها . لكن الأخرى لم ترفع صوتا فى سبيل إنهـــاء هذا الموقف ورضيت أن يشق الولد نصفين لأنه لم يكن ولدها . وهكذا نرى غريـــزة الأمومة لا ترضى ضرا يقع على المولود . واكتفت الأم أن تراه بعينها سليما معافى . كل هذه المعانى فقهها نبى الله سليمان عليه السلام مما جعله يقضى به للصغـــرى . فالإسلام قدر هذه الرعاية والحنان والمودة من الأم تجاه وليدها وبين أن رحمتها منه تعالى ، فهى لا ترضى بطرح وليدها فى النار كما جاء فى الحديـــث الشـــريف . عـــن عمر رضى الله عنه أنه (قال قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم بسبى فإذا امرأة من السبى تبتغى إذا وجدت صبيا فى السبى أخذته فألصقته ببطنهـــا وأرضعتـــه فقال لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أترون هذه المرأة طارحة ولدها فى النار . قلنا لا والله . وهى تقدر على أن لا تطرحه.فقال رسول الله صلى الله عليه وســـلم . لله أرحم بعباده من هذه بولدها .)[2]

---

[1] تفسير القرآن العظيم ، ابن كثير ، الجزء الثالث ص ١٨٧ ط . مكتبة الدعوة الإسلامية. بدون تاريخ

[2] أخرجه مسلم فى صحيحه – شرح النووى – كتاب التوبة – باب سعة رحمة الله تعالى الجزء السابع عشر ص (٧٠)

الأمومة والتربية العقدية

أمر الإسلام الأبناء بالإحسان إلى الوالدين ورعايتهما وجعل طاعتهما من طاعته . وعصيانهما من معصيته جاء ذلك فى العديد من آيات الذكر الحكيم فمنها قوله تعالى (**واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا وبالوالدين إحسانا ...**)[1]

وقال أيضا (**وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحسانا ...**)[2]

رغم ما أمر الله به من حث على البر بالوالدين والصلة حتى بعد الممات . إلا أن أوامر العقيدة مقدمة على كل شئ ، وحب الله مقدم على كل شئ ، فلا شفاعة فى الدين باسم الأبوة أو الأمومة كما أنه لاطاعة لمخلوق فى معصية الخالق ، وفى هذا الإطار نقرأ قوله تعالى (**وإن جاهداك على أن تشرك بى ماليس لك به علم فلا تطعهما وصاحبهما فى الدنيا معروفا....**)[3]

ومما سجله لنا القرآن الكريم قصة الأم التى تريد دعوة ابنها إلى عبادة الأصنام بعيدا عن نور الإسلام وتوحيد الله تعالى ، مع الضغط المتواصل عليه مستغلة تلك الغريزة فى ردع ولدها عن عبادة الله . وفى هذا تقول (**أم سعد بن أبى قاص له أليس الله قد أمرك بالبر ، والله لا أطعم طعاما ولا أشرب شرابا حتى أموت أو تكفر . قال فكانوا إذا أرادوا أن يطعموها شجروا فاها.**)[4]
ومن ذلك قتل (أبى عبيدة بن الجراح رضى الله عنه والده يوم بدر لأنه كان مشركا بالله . وكذا قتل مصعب بن عمير لأخيه عبيد بن عمير وقتل عمر الخطاب خاله العاص بن هشام يومها .)[5] فالود والعطف والشفقة لا مكان لها مع حدود الله

---

[1] سورة النساء الآية رقم (٣٦) .

[2] سورة الإسراء الآية رقم (٢٣).

[3] سورة لقمان الآية رقم (١٥) .

[4] تفسير القرآن العظيم الجزء الثالث ص ٤٠٥

[5] التفسير الكبير الرازى الجزء التاسع والعشرون ص ٢٧٧ وما بعدها ط دار الفكر ١٩٩٥م

تعالى لذا قال سبحانه (**لاتجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم أو إخوانهم أو عشيرتهم . أولئك كتب فى قلوبهم الإيمان وأيدهم بروح منه ويدخلهم جنات تجرى من تحتها الأنهار خالدين فيها رضى الله عنهم ورضوا عنه أولئك حزب الله ألا إن حزب الله هم المفلحون.**) [١]

فغريزة الأمومة من شأنها أن تنشئ ارتباطا اجتماعيا فى المحيط الأسرى وكذا المحيط الكلى للأفراد على مستوى الجماعات . ذلك لأنها وإن كانت أسسها بيولوجية فطرية إلا أنها (تتشكل فى المجتمع الإنسانى وفقا للقيم الثقافية والاجتماعية والدينية ووفقا للخبرات السابقة التى تتعرض لها الأم .) [٢]

وهكذا رأينا أن الناحية العقدية تحدث انقلابا فى حياة الأسرة كلها . فالأم مسئولة عن تخريج أجيال تنشر رسالة التوحيد ويقام على أكتافهم معالم الدين عبر العصور . إلى جانب تحملها الجانب الأكبر فى التربية فهى مسئولة عن بيتها وراعية عليه . فإن لم يكن خوف من الله لضاعت معه القيم والمبادئ.فالأمومة تجعلها صانعة أبطال ومربية أجيال . [٣]

كذلك حرص الإسلام على القضاء على أبواب الفتن والصراعات المستقبلية التى قد تنتج عن عملية التبنى الذى يلجأ إليها بعض الأزواج لتشعر الزوجة تجاهه بتلك الغريزة ، ولتسد فراغها الأمومى فى حالة عدم إنجابها فتلك سنة جارية فى كونه تعالى . إذ هى كما علمنا غريزة فطرية . ومن هنا نلاحظ الاهتمام والرعاية المباشرة من هذين الأبوين تجاه طفل التبنى على الرغم من(عدم وجود رابطة دم بين الأب والأبن . وكذلك عطف الأب على أبناء زوجته من رجل آخر . وعطف الأم فى

---

(١) سورة المجادلة . الآية رقم (٢٢) .

(٢) علم النفس والاجتماع . فؤاد أبو حطب . وآخرون . ص ٤٤ . ط أخبار اليوم . ١٩٩٦م .

(٣) لمحات نفسية فى القرآن الكريم . ص ١٨٤ .

كثير من الأحيان على أبناء زوجها من أم أخرى .) [١] فالعطف والأمومة وإن وجدت لكنها مقرونة بالتربية الإسلامية التى حرمت التبنى سدا للذرائع وقطعا لطرق الفتنة ، مع نسبة الولد ودعوته لأبيه لذا قال الله تعالى **(ادعوهم لآبائهم هو أقسط عند الله . فإن لم تعلموا آباءهم فإخوانكم فى الدين ومواليكم وليس عليكم جناح فيما أخطأتم به ولكن ما تعمدت قلوبكم وكان الله غفورا رحيما.)** [٢]

والرعاية مطلوبة لليتيم وكفالته من شيم وأخلاق الصالحين . ولا حرج فى استقدام بعض الأمهات هؤلاء الأطفال ورعايتهن حتى يستشعرن قيمة غزيرة الأمومة لكن هذا الأمر مقرون بالتحريم من جهة نسبة الولد للزوج (الأب المتبنى) . فالأمومة نهر جار يشرب منه الناس جميعا عبر العصور والأزمان .

كذلك حرص الإسلام على إبراز الجانب الأخلاقى الرحيم فى علاقة الأم بولدها.حيث رخص للأم المرضع وكذا الحامل الإفطار فى شهر رمضان ، لأن هناك علاقة انفعالية بين الأم ووليدها ربما يؤدى الصيام فيها إلى وقوع الضرر بأحدهما . فرفع الحرج والمشقة عن المرضع والحامل ، وظهر هذا الجانب ليشع رأفة ورحمة على المؤمنين . ومن الصوم إلى الصلاة حيث حرص التشريع الإسلامى على إبراز الجانب الرحيم فى علاقة المجتمع بالأم.فمن السنة أن يخفف الإمام فى الصلاة إذا كان وراءه جماعة من الأمهات . بل هذا الحكم عام فى الرجال والنساء . وهذا من رحمة الله . ويظهر هذا الجانب أكثر فى النساء حيث إن الولد الصغير مايزال قلبه متعلقا بأمه فهو يرافقها فى خطواتها وكذا شفقتها على ابنها تشغلها عن الصلاة . فلا هى أدت صلاتها كما ينبغى ، ولا هى أسكتت بكاء ابنها المتواصل . ومن هنا كان إرشاده عليه الصلاة والسلام موجها أمته من بعده إلى هذه العلاقة بين الأم ووليدها

---

(١) علم النفس الأسرى ، عبدالرحمن العيسوى ، ص (١٠٥) ط دار النهضة ، ١٩٩٣م .

(٢) سورة الأحزاب الآية رقم (٥) .

بأنها علاقة تكنها شفقة ورحمة حيث يقول صلى الله عليه وسلم (إنى لأدخل الصلاة أريد إطالتها فأسمع بكاء الصبى فأخفف من شدة وجد أمه به .)[١]

هذا وترتبط غريزة الأمومة بغرائز أخرى مثل الغريزة الجنسية فهما يشكلان جبهة واحدة قوامها الإنجاب ، وسيأتى إن شاء الله تفصيل خاص بغريزة الجنس فيما بعد . والأمومة تعتبر من أعلى الغرائز كما علمنا إذ ليس فى (العواطف الإنسانية شعور يملأ فراغ المرأة كما يملأه الشعور بالتوفيق فى الزواج ...) [٢] وما يعقبه من إنجاب وتندرج هذه الغريزة أحيانا تحت مسمى غريزة الوالدية وهى تشملها إلى جانب الأبوة . ويلاحظ ارتباط الناحية الاجتماعية بالناحيتين السابقتين . ومن هنا كان الرباط المقدس بين الزوج وزوجه وتغير حياتهما وعلاقتهما إلى نوع آخر أوسع نطاقا خاصة بعد الانجاب . فالأم تعطى حنانا وكذا الوالد ولكل منهماوجهته الخاصة وكلاهما يؤثران على صحة الأبناء النفسية والاجتماعية . ومن هذا الجانب كانت غريزة الوالدية مقدمة على غيرها من الغرائز ولهذا يعدها (كثير من الأفراد أكبر نعمة يمن الله بها على الإنسان .)[٣]

---

(١) أخرجه مسلم فى صحيحه – شرح النووى ، كتاب الصلاة ، باب أمر الأئمة بالتخفيف . الجزء الرابع . ص (١٨٦) .

(٢) راجع . الفلسفة القرآنية – العقاد ص (٤٩) ط لجنة التأليف والترجمة. ١٩٤٧م .

(٣) فلسفة المعرفة فى القرآن الكريم ، على عبدالعظيم ، ص ١٤٢ . ط مجمع البحوث الإسلامية ، عدد (٥ ، ٦) ١٩٧٣م

عقدة أوديب [1]

فى ظل الأبوة الصالحة والأمومة الواعية ينمو الطفل ويشب بين أبويه نشـــأة صحيحة سليمة ، ويتطور الطفل عبر مراحله المختلفة عقلا وجسما . حيـــث ينظـــر لوالدته على أنها مصدر الرعاية والحنان ، فقد حملته ثـــم أرضعتـــه ثـــم احتضنتـــه وأحاطته بحنانها ورعايتها ، ومازالت تسعى معه فى هذه الحياة . وكذلك لوالده على أنه مصدر العطاء والإحسان .

---

[1] قصة أسطورية لمسرحية إغريقية شهيرة للمؤلف الأغريقى . سوفو كليس وتسمى باللغه العربية أوديب الملك وكلمـــة عقـــدة معناها واسع فهى تشمل (التركيب والنقص بالإضافة إلى معنى الشد والصراع ، ويمكن القول بأن مفهومها يدور حول (مجموعة من الاتجاهات الوجدانية المتعارضة وهى لاشعورية " أى إنها تثبت قبل أن تصل إلى مستوى الشعور وكلمة أوديب وهى (مسمى لشخص ما وتعنى باليونانية (الرجل ذو القدمين المتورمتين) فهناك نقص لدى صاحبها . ووقع فرويد (١٨٥٦ م – ١٩٣٦م) على هذه المسرحية وما صنعه أوديب بأبيه وأمه فعزى كل ذلك إلى ظاهرة نفسية تتلخص فى رغبة الأبن اللاشعورية وهـــو فـــى حوالى سن الرابعة فى قتل أبيه والتزوج من أمه . كما جاء فى الأسطورة اليونانية . وتتلخص فيما يأتى:أن الملك لايوس ملك طيبه بلاد اليونان رزق بطفل من زوجته " جوكاستا " وكان المنجمون قد حذروه من هذا الطفل لأنه سيقوم بقتله عندما يشب . فأمر بالتخلص منه والقائه من فوق جبل سيثارون ، لكن منفذ الحكم وهو " الراعى " أخذته الشفقة بالطفل فسلمه لراعٍ أخر من رعايا الملك " بوليبوس " والذى تبنى هذا الطفل . وشب أوديب فى بيته الجديد . وقد تعرض للتشكيك فى بنوته من أحد أصدقائه ممـــا دفعه للسفر إلى مدينة دلفى مهبط الوحى عندهم . وهناك أخبرته الألهة بقتله لأبيه وبالتزوج من والدته . ففزع لهذا الأمر وقـــرر عدم العودة لموطن أبيه المزعوم وأثناء سيره قابله والده الحقيقى "لايوس " والذى كان يسير فى كوكبه من اتباعه فرغبـــوا فـــى تنحية أوديب عن طريقهم بطريقة غير لائقة وتسببت فى نشوء النزاع بينهم . فقتل أوديب أباه الحقيقى وهو لايـــدرى . ويعـــود أوديب لطيبه موطنه الأصلى حيث تعرض جائزة لمن يجيب على أسئله الوحش الذى يهدد المدينة وهى (الـــزواج مـــن الملكـــه جاكوستا) أمه الحقيقية ويستطيع أوديب فعل ذلك ويتزوج والدته وهو لا يدرى وتمر الأيام ويعم البلاء البلاد . ويقرر المنجمون أن رفع هذا البلاء لن يكون إلا بطرد قاتل الملك " لايوس " وتخبر أحد الكهنة أوديب بأنه هو القاتل ، وأثناء هذا الأمر يســـتدعى أوديب لرئاسة مملكة أبيه " الحقيقى " لكنه يرفض العودة معتقدا إنه سوف يقتل أباه ويتزوج بأمه كما أخبرته الألهة فى معبد دلفى ، وهنا يظهر الراعى الحقيقى الذى أنقذه من الموت ، ويعلم أوديب بقصته وأنه تسلمه من أحد رعايا الملـــك " لايـــوس " وهنـــا تتواصل الحلقات وتتكامل الأفكار عند أوديب فيفقد أعصابه ويقوم بفقء عينيه ويتحول إلى رجل أعمى ، ليكفر عما فعلـــه تجـــاه أبويه ، وتلك نهاية تسفر عن شعور بالذنب وصراع عاطفى يخوضه الأبن . وهكذا نرى اعتماد مدرسة التحليل النفسى علـــى الأساطير اليونانية فى إرساء أفكارها العلمية .

– راجع : قصة أوديب الملك ، محمد طنطاوى ، ص ٥٠ وما بعدها ط مجله العربى – عدد (١٧٧) – جمادى الأولى أغســـطس ، ١٩٦٨م .

– راجع أيضا – عقدة أوديب ، يوسف مراد ، ص (٦١) وما بعدها . ط مجله العربى – عدد (٤٥) ربيع الأول . أغســـطس ، ١٩٦٢م .

– راجع ايضا – قاموس الأمراض العصبية والنفسية . اميل بيدس ، ص (١١٥) .

هذه الأفكار وغيرها تتطور مع العمر الزمنى للطفل . فتفكير الطفل غير الراشد وهذه الأمور تحتاج لتربية خاصة . تستدعى مراعاة هذا التفاوت ومدى ما يخص الطفل فى مراحله الأولى ، ثم فى طوره الثانى ليكتمل رشده . حيث يخرج الطفل من إطاره المعتاد ويتوجه بحبه وعاطفته نحو اخوانه فى مجتمعه وينأى عن مرحلة الالتصاق بوالدته ، وكذا البنت . فالطفل فى مراحله الأولى لايعامل (معاملة منطقية لفكره كما عند الراشد فأقرب المناهج صدقا للكشف عن سمات الطفل هو الحدس لا الاستدلال المنطقى الصارم.) [1] ومع هذا التطور العقلى يتكيف الطفل مع بيئته الاجتماعية . لكن فرويد عالم التحليل النفسى (١٨٥٦م - ١٩٣٩م) له نظرة أخرى . فالتصاق الطفل بأمه يعنى استحواذه عليها دون الأب فهو يمثل له عبئا وعقدا نفسية حيث يشاركه فى هذا الأمر ، ويرغب الولد فى تنحية والده عن أمه بشتى الحيل بدافع الجنس " فلا يقدر على ذلك فينشأ لديه هذا النقص أو ما يسمى " بعقدة أوديب " والتى اعتمد عليها فرويد فى تفسير ما يحدث للطفل . وقد مر بنا أنه استقاها من أسطورة يونانية . والأمر على خلاف ذلك . فليس هناك ما يستدعى كما ذهب فرويد فى عقدته أن يجامع الولد أمه فذلك اختلاق وافتراض باطل . ولعل ذلك راجع لطول المدة التى قضاها فرويد مع مرضاه الهيستريين.[2]

ولم يكتف بذلك بل ألصقها بكل شئ حوله وأضفى عليها إطارا جنسيا فالعقدة ترمز إلى كل شهوة جنسية مكبوتة وهى تتمثل فى (التوحد بالجنس المماثل والاستيلاء على الجنس المقابل) [3] فالبنت ترغب فى إزاحة والدتها من طريق

---

(١) عقدة أوديب . يوسف مراد ص ٦٣ .

(٢) راجع سيجمند فرويد - فاخر عاقل - ص (١٠٦) ط مجله العربى - الكويت - العدد (٧٩) يونيو - ١٩٦٥ م .

(٣) علم النفس : محمود بركات ، ص ٩٥ . ط دار سكرين .

والدها لتنفرد به ويعرف هذا الأمر بعقدة الكترا عند فرويد بل (يصل الأمر بالابنة إلى اشتهاء أبيها جنسيا مما يضاعف من حقدها على أمها.) [١]

وتلك مبالغات أقل ما يقال فيها إن صاحبها مصاب بهوس جنسى .

وفرويد يرجع تلك العقد لمرحلة مبكرة من عمر الإنسان.فالرضيع عنده يمتص حلمه ثدى أمه بلذة جنسية تلك هى المرحله الفمية عنده . ثم تليها المرحلة الشرجية ثم القضيبية وذلك كلام متهافت ذلك (لأن الرضيع لم يباشراللذة بعد بحكم تخلق جميع أجهزته وهو بالتالى غير قادر على تذوق هذه اللذة .) [٢]

فكل شئ عنده يدور فى إطار الجنس والحيوانية . ناسيا أن غرائز الإنسان غير غرائز الحيوانات فهى (أسلس قيادا وأعظم مرونة بسبب تنوعها وتعارضها .)[٣] فالإنسان يمر بأطوار عديدة لكل منها مرحلته التربوية الخاصة ، ثم إن الطفل الذى كان قبل ملتصقا بأمه يصبح فيما بعد مراهقا . وكذا البنت وهما فى تلك المرحلة يبدو عليهما الإحساس بالرجولة والأنوثة وشئ من الحرية فتلك المرحلة فيها (تتكون الرغبات الجنسية على أشدها .) [٤]

ويزعم أيضا أن البنت تظهر فى أمرها الأول حبها لوالدتها ثم تتغير مشاعرها وتعود بحبها نحو والدها . وهذا تطور نفعى وهدم أخلاقى نقله عن أسلافه وديانته المحرفة التى اتفق أربابها على إفساد أخلاق المجتمعات لينفرد لهم الأمر فهم الذئاب وماعداهم قطيع من الأغنام وماذا (تفعل الغنم عندما تدخل الذئاب إلى الحظيرة إنها تغمض عيونها عن كل شىء.) [٥] وقد ساد مجتمعه كبتا جنسيا (فقد كان الدافع

---

[١] راجع قاموس الأمراض العصبية والنفسية – اميل بيدس ، ص (٥٢) .

[٢] علم نفس قرآنى جديد ، مصطفى محمود ص ١٦ط أخبار اليوم ، ١٩٩٧ م .

[٣] دراسات إسلامية ، عبدالله دراز ، ص دار القلم ١٩٧٣م .

[٤] الدافعية والانفعال . أدوارد ج موراى . ترجمة : احمد سلامة ، محمد عثمان نجاتى ، ص ٩٢ . دار الشروق الاولى ، ١٩٨٨م).

[٥] بروتوكولات حكماء صهيون ؛ شوقى عبد الناصر ،ص (١٢) ط دار الدعوة ؛ الرابعة ؛ بدون تاريخ .

الجنسى يلقى شيئا كبيرا من الكف)[١] وقبعوا على أنفسهم مدة من الزمن حتى وصلوا إلى عشق المحارم ، لكن الإسلام له نظرته الخاصة فالبنت وان كانت تنظر لأبيها على أنه مصدر العطاء والحب والحنان فإن هذا لايعنى نظرة جنسية .

فهى تمر بمراحل عمرية تحتاج وتستدعى تأديبا إسلاميا من الأبوين فالمسئولية مشتركة بينهما حيث إن الاطار الجنسى التكاملى لايقوم إلا ببناء عقلية متفتحة تعى أن لكل من الرجل والمرأة صفاته الخاصة بدونها تتحدد علاقته الاجتماعية بمن حوله . ولم يقل أحد كما زعم فرويد أن التدليل المفرط من الأبو يين يؤدى لايقاف الغريزة الجنسية مبكرا أى قبل ظهور الشروط البدنية للمراهقة وسبب ذلك كله هو الحب المفرط ، ولاريب أن هذا الأمر فيه تقويض للأسرة ومفهومها السليم . فميلان الطفل لأمه بعيدا عن الأب يمكن (أن يفسر فى ضوء العلاقات الاجتماعية داخل الأسرة بدلا من النظر إليها فى ضوء مصطلحات جنسية)[٢]

على نحو ما رأى فرويد - أيضا محاولة تقريب وتبسيط الصورة الجنسية للطفل عبر مراحله يزيل تماما الحرج.ومن ذلك تكون النظرية بعيدة كل البعد عن النواحى التربوية ؛ وذلك لافتقارها إلى الدليل العلمى . كما أنها خبرة ذاتية.إلى جانب تأثر فرويد فيها بالفكر الداروينى الذى يرى تطور الإنسان فى التكوين الخلقى عن الحيوان ؛ وبالتالى فصفات الحيوانية هى صفات الإنسانية . فحياة الإنسان بادىء ذى بدء حياة حيوانية وكلها جنس منذ لحظة الميلاد وكل أعمال الإنسان جنس. [٣]

وقد ثبت بطلان هذة النظرية فقد قامت على (عدد من الافتراضات غير العلمية وغير الملزمة . فضلا عن كونها حالة شاذة لايقاس عليها.) [٤]

---

[١] الدافعية والانفعال . ص ١٠٠.

[٢] الشخصية ؛ ريتشارد لازاروس ؛ ترجمة سيد غنيم ؛ محمد عثمان نجاتى ؛ص ٨٥ ط دار الشروق ؛ ١٩٩٦.

[٣] الإسلام والاتجاهات العلمية الحديثة ؛ يحي هاشم فرغل ؛ ص ٤١ ط دار المعارق ؛ ١٩٧٧.

[٤] دراسات فى النفس الإنسانية – محمد قطب ؛ص ٣٢٤ ؛

يضاف لهذا نزعة الرجل اليهودية وماكان يشعر به من العزلة والاضطهاد ؛ وكراهية العالم لليهود وقد (نزع إلى التشكيك فى القيم الروحيـــة والدينيـــة والخلقيـــة وفـــى عواطف الحب والتراحم.)[١]

فأصابع الصهيونية من وراء هذا الأمر وهى التى روجت له. من ذلك قولهـــم (... لاتتصوروا أن تصريحتنا كلمات جوفاء ولا حظوا هنا نجـــاح دارون ومـــاركس ونيتشة قد رتبناه من قبل ؛ والأثر غير الأخلاقى لاتجاهات هذه العلوم فى الفكر الأممى "غير اليهودى" سيكون واضحا لنا على التأكيد .) [٢]

تعقيـــــب

من خلال ما سبق يتبين لنا :-

أولا : إن الإنسان يتشكل تبعا لتأثير بيئتة عليه ؛ وفرويد من أبوين يهوديـــين ومعروف عنهم إنهم ماديون وقد ظهر ذلك فى أمور كثيرة امتلأ بها كتابهم المحـــرف فى الجوانب الثلاثة العقدية والتشريعية والأخلاقية . [٣]

ثانيا : حاول فرويد أن يطبق ما عاينه على مرضاه المشعوزين فى مجتمعـــه وغيره من المجتمعات الأخرى . فمن خلال جلساته مع الشواذ كانت هذه الآراء والتى لاتمثل شيئا فى جانب العقلانية الواسعة.

---

[١] الإسلام والعلاج النفسى الحديث . عبد الرحمن العيسوى ؛ص ٩٦ ؛ ط دار النهضة ؛ ١٩٨٨.

[٢] بروتوكولات حكماء صهيون . من كتاب الخطر إليهودى ؛ ترجمة محمد خليفة التونسى ؛ص ١٦١ ؛ وما بعدها ؛ ط دار التراث ، ١٩٧٧.

[٣] راجع على سبيل المثال ما ورد فى سفر التكوين ؛ الاصحاح التاسع . فقرات (٣٠-٣٧)

ثالثا: اختلاف المجتمعات والثقافات لايعنى انحلالية الأخلاق وتطورها فالفطرة السليمة واحدة نقية وإن تعاقبت عليها العصور ؛ كما أنه لايمكن النظر إلى الإنسان من خلال غريزة واحدة كما زعم فرويد.

رابعا : تأثر فرويد بداروِن التطورى ١٨٠٩م– ١٨٨٢م [1] والذى رجع الإنسان للحيوانية وكلاهما على الدرب . فدارون يعطى للإنسان صفة الحيوانية ليتصرف كما يشاء دون سلطة ضابطة من عقل واع أو رادع أخلاقى ينأى به عن هذه الأمور الشاذة . وفرويد أشرب نظرية دارون وحاول تطبيقها .

خامسا : اعتمد فرويد على أسطورة يونانية لا أصل لها قاصدا تشويه المثل العليا الإنسانية . تناقلها أسلافه وكذا تلامذته من بعده وأبسط مثال على ذلك ما جاء فى مسرحية الذباب والتى ألفها سارتر ١٩٠٥م– ١٩٨٠م وفيها نلاحظ .

أ- الخيانة الزوجية عن طريق عشق الزوجة للملك .

ب- الوحشية الزائدة والتى تمثلت فى قتل المرأة لزوجها بمساعدة عشيقها واستنكار المرأة لأرقى معانى الود والألفة التى كانت بينها وبين زوجها بمساعدة عشيقها .

فهى تقول بعد قتله.

(غنيت من الفرح ورقصت واليوم بعد خمسة عشر عاما لا أتذكره ولا أشعر بانتفاضة لذة .) [2]

---

[1] شارلز داروِن روبرت . عالم طبيعة بريطانى فى القرن التاسع قام برحلة بحرية ١٨٣١م ١٨٣٦م [illegible] خلالها جزر [illegible] [illegible] وجزر آذور وسواحل أمريكا الجنوبية وجمع عن نباتها وحيواناتها وطبيعتها الجيولوجية . فكانت [illegible] رحلة منطلق [illegible] الواسعة التى صاغ نتائجها بعد فى الداروينية [illegible] أشهر آثاره فى أصل الأنواع عام ١٨٥٩م [illegible] معجم أعلام [illegible] بعلبكى ، ص ٨٢

[2] [illegible] نظرية [illegible] فى ضوء الإسلام [illegible] عبد [illegible] رسالة مخطوطة بكلية أصول [illegible]

ج – التشابه الواضح فى الأسماء ؛ فالبنت لدى سارتر فى " ... الذباب " تدعى الكترا وهى عند فرويد تسمى عقدتها الكترا وصدق الله إذ يقول (**تشابهت قلوبهم..**) [٣] فالكفرملة واحدة . والبنت تساعد أخاها فى قتل والدتها وعشيقها لأنها قتلت والدها ؛ وكذا الأبن الذى يريد أمه لشخصها. ونقول لهم هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين على فساد الأخلاق ؛ وانحلال الفطرة السليمة . فلا يجدون جوابا ويكون الأمر من عند أنفسهم . ألاساء ما يحكمون ؟

د- كانت محاولة فرويد قضاءا على النواة الأولى للمجتمع وهى الأسرة وحصول التفكك بها والاتجاه إلى عشق بعضها بعضا ؛ وضياع الأنساب واختلاط الحابل بالنابل وبالتالى يؤدى ذلك لإنهيار المجتمعات وتلك أمانى اليهود وما قصدوه. وصدق الله العظيم إذ يقول (**ويسعون فى الأرض فسادا والله لايحب المفسدين**)[٣]

---

[٣] سورة البقرة ؛ الآيه رقم (١١٨)

[٣] سورة المائدة ؛ الآية رقم (٦٤).

غريزة الجنس

لايستطيع عاقل أن ينكر رحمة الله فى كل شىء يدور حوله بل هو نفسه ليدرك ذلك إدراكامباشرا من خلال هذا النظام الذى ركب منه الكون . وتسيير نظامه على أدق صنع وأحكم تدبير . ومن تلك الرحمة أنه سبحانه وتعالى خلق الإنسان وجعل له من نفسه زوجا ليسكن إليها . ويركن لمودتها ومحبتها ؛ ونظم العلاقة بينهما من خلال تشريع إلهى نزل به أمين الوحى وبلغه المرسلون من قبل الله على مر العصور .وهذاالتنسيق لم يأت من فراغ . بل إنه سبحانه وتعالى جعل المرسلين قدوة لغيرهم فى اتخاذهم أزواجا وذرية فقال فى كتابه الكريم (**ولقد أرسلنا رسلا من قبلك وجعلنا لهم أزواجا وذرية .**)[1] وقام المرسلون بإعلانهم عن هذه العلاقة التى لاتتم إلا بين الرجل والمرأة فلا يصلح كونها بين رجل ورجل أو امرأة وامرأة لأنها بذلك تخالف سنة الله فى أرضه بل تأباها الفطر السليمة لأنه (لو اكتفى الرجال بالرجال والنساء بالنساء لفنى البشر .)[2] وهذا ما أعلنه سيدنا لوط عليه الصلاة والسلام من حرب على قومه الذين خرجوا عن الفطرة وطلبوا الخبيث بدل الطيب وفى هذا نستمع لقوله تعالى (**إنكم لتأتون الفاحشة ما سبقكم بها من أحد من العالمين .**)[3] وقوله (**أتأتون الذكران من العالمين . وتذرون ما خلق لكم ربكم من أزواجكم بل أنتم قوم عادون .**)[4] وأعلن أن ذلك خروجا عن نهج الله تعالى . وهددهم بعقاب الله إن لم ينتهوا عن ذلك . وقدم لهم الفطرة فى ثوبها النظيف بعرضه بناته أزواجا لبنى قومه فهن يصلحن لما لايصلح له الرجال.فقال تعالى (**.... قال ياقوم هؤلاء بناتى هن أطهر لكم فاتقوا الله ولاتخزون فى ضيفى**

---

[1] سورة الرعد الآية رقم .(٣٨).

[2] الإسلام . سعيد حوى . ص ١٩١.

[3] سورة العنكبوت الآية رقم (٢٨).

[4] سورة الشعراء الآيتين رقم (١٦٥-١٦٦).

أليس منكم رجل رشيد .) [١] وقد ميز الله الإنسان بالعقل ليذكر وليكن أبعد ما يكون بسلوكه عن الحيوانات التى تعيش فى (دائرة مغلقة قوامها الاخصاب والانسال . فهى تأتى بعضها فى مواسم معينة .) [٢] والعقيدة الربانية قد ربت الإنسان فى سلوكياته فإن هو (استولى عليه الهوى وأسكرته الشهوة لم تؤثر التربية والاعتبارات الاجتماعية فى إيقافه عند حده وضبط نفسه والحكم عليها .) [٣] وإن هو امتثل لتعاليم المرسلين حقق السعادة الدنيوية والأخروية على أتم وجه . وهذا البعد عن التوجيه الربانى هو الذى يفسر انحطاط الأخلاق فى المجتمعات الغربية . وغيرها . وفيما يلى عرض لأبرز مظاهر الانحراف فى تلك المجتمعات .

أولا :أهل ساحل العبيد بأفريقيا والجنس الدينى .

كان أهل ساحل العبيد فى أفريقيا يمارسون الجنس تحت مسمى العبادة وذلك إنه كان يوجد فى كل مدينة من مدنهم (مؤسسة تقدم إليها الفتيات الجميلات من سن العاشرة إلى الثانية عشرة ويقضى هؤلاء الفتيات بهذة المؤسسات ثلاث سنين . يتعلمن فى أثنائها الرقص الدينى . وترتيل الأوراد المقدسة فى صوت غنائى شجى فإذا انتهت مدة تعلمهن يخضعن للبغاء المقدس فيصبحن من الناحية النظرية وقفا على رجال الدين وإن كن فى الواقع لايمتنعن عن غيرهم.) [٤] فهذة تربية خاصة موقوفة للجنس وإشباعه تحت مسمى العبادة إرضاءالغرائز رجال الدين وغيرهم .

ثانيا . فى اليابان . انحط السلوك الأخلاقى لدى بعض الأفراد فقد كان كثير منهم يخصصون بناتهم للبغاء للانتفاع بأجورهن فيلحقونهن بمنزل من منازل الفسوق

---

[١] سورة هود الآية رقم (٧٨).

[٢] فى ظلال القرآن . سيد قطب . الجزء الاول ص ٦٠٢ . دار الشروق الثانية عشرة ١٩٨٦م.

[٣] علم النفس – جميل صليبا . الجزء الثانى . ص ٦٨٢

[٤] الأسرة والمجتمع . على عبد الواحد وافى . ص ٥٩٧ ط نهضة مصر الثامنة ١٩٧٧م.

حتى يقضين حياتهن كلها أو فترة منها ....). [١] وهكذا تكون الضريبة ضياع العفـــة وفساد المجتمع وصدق الله تعالى إذ يقـــول (**ولا تكرهوا فتياتكم على البغاء إن أردن تحصنا لتبتغوا عرض الحياة الدنيا ومن يكرههن فإن الله من بعد اكراههن غفور رحيم.**) [٢]

<u>ثالثا :- في ألمانيا</u> . جوارى للبيع على شاشات الكمبيوتر فقد أعلنت شاشات الكمبيوتر عرض للبيع عبارة عن جوارى تشيكات صغيرات الســـن . وأيضـــا مـــن الناضجات لأولئك الذين لديهم ميول جنسية ساوية وشاذة . [٣]

<u>رابعا :- في إيطاليا</u> . ممارسة الجنس بالقوة فقد قامت فلادفيـــا ٤٥ ســـنة وتعمل مديرة لأحد السجون بايطاليا بتحويل السجن إلى مسرح لعرض الجنس علـــى الطبيعة وأصبحت تمارسه مع من تشتهيه من المساجين وذلك بدلا من إصلاحهم . [٤]

<u>خامسا : في أمريكا</u> تبديد للصحة العامة وقضاء على كيان الدولة من خـــلال شبابها (فقد أعلن أن أكثر من مليون شاب أمريكى لم يصلحوا للخدمة العسكرية من بين ستة ملايين تقدموا للتجنيد وعزا ذلك إلى ضعف أبنية الشعب الأمريكـــى بصفـــة عامة نتيجة الفوضى التى انغمس فيها الشباب. [٥]

<u>سادسا:- في السويد</u> . لامكان للأسرة كلبنة للمجتمع فقد لوحظ فيها إنخفاض في نسبة المتزوجين إلى غير المتزوجين ؛ وارتفاع مستمر في نسبة عـــدد المواليـــد

---

[١] الأسرة والمجتمع . ص ٩٧.

[٢] سورة النور الاية رقم . (٢٣).

[٣] راجع جريدة الميدان المصرية ص ٢١ - العدد (١٨٩) (السنة السادسة) ١٦ أكتوبر ١٩٩٧م.

[٤] نفســه ص (٢٥).

[٥] الإسلام / سعيد حوى ص (٦)

غير الشرعيين مع ملاحظة أن ٢٠٪ من البالغين من الأولاد والبنات لايتزوجون أبدا .) [1]

وهكذا امتدت الفوضى لأجزاء كبيرة من المجتمعات والتيانغمس أهلها في قضاء أوطارهم فيما حرمه الله تعالى فاختلطت الأنساب وضاعت القيم . بسبب غياب الدين الصحيح الذى يحكم إرادة صاحبه ويرشده للطريق السوى في جو (خفت فيه صوت الضمير وطمست فيه معالم الفضيلة .) [2]

أين هذا من الإسلام بمحاسنه وعلاجه الناجح لهذه المشكلة وهذا ما سنقف عليه إن شاء الله فى الصفحات التالية .

تهذيب الدين لغريزة الجنس

العقيدة – الشريعة .

تعمل العقيدة الإسلامية على بناء الشخصية ببثها التربية الروحية عن طريق مراقبة الله تعالى فى كل ما يصدر عن الإنسان من أفعال . كما تعمل على رقى سلوكه . ذلك باطلاع الله عليه فلايقدم على إشباع رغباته الجنسية وغيرها إلا بميزان مستقيم شرعه الإسلام وعندئذ يبتعد عن الحرام (ويبتغى الحلال الذى كتبه له ربه) [3] واثقا بأن الله يريد به الطهارة والبعد عن اختلاط الأنساب وتحقيق الخلافة الصحيحة . فالله(يحل ما يحل ويحرم ما يحرم ليطهر عباده فهو يحب الذين يتوبون حين يخطئون ويعودون إليه مستغفرين .) [4] كما تثمر المراقبة لله تعالى فى البعد عن التخيلات الفاسدة التى تؤدى للشذوذ الفكرى وإلى (. زيادة الدافع الجنسى

---

[1] الإسلام . سعيد حوى ص ٦ .

[2] الإسلام بين الأديان محمد كمال جعفر ص ٨١ . ط مكتبة دار العلوم . ١٩٧٧م.

[3] فى ظلال القرآن . المجلد الاول ص ٢٤٢.

[4] الإسلام فى حياة المسلم . محمد البهى ص ٢١٢.

لدى كل من الرجال والنساء.) [١] وللصوفية وسيلتهم فى المراقبة والتى عدو منهـــا حديث النفس فمن ذلك قولهم (من راقب الله تعالى فى خواطره عصمه الله تعالى فى جوارحه .) [٢] إذ الأعضاء ترجمة عملية لما فى الداخل ومن هنا كان حديثه صلـــى الله عليه وسلم عن الإحسان بقوله (**أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك.**) [٣] فالعقيدة السليمة هى ترفض الحرام فى جميع صوره وتحـــث علـــى الحلال الذى شرعه الله عزوجل ؛ وهنا يكون عمل المراقبة فعالا فى محاسبة النفس على تقصيرها لأجل (تقوية الضمير الدينى لدى الإنسان وإيقاظه فـــى نفســه حتـى يقوى على دفع الأخطار .) [٤] وهذه التقوية لا تكون إلا من خلال المحاسبة الدائمة . وما أجمل كلام الإمام الغزالى فى هذا الشأن عندما يقول (على العاقل أن تكون لـــه أربعة ساعات . ساعة يناجى فيها ربه ؛ وساعة يحاسب فيها نفسه ؛ وساعة يتفكـــر فيها فى صنع الله . وساعة يخلو فيها للمطعم والمشرب .) [٥] ومن خلال المراقبـــة نحصل على إكبار الله وخشيته فى السر والعلانية . فكلما اقترب العبد من ربه منعــه حياؤه وحفظه من اقتراف المعاصى إذا تيسرت لها أسبابها بعيدا عن أعين النـــاس ودون خشية من عقاب أو قانون.

صـــور مـــن المراقبـــة .

يحدثنا القرآن الكريم فى حديثه العذب عن بعض الصور الكريمـــة مـــن بنـــى البشر ممن راقبوا الله تعالى فى السر والعلن ونعرض الآن لبعض المعانى الصالحـــة المكتسبة من قصة سيدنا يوسف عليه الصلاة والسلام.

---

[١] مدخل إلى علم النفس . سيد الطواب ص٤٥٤ . ط الدار الدولية للنشر. ١٩٨٨.

[٢] الرساله . القشيرى .ص ٩٦ ط الحلبى - الثانية - ١٩٥٩م.

[٣] أخرجه مسلم فى صحيحه . شرح النووى . كتاب الإيمان،باب الإحسان -الجزء الأول.ص ١٥٧.

[٤] الإسلام فى حياة المسلم . ص ٢١٢.

[٥] إحياء علوم الدين . الغزالى . الجزء الرابع ص ٤٠٣ ط المكتبة التجارية .

لقد تحدث القرآن الكريم عن قصة سيدنا يوسف عليه السلام وما صنعته معه امرأة العزيز وامتناع سيدنا يوسف عن إتيان الفاحشة مع توافر الأسباب والدواعى . ويحدثنا القرآن الكريم أن الله صرف كيد أمراة العزيز عن سيدنا يوسف عليه السلام لأنّه كان من المخلصين الذين تعلقت قلوبهم بربهم . ولذا كان الاعـتراف بـالمراودة من جهة المرأة وتطهير ساحة النبوة من شوائب العصيان فى قولها كما حكاه القرآن الكريم . **(أنا راودته عن نفسه وإنه لمن الصادقين .)**[١]

حبس الغـار

وهذا مثل آخر حكته لنا السنة الشريفة على لسان المعصوم صلى الله عليه وسلم . فهذا أحد الثلاثة الذين أواهم المبيت إلى غار فدخلوه إذ انحدرت صخرة من الجبل سدت عليهم باب الغار فقال بعضهم لبعض إنه لاينجيكم من هذه الصخرة إلا أن تدعوا الله بصالح أعمالكم . فقال رجل منهم . اللهم إنه كانت لى ابنه عم أحببتها كأشد ما يحب الرجال النساء وطلبت إليها نفسها فأبت حتى آتيها مائة دينار فتعبت حتى جمعت مائة دينار فجئتها بها فلما وقعت بين رجليها . قالت ياعبد الله اتـق الله ولاتفتح الخاتم إلا بحقه فقمت عنها . فإن كنت تعلم أنى فعلت ذلك ابتغاء وجهك فـافرج لنا منها فرجة ففرج لهم .)[٢] وكذا دعا الأخران ربهما ففرج الله عنهم وخرجوا سالمين. وصدق الله إذ يقول **(ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لايحتسب .)**[٣] فالإسلام يقوى العزائم والهمم بفضل المراقبة الدائمة لله تعالى . كما تعمل العقيدة الإسلامية . على تقويم الشخصية الإسلامية عن طريق الثواب والعقاب . فتصرفات الإنسان محكومة بهذا الإطار المنطلق من قوله تعالى **(فأما من طغى وآثر**

---

[١] سورة يوسف . الآية رقم ٥١.

[٢] أخرجة مسلم فى صحيحه شرح النووى . كتاب الذكر . باب التوسل بصالح الاعمال . الجزء السابع عشر ص ٥٦. ٥٧.

[٣] سورة الطلاق الاية رقم (٢).

الحياة الدنيا . فـان الجحيـم هى المأوى وأما من خاف مقام ربـه ونـهى النفس عن الهوى فإن الجنة هى المأوى) [١] وفى الحديث الشريف مابين لنا أهمية المراقبة للــه تعالى وبيان ثواب ذلك بالدخول فى ظل الله يوم لاظل الاظله ومن هؤلاء كمـا أخـبر عليه الصلاة والسلام (رجل دعته امرأة ذات منصب وجمال فقال إنى أخاف الله .)[٢]

كما أن قضاء الشهوة الجنسية بين الزوجين يعقبة ثواب عظيم وفى هذا نقـرأ قولـه صلى اللــه عليــه وسـلم . **(وفى بضع أحدكم صدقة قالوا يارسول الله أيأتى أحدناشهوته ويكون له فيها أجر قال أرايتم لووضعها فى حرام أكان عليه فيها وزر . فكذلك إذا وضعهافى الحلال كان لهأجر .)** [٣] وهكذا يصحح الإسلام المفـاهيم الخاطئة عن الجنس لدى هؤلاء الشهوانين الذين حصروا أنفسهم فى نطـاق ضيـق انهكوا فيه قواهم لنسيانهم أن شهوة الجنس قد (ركبت فى أجسادهم لهدف أسمى .. هو استمرار النوع على ظهر الأرض.) [٤]

التوجيهات التربوية التشريعية .

يعد الجانب التشريعى عاملا هاما فى بناء الشخصية السوية فى الإسلام فقـد سـن توجيهات عديدة ليجنب الإنسان الوقوع فى المعاصى ما ظهر منها وما بطن سـدا للذرائـع ودرءا للمفاسد.وتختلف تلـك التوجيهـات مـن طـور إلـى طـور بحيـث تتـلاءم مـع الطبيعة الإنسانية.ومن أبرز الحلول التى قدمها الإسلام لمعالجة الإنحرفات الجنسية الزواج.

---

[١] سورة النازعات الايات رقم (٣٧- ٣٨- ٣٩- ٤٠- ٤١).

[٢] أخرجه مسلم فى صحيحه شرح النووى - كتاب الزكاة - باب فضل اخفاء الصدقة الجزء السابع ص ١٢١.

[٣] أخرجه مسلم فى صحيحه - شرح النووى -كتاب الزكاة باب كل نوع من المعروف صدقة الجزء السابع ص ٩٢.

[٤] الإنسان بين المادية والإسلام . محمد قطب ص ٨٥ دار الشروق الخاصة ١٩٧٨م.

الـــــزواج

يعتبر الزواج الطريق الأمثل فى تهذيب وتربية الناحية الجنسية بيـــن الرجـل والمرأة . إذ يقوم على علاقة ذات رباط مقدس يحكمها تشريع إلهى يقضى بحقـــوق وواجبات يلتزم بها كل من الزوجين تجاه الآخر . كما أن الزواج يمثل أسمى معـــانى الحب الإنسانى من نحو المودة والرحمة والسكن ..... ألخ وفى هذا نقرأ قوله تعالى **(ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة إن فى ذلك لآيات لقوم يتفكرون)** [١] فـــالزواج (ينهـــى المشـــكلة الجنسيةفيصرف الطاقة ويهدئ الشهوة الجامحة ؛ ويرتفع بالإنســـان عـن مســتوى الحيوان ؛ ويذكر بالأهداف العليا للحياة الإنسانية) [٢] ومن هذا المنطلق كان قولـــه تعالى **(فانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع فإن خفتم ألاتعدلوا فواحدة أوماملكت أيمانكم ذلك أدنى ألا تعولوا ...)** [٣] ولأهمية الزواج فى بقـــاء المجتمعات واستمرارها جاء توجيهه عليه الصلاة والسلام للشباب بقولـــه **(يامعشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج فإنه أغض للبصر . وأحصن للفرج . ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء.)** [٤] ومن هذا نرى كراهية الإسلام للرهبنة وعدم إقراره لها لأنها تتعارض مع الطبيعة الإنسانية (... كطبيعة مزدوجة ومركبـــة ولايمكن افناؤها فيه .) [٥] وقد كانت الأديرة والكنائس ولاتزال ممتلئة بإتيان المحارم والفواحش تنفيسا عن هذه الغريزة.هذا ويقوم الزواج على محـــاور تربويـــة تتعلـــق بسلامة الإشباع الجنسى منها :-

---

[١] سورة الروم الآية رقم (٢١).

[٢] الإنسان بين المادية والإسلام ص ٢١.

[٣] سورة النساء الآية رقم (٣).

[٤] أخرجه مسلم فى صحيحه . شرح النووى . كتاب النكاح .باب استيجاب النكاح . الجزء التاسع . ص ١٧٢.

[٥] الفكر الإسلامى والمجتمع المعاصر . محمد البهى .ص ٢٥٧ . ط مكتبة وهبة الثالثة . ١٩٨٢م.

أولا :- الحب المتبادل .

يحث الإسلام على إرساء الزواج على عاطفة الحب لتتحقق المودة بصورها المختلفة ؛ ولتدوم الحياة بين الزوجين كما ينبغي أن يكون الحب له بعيدا عن الشوائب التى تكدر صفوه . كأن يحب الرجل زوجه للجنس فقط . فذلك حب مقضى عليه بالفشل ذلك لأن الحب(يتجاوب مع الترقى النفسى للموجود البشرى من حيث إن هذا الموجود هو فى حاجة إلى أن يحب .) [١] كما أنه بالحب يشبع المرء دوافعه فى سعادة وابتهاج وبه يرضى المرء نوازعه الروحية والجسدية معا . ويرقى بذلك الزواج عن الشاذ من العلاقات السلبية العابرة المحرمة بين الرجل والمرأة . كما يساعد الحب على توسعة الدائرة الاجتماعية بين أقارب الزوجين وبذلك تقوى الصلة الروحية الاجتماعية بين الزوجين .

ثانيا اجتناب زواج المحارم.

لما كان القصد من العملية الجنسية بين الرجل والمراة إنجاب الذرية ناهيك عن (اخراج الماء الذى يضر إذا احتبس . وقضاء الوطر ؛ ونيل اللذة ؛ والتمتع بالنعمة.) [٢] فإننا نرى للإسلام تربية أخرى وهى النهى عن زواج المحارم وذلك لما تؤدى إليه من أضرار. من ذلك أن فيها (قلب للفطرة ؛ وتحطيم للمشاعر الإنسانية ؛ فكيف يعلو الإنسان أمه مجامعا لها وأخته كذلك . إن هذا شىء تتقزز منه نفس الإنسان.) [٣] ولذا جاء التشريع الإلهى يعلمنا عدد المحارم من النسب ومن الرضاع فى قوله تعالى(**حرمت عليكم أمهاتكم وبناتكم وأخواتكم وعماتكم وخالتكم وبنات الأخ وبنات الأخت وأمهاتكم اللاتى أرضعنكم وأخواتكم من**

---

[١] موقف الإسلام من الحب محمد إبراهيم مبروك ص ٢٧ ط الدار الإسلامية ١٩٩٦م .

[٢] زاد المعاد ابن القيم الجزء الثالث ص٢٢٢ ط دار عمر بن الخطاب / بدون تاريخ .

[٣] الإسلام سعيد حوى – ص ٢٢.

الرضاعة وأمهات نسائكم وربائبكم اللاتى فى حجوركم من نسائكم اللاتى دخلتم بهن فإن لم تكونوا دخلتم بهن فلاجناح عليكم وحلائل أبنائكم الذين من أصلابكم وأن تجمعوا بين الأختين إلاما قد سلف إن الله كان غفورا رحيما) [١]

وقوله عليه الصلاة والسلام (يحرم من الرضاعة ما يحرم من النسب .) [٢]

كما سبقت الإشارة إلى ذلك فى موطن سابق من هذا البحث . فالنكاح من المحارم قلب للفطرة ويؤدى بدوره إلى ضعف الرغبة الجنسية وذلك للشعور (بالأخوة من قبل المتراضعين فيعزف أحدهما عن الأخر وتقل الرغبة الجنسية .) [٣] أضف إلى ذلك ضعف النسل . من هنا كان التحريم الإلهى تربية للنفس الإنسانية .

ثالثا :- زواج البكر ذات الدين

حث الإسلام أتباعه على اختيار المرأة التى يراد الزواج منها بحيث تكون من (بيئة كريمة معروفة باعتدال المزاج وهدوء الأعصاب . والبعد عن الانحرافات النفسية .) [٤] وهذة التربية تساعد الفرد على تكوين (إتجاه سوى يقوم على تلك الحقائق ويؤثرفى سلوكه ويرتبط ارتباطا مباشرا بمعايير الجماعة وقيمها الخلقية.)[٥] من أجل ذلك رغب الإسلام أتباعه فى الزواج من الأبكار وذلك لنيل مقصود النكاح فهن (أحسن عشرة ؛ وأفكه محادثة ؛ وأجمل منظرا وألين ملمسا وأقرب إلى أن يعودها زوجها الأخلاق التى يرتضيها) [٦] وأكد العلم الحديث ما قرره الإسلام من قبل (فقد توصلت الدراسات الحديثة والإحصاءات الطبية إلى أن التشوهات الولادية أكثر ما تحصل فى ولادات الأمهات كبيرات السن .... وتعانى النساء اللواتى

---

(١) سورة النساء الآية رقم (٢٣).

(٢) أخرجه مسلم فى صحيحه . شرح النووى كتاب الرضاع . الجزء العاشر . ص ٢٤ .

(٣) الطب الوقائى فى الإسلام . عمر بن عبد الله ص ١٢٤ ط دار الثقافة – الأولى . ١٩٩٠ .

(٤) الأسرة فى ضوء الإسلام . فكرى اسماعيل . ص ١٦ – مطابع الشرطة بدون تاريخ.

(٥) علم النفس الاجتماعى . فؤاد البهى السيد ص ١١٥ .ط دار الفكر . الثانية ١٩٨٠ م.

(٦) [illegible]

تزوجن فى سن متأخرة من سرطان الثدى بنسبة أعلى من إصابـــة الصغـيرات .)[١]

وفى هذا يرسم لنا عليه الصلاة والسلام منهج الإسلام بقولـــه (**تنكح المرأة لأربـع لمالها ؛ ولحسبها ولجمالها ؛ ولدينها فاظفر بذات الدين تربت يداك**.)[٢] فالإسلام قد أعطى الإنسان الخيار فى الزواج لكنه رغبه فى الزواج من ذات الدين . كذلك لـــم يحرم المرأة من إبداء رأيها فى الزواج حتى يحدث التوافق المادى والروحى معا فهى (كالرجل تماما ولها أن تطلب إرضاء هذه الرغبة بطريق مشروع سليم .)[٣]

رابعا :- الخطبـــة

تعد الخطبة تهيئة نفسية لكلا الزوجين قبل إقدامهما على الدخول الشـــرعى . ذلك لأن لقاء الرجل بالمرأة دون سابق معرفة بها قد يؤدى إلى النفـور والإعـراض وبالتالى لإضعاف الرغبة الجنسية عند كلا الزوجين . فالخطبة تيسر هذه الأمور وقد شرعها الله عز وجل قبل الارتباط بعقد الزواج بحيث يتعرف كل منهما على صاحبـــه. بهذا يكون الإقدام على الزواج على هـــدى وبصـــيرة.ومـــن هـذا المنطلـــق كـــان إرشاده عليه الصلاة والسلام للمغيرة بن شعبة وقـــد خطـــب امـــرأة بقولـــه (**انظر إليها فإنه أحرى أن يؤدم بينكما** .)[٤] فعن طريـــق الخطبـــة تنكشـــف الحقـــائق وتزول الرهبة بين الزوجين .

---

(١) الطب الوقائى فى الإسلام .ص ١٢٠ .

(٢) أخرجه مسلم فى صحيحه – شرح النووى – كتاب الرضاع – باب استحباب نكاح ذات الدين – الجزء العاشر ص ٥١.

(٣) حقوق المرأة الشرباصى ص ٨٩٢ ط مجله الازهر عدد ابريل ١٩٥٩م .

(٤) أخرجه ابن ماجة فى سننه – كتاب النكاح – باب النظر إلى المرأة . الجزء الأول ص ٥٩٩. ح ١٨٦٥. تحقيـــق محمـــد فـــؤاد عبدالباقى . ط دار إحياء التراث ١٣٩٥هـــ – ١٩٧٥م

خامسا :- المداعبة والملاعبة .

حرص التشريع الإسلامى على تهذيب سلوك أتباعه بالبعد عن سلوك الأنعام . فقد طلب من الرجل عند إرادة الدخول على زوجه من تقديم للمداعبة والملاعبة كـــى لايحدث النفوز والإعراض بينهما.ومن هنا كان ارشاده عليه الصلاة والسلام توجيها لجابرين عبدالله رضى الله عنهما وقد تزوج من ثيب بقولـــــه **(فهلا تزوجت بكرا تضاحكها وتضاحكك وتلاعبها وتلاعبك.)** [١] فالمداعبة والقول الحسن مـــن(قبيـــل التهيئة الجنسية للزوجين نفسيا وعاطفيا قبل الجماع .) [٢]

سادسا :- اجتناب المحيض

مع أن الإسلام أباح الزواج من أجل اللقاء الجنسي إلا أنه من ناحية ثانيه قــد ينهانا عن ذلك اللقاء و إنما وقع ذلك النهى إبقاء على صحة الإنسان من ذلـــك أننـــا نرى الإسلام قد أرشد اتباعه إلى مراعاة الحالة التى تحدث عند النساء وهى المســـاة بالعادة الشهرية . فقد منعنا من اللقاء أثناء الحيض وفى هـــذا نقـــرأ قولـــه تعـــالى **(ويسألونك عن المحيض قل هو أذى فاعتزلوا النساء فى المحيض ولا تقربوهن حتى يطهرن فإذا تطهرن فأتوهن من حيث أمركم الله إن الله يحب التوابين و يحب المتطهرين.)** [٣] فذلك أدعى للبعد عن الأمـــــراض النفســـية و الجنســـية وجـــاءت الدراسات الطبية تقرر ما قرره الإسلام من قبـــل . فهـــذه طبيبـــة متخصصـــة فـــى الأمراض النسائية تقول (لا يقـــدر خطـــورة هـــذه الممارســـة رجـــل لـــم يـــدرس الطب والتشريح قبل ألف و أربعمائة عام مالم يكن وحى مـــن اللـــه ســـبحانه وإنـــه

---

(١) أخرجه مسلم فى صحيحه . شرح النووى . كتاب الرضاع . استحباب نكاح البكر . الجزء العاشر ص ٥٦ .

(٢) العلاج النفسى وتطبيقاته فى المجتمع العربى . قتيبه سالم . فهد بن سعود . ص ١٦٤ .

(٣) سورة البقرة الآية رقم (٢٢٢) .

لرسول الله حقا .) [١] إذن منع الإسلام اللقاء الجنسى بين الزوجين عند حدوث الحيض و ذلك لما يسببه من أمراض عديدة يخبرنا بها الطب الحديث الذى يشهد بعظمة الإسلام بأحكامه العظيمة و تشريعاته الكريمة .

سابعا : - اجتناب الدبر

وإذا كان الإسلام قد حرم اللقاء الجنسى أثناء الحيض لأسباب صحية. فإننا نجده كذلك يحرم إتيان الزوجة فى دبرها لنفس الأسباب .فقد حرص على مراعاة شعور الزوجة بإتيانها من قبلها وهو الموضع الذى حدده الله تعالى لهذا الغرض وذلك حرصا على صحتهم النفسية و الجسدية و فى هذا يقول الله تعالى (**نساؤكم حرث لكم فأتوا حرثكم أنى شئتم و قدموا لأنفسكم واتقوا الله ......**) [٢] فترك الرجل الموضع السليم الذى هو معد لذلك أمر قبيح وذلك لأن الدبر (لم يتهيأ لهذا العمل و لم يخلق له ، وإنما الذى هيىء له الفرج . فالعادلون عنه إلى الدبر خارجون عن حكمة الله و شرعه جميعا .) [٣] و قد نهى التشريع الإسلامى أتباعه عن هذا السلوك الشاذ تربية و تهذيبا لأخلاقياتهم ووصولا بهم لدرجة السمو و الارتفاع الإيمانى و الصحى و النفسى لأن لهذا السلوك أضرار ذكرها ابن القيم حيث يرى .

أولا :- (إن الفرج له خاصية فى اجتذاب الماء المحتقن وراحة الرجل منه . و الوطء فى الدبر لايعين على اجتذاب جميع الماء و لايخرج كل المحتقن .

ثانيا : - يضر من وجه آخر وهو احتياجه إلى حركات متعبة جداً لمخالفته للطبيعة.

ثالثا : - لإنه محل القذر و النجو (التغوط) فيستقبله الرجل بوجهه و يلابسه .

---

[١] الطب الوقائى فى الإسلام . ص ١٠٣ .

[٢] سورة البقرة الآية رقم . (٢٢٣) .

[٣] زاد المعاد . ابن القيم ، الجزء الثالث ص ٢٢٧ ط دار عمر بن الخطاب بدون تاريخ

رابعا :- يضر بالمرأة جدا لأنه وارد غريب بعيد عن الطباع منافر غاية المنافرة .

خامسا :- يحدث الهم و النفرة عند الفاعل و المفعول .) [١] أين هذه التعاليم الإسلامية بعظمتها مع ما يصنع الآن فى المجتمع الغربى الذى أقر اللواطة ولم تعد جريمة يحاسب عليها . ومن جهةأخرى أثبت العلم الحديث أيضا ماقرره ابن القيم رحمه الله من قبل أن اللواطة (تمزق العضلة العاصرة للشرج مما يؤدى إلى حدوث القرح و الإسهال و التغوط اللا أرادى . كذلك تؤدى إلى التدهور فى الصحة النفسية و السقوط اجتماعيا .....) [٢] فالاستمتاع مباح بكل صوره بين الرجل وزوجه الإموضع الدبر حرصا على استمرار الحياة الزوجية و حرصا على الصحة العامة كما عرفنا .

ثامنا :- اجتناب وساوس الشيطان.

حرص التشريع الإسلامى على القضاء كلية على هواجس الشيطان وخطورته المريبة . فللفرد حق الاستمتاع و إشباع رغبته من زوجه لتستريح نفسه . ولكنه عند خروجه لأمور الحياة و السعى على المعاش ربمايرى امرأة أخرى غير زوجه فيعجب بها فتتحرك شهوته نحوها .لذا قطع الإسلام هذا الطريق على أصحابه بتعاليمه السامية .فقد ندب للزوج إتيان زوجه عند حصوله مثل ذلك . فالبضع واحدوبهذا يحصل العفاف و يدفع شهوته و تسكن نفسه و يجمع قلبه على ما هو بصدده.ومن هنا كان قوله عليه الصلاة و السلام (**إذا أحدكم**

---

[١] زاد المعاد ابن القيم . ص ٢٢٧ .

[٢] الطب الوقائى فى الإسلام ص ١٧٢ .

أعجبته المرأة فوقعت فى قلبه فليعمد إلى امرأته فليواقعها فإن ذلك يرد ما فى نفسه.) [1]

هذه جملة من الوصايا الإسلامية أتت كأسس علاجية نفسية لمواجهة أخطار النفس الآمارة بالسوء و صولا بها لقمة الطهارة و العفاف و بعدا عن التشبه بالحيوان . كما امتدت التربية الجنسية فى الإسلام لتشمل مرحلة ما بعد الزواج فتعلن عن أثر الوراثة فى التكوين الخلقى للمولود من حيث وجود الشبه بينه و بين والديه أو عدمه . وجاء إرشاده عليه الصلاة و السلام قاطعا لوساوس الشيطان عندما سأله سائل بقوله (**إن امرأتى ولدت غلاما أسود ..**) [2] فالبياض شيمة الرجل و الغلام يكسوه السواد . ومن هنا تطرق الشك لهذا الرجل فى نسبة المولود إليه أو عدم ذلك ومن هنا كان التوجيه النبوى شافيا للسائل حيث قال له عليه الصلاة و السلام (**هل لك من إبل قال نعم قال ماألوانها قال حمر قال فهل فيها من أورق قال نعم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فأنى هو، قال لعله يارسول الله يكون نزعه عرق له فقال له النبى صلى الله عليه و سلم وهذا لعله يكون نزعه عرق له.**) [3] كل هذا منه صلى الله عليه و سلم حفاظا على ذلك الرباط المقدس و صونا للأعراض من القيل و القال و بعدا عن الهواجس أو الوساوس الشيطانية فإن الشيطان يعجبه أن يفرق بين الزوج وزوجه .

تاسعا : - إباحة التعدد.

بعض الشرائع تمنع التعدد و تكتفى بزوجة واحدة وربما منعت الطلاق بحجة أنه رباط مقدس من الله لا يجوز للإنسان حله كبعض فرق النصارى. وهذا الأمر له

---

(1) أخرجه مسلم فى صحيحه . شرح النووى كتاب النكاح . باب ندب من رأى امرأة . الجزء التاسع ص ١٧٨ .

(2) نفسه - كتاب اللعان - الجزء العاشر - ص ١٣٤ .

(3) أخرجه مسلم فى صحيحه شرح النووى- كتاب اللعان - الجزء العاشر - ص ١٣٤ .

خطره الذى لا يخفى و هو يفصل فى مكانه وليس هذا محله . أما الشريعة الإسلامية فقد أباحت التعدد لأسباب كما أباحت الطلاق بشروطه .على سبيل المثال جعلت الشريعة الغراء للزوجة حق الطلاق و لها أن تطلب ذلك فى أحيان منها.وقوع الضرر الجنسى عليها من جراء العنة وهو مرض يصيب الزوج فلا يستطيع معه إتيان الزوجة وغيرها من أسباب تحول دون التمتع الجنسى من جهة الزوجة لزوجها . وكذا أباح الإسلام للرجل رد العقد وفسخه إذا ثبت بالمرأة عيب يحول دون إتمام العملية الجنسية . وامتدت التربية الجنسية فى الإسلام لتجعل للرجل الحق فى التزوج بأكثر من واحدة إشباعا لغريزته الجنسية ووفقا لضروريات الحياة بشرط احتفاظه للزوجة الأولى بحقوقها وتحرى العدل والإحسان بين الزوجات .وليس التعدد مطلوبا لذاته (إنما هو ضرورة تواجه ضرورة.وحل يواجه مشكلة وهو ليس متروكا للهوى بلا قيد ولاحد فى النظام الإسلامى.) [1] . بل هو مشروط ومقيد بحدود فصلتها كتب الفقه الإسلامى . ولذا كان التوجيه مرشدا للعدل كما جاء فى قوله تعالى (**فإن خفتم ألا تعدلوا فواحدة أو ماملكت أيمانكم ذلك أدنى ألا تعولوا**).[2]

وجاء الوعيد مرهبا بقوله عليه الصلاة والسلام (**من كانت له امرأتان يميل مع أحداهما على الأخرى جاء يوم القيامة وأحد شقيه ساقط**) . [3] أى يجىء يوم القيامة غير (مستوى الطرفين بالنظر إلى المرأتين بل كان يرجح أحداهما .) [4]

فالشريعة الإسلامية بذلك قد فتحت للأفراد أبواب الحلال وأوصدت أمامهم طرق الحرام التى تؤدى لأمور عاقبتها وخيمة . وعلينا أن نلقى بأنظارنا على مايقع الآن فى أوروبا من العرى والفحش وغير ذلك . فالمبدأ العام الذى يقوم عليه

---

(1) فى ظلال القرآن . سيد قطب . الجزء الأول ص ٥٨٢ ط دار الشروق . السابعة عشرة . ١٩٩٠م
(2) سورة النساء . الاية رقم (٣).
(3) أخرجه ابن ماجه فى سننه . كتاب النكاح . الجزء الاول . ص ٦٣٣ . ح ١٩٦٩ .
(4) نفسه . هامش . كتاب النكاح . الجزء الاول ص ٦٣٣ .

الزواج أن يكـــون الهـــدف مـــن الـــزواج (الوفـــاق والانســـجام وإبعـــاد القلاقـــل والخصومات النفسية ٠) [(١)]

ثانيا :- الصيام وأثره فى التربية الجنسية ٠

يعتبر الصوم مدرسة ربانية تربوية تقى الإنسان الوقوع فى المعاصى ٠ وذلك لأن الصوم لايتوقف صاحبه عن الطعام والشراب فقط بل يعد تزكية للروح والجســـد معا .ومن هذا المنطلق كان قوله عليه الصلاة والسلام (**إذا أصبح أحدكم يوما صائما فلا يرفث ولايجهـل فـان أمرؤ شاتمه أو قاتله فليقـل إنـى صائم ٠ إنـى صائم ٠**)[(٢)] فالصوم تدريب عملى يعصم الإنسان عن الوقوع فى الزلل وذلك لتذكر الصائم الأجـــر والثواب الذى أعده الله له إن هو حافظ على صيامه. وهو نوع من الإبدال النفســـى لصرفه الطاقه الذهنية والجسدية من الحرمة إلى الحل .فلا يجد الشـــاب إلا حـــلاوة الإيمان تتغلغل فى نفسه ومن هنا كان إضافة الصيام إلى الله وحده وهذا مايرويـــه عليه الصلاه والسلام عن رب العزة بقوله (**كل عمل ابـن آدم له إلا الصيـام فإنـه لـى وأنـا أجزى بـه ٠٠٠**) [(٣)] كذلك يتكاتف الصوم مع الصلاة فى نهى المسلم عن الفحشاء والمنكر مصداقا لقوله تعالى (**اتل ماأوحى إليك من الكتـاب وأقـم الصلاة إن الصلاة تنـهى عن الفحشاء والمنكر ولذكر الله أكبر والله يعلم ماتصنعون ٠**) [(٤)]

فيوم الصائم كله عبادة توقظ القلب وتحييه وتحفظ الجسد وتنميـــه. كمـــا أن الصوم فوق ذلك كله يخفف من حرارة الغريزة الجنسية وهو بذلك يعتبر تهذيبا لها٠

---

(١) الإسلام فى حياه المسلم ٠ محمد البهى ٠ ص ٢٣٢ ٠

(٢) أخرجه مسلم فى صحيحه.شرح النووى .كتاب الصيام . باب فضل الصيام.الجزء السابع ، ص ٢٨ ٠

(٣) أخرجه مسلم فى صحيحه . شرح النووى.كتاب الصيام باب فضل الصيام . الجزء السابع ص ٣١ .

(٤) سورة العنكبوت ٠ الآية رقم (٤٥) ٠

الحدود ودورها فى التهذيب والتربية الجنسية

علمنا مما سبق أن الإسلام قد سد كل الطرق المؤدية للوقوع فـى الفاحشـة صيانة للمجتمع وحفظا لكيانه من الانحطاط الأخلاقى ودفعا لرقيه المتواصل ٠ وفـى هذا الإطار كانت الحدود ترهيبا للمسلم من الجناية أو اقـتراف المعـاصى وتأديبـا للمفسدين والخارجين عن نهج الإسلام فهى موانع قبل الفعل زواجر بعده ٠ وقد قيل فى حق الحدود إنها للمؤمن جوابر وللكافر زواجر ٠ وهى موضوعـة فـى إطـار متناسب مع نفسية الناس جميعا.وهى تختلف من حد إلى آخر ومن هذه الحدود التى سنها الإسلام حد الزنا.

اولا:- حـد الزنـا

وهو محاولة من بعض الناس لإشباع غريزتهم الجنسية بطريق غير مشروع وله مضاره الشخصية والاجتماعية التى تؤدى إلى انتشار الأمراض وانهيار الأسـر والمجتمعات ٠ وفى هذا الإطار كانت حكمة الإسلام البالغة فى أمره بالابتعاد عن هذا الأمر بقوله تعالى (**ولاتقربوا الزنا إنه كان فاحشة وساء سبيلا ٠**)[١] والحل السليم هو الزواج كما علمنا سابقا. وقد أوجب الإسلام الجلـد والرجـم كعقوبتيـن للزنـا فللمحصن (المتزوج) الرجم حتى الموت ولغيرة الجلد مائة جلدة والتغريب مدة عام عن بلد الزنا ٠ وتلك أوامر حكيمة أوجبها الله تعالى فى كتابه وطبقها رسوله صلـى الله عليه وسلم على البالغين فمن ذلك قوله تعـالى (**الزانية والزانى فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة ولاتأخذكم بهما رأفة فى دين الله إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الأخر وليشهد عذابهما طائفة من المؤمنين**)[٢] وعند تـأمل هـذه الآيـة الكريمة نلاحظ مايلى :-

---

(١) سورة الإسراء الآية رقم (٣٢)٠

(٢) سورة النور الآيه رقم (٢)٠

أولا:- التسمية المشينة للفاعل والمفعول به أى بالزانية والزانى .

ثانيا :- الأمر بالجلد لكل منهما لأن التوافق قد حدث منهما معا .

ثالثا :- التقدير الكمى للعدد بالمائة فيه من القوة والنكال والتشـــديد. فمــن يقدر على تحمل ذلك .

رابعا:- الأمر لأولى الأمر بأخذ الشدة على الزناة ولو كـــان قريبيــن فـلا شفاعة فى حد إلهى. وهذا يذكرنا بموقفه عليه الصلاة والسلام من أسامه بن زيــد رضى الله عنهما والذى جاء ليشفع فى المرأة المخزوميـــة والتـــى كـــانت (**تستعير المتاع وتجحده فأمر النبى صلى الله عليه وسلم بقطع يدها**). [1]

خامسا :- إعلان الحد على ملأ من الناس وفيه من النكال والوبــال مـايود المقترف له لو ابتلعته الأرض ولم يره أحد.كما أن إعلان الحد فيه فضيحة للمقـترف كما علمنا.وفيه أيضا زجر لكل من تسول له نفسه فعل هذا الأمر .فهو فـــى نفسـية المجلود نكاية وفضيحة وواقعه أشد على نفسية الشاهدين له . وقد ثبت أنــه عليــه الصلاة والسلام رجم (**ماعزا والمرأة الغامدية ورجم يهوديين و امرأة من عامر من الأزد**) [2] لاقترافهم هذه الجريمة . كما أن الزنا من جهة أخرى لايعطى للمرأة صفة شخصية ككيان فى المجتمع بل يساعد على انتشار البغاء وكـذا الزنـاة. والمــرأة الزانية (تعمد إلى التخلص من جنينها فى بيئة غير طيبة غالبا فتصاب بالتسمم فـــى الكبد والكليتين ... كذلك يجعلها موطنا للأمراض الفتاكةالأخرى كالإيدز وهو فقدان

---

(١) أخرجه مسلم فى صحيحه . شرح النووى . كتاب الحدود . باب قطع السارق الشريف وغيره . الجزء الحادى عشر . ص ١٨٦

(٢) بداية المجتهد ونهاية المقتصد . ابن رشد . تحقيق محمد سالم محيسن . شعبان محمد اسماعيل . الجزء الثانى ص ٤٦٨ .ط مكتبة الكليات الأزهرية ١٩٧٠ م.

المناعة ، وتدمير الجهاز العصبى والسيلان ...) [1] ولم تترك الشـريعة الغـراء هذا الباب مفتوحا على مصراعيه لكل من تسول له نفسه قذف الناس ورميهم بالزنـــا . بل شددت فى هذا الجانب تشديدا صارما فكان التغليظ فى زيادة عدد الشـــهود إلـــى أربعة فى واقعة الزنا حتى لاتختلف كلمتهم فى هذا الشأن. وماذاك إلا حفاظـــا علـــى حرمات الناس وسترا لعوراتهم ومن ذلك تقريره للعقوبة على هؤلاء القاذفين بقولـــه سـبحانه (**والذين يرمـون المحصنـات ثـم لـم يـأتوا بـأربـعـة شـهداء فـاجلدوهم ثمانين جلدة ولاتقبلوا لهم شهادة أبدا وأولئـك هـم الفاسـقون.**) [2] كل ذلك حفاظا على المرء وكرامته .

وقفة مع بعض المفاسد الشاذة.

ثانيا :- اللـــــواط

من المفاسد التى دعـا الإسلام أتباعه البعد عنهـــا واجتنابهـــا مايســـمى باللواط وهو فعلة تنسب إلى قوم سيدنا لوط عليه السلام فقد ظهرت وانتشرت فيهم هذه الفاحشة .ويقصد به الجماع الشرجى سواء أكان الملوط به ذكراأوأنثى وصواماً حاداًومزمن حيث يعتاد المرء هذا الفعل الخبيث.) [3] وفيـــــه نقرأ قوله تعالى (**أتأتون الذكران من العالمين وتذرون ماخلق لكم ربكم من أزواجكم بل أنـتم قوم عادون .**) [4] وقـــد صب الله تعالى عليهم صنوف العذاب المختلفة فأخذتهم (الصيحة الهائلة المنكرةعند بزوغ الشمس.و ثانيها أنه جعل عاليها سافلها.و ثالثها أنه أمطر عليهم حجارة مـــن سجيل.) [5] وبذلك طهر الله الأرض من أدناسهم .واللواط مخالف للفطرة الإنسانيـــة وفيه قضاء على الأفراد كلبنة صالحة فى بناء المجتمعات. إذ تقضى علـــى رجولة

---

(1) دليل الانفس بين القرآن الكريم والعلم الحديث . توفيق محمد عز الدين . ص ٤١٠ ط دار السلام ١٩٨٢م .

(2) سورة النور الآية رقم (٤)ــ (٣) ـ مع الطب فى القرآن الكريم .ناظم نسيمى عبدالحميد دياب ص ١٧٧ مؤسسة علوم القرآن ١٩٨٠) .

(4) سورة الشعراء . الآيتين رقم (١٦٥،١٦٦)

(5) راجع التفسير الكبير.الرازى جـ . التاسع عشر . ص ٢١٣ . ط دار الفكر ١٩٩٥م

الإنسان فضلا عن الأمراض الخطيرة الناتجة عنه. ولأجل هذه المخاطر شدد الإسلام على فاعلى هذا الأمر ووصفهم باللعن والجهالة والإسراف والاعتدادوفى هذا نقرأ قوله عليه الصلاة والسلام (**لعن الله من عمل عمل قوم لوط٠٠ثلاثا**) [1] وقد أجمع أهل العلم على تحريم تلك الفاحشة وعلى رأسهم الصحابة الكرام رضوان الله عليهم أجمعين وأوجبوا قتل اللوطى واختلفوا حول صفة القتل . [2]

ثالثا : السحاق

كذلك نهى الإسلام عن السحاق وهو (ولع المرأة بالمرأة ومضاجعتها أو ولع الكهلة بفتاة جميلة واتخاذها خليله وحبيبة .) [3] وقرر الفقهاء التعزير فيه ذلك لأنه لايتضمن (ايلاجا فأشبه المباشرة دون الفرج وعليهما التعزير لأنه زنا لاحد فيه فأشبه مباشرة الرجل المرأة بغير جماع ٠) [4] ويتضمن النهى أيضا إتيان البهائم. فنرى الشارع الحكيم وقد نهى عنه. فقد ذهب جملة من الفقهاء (كعطاء والشيمى والنخعى والحاكم ومالك والثورى وأصحاب الرأى واسحاق وهو قول الشافعى بتعزير فاعل هذا الأمر.حيث لم يثبت فيه نص صحيح ولايمكن قياسه على الوطء فى فرج

---

(1) أخرجه أحمد فى مسنده المجلد الاول ٠ ص ٣٠٩ ط مؤسسة قرطبة ٠ بدون تاريخ

(2) روى عن أحمد رحمه الله (أن حده الرجم و هذا قول ابن عباس وعلى وجابربن زيد وعبد الله بن معمر والزهرى وابن حبيب وربيعه ومالك واسحاق وأحد قولى الشافعى وقتادة والأوزاعى وأبو يوسف محمد بن الحسن وأبو ثور وهو المشهور من قول الشافعى. لأنه إيلاج فرج آدمى فى فرج آدمى لاملك له فيه ولاشبهة ملك.فكان زنا كالإيلاج فى فرج المرأة.وإذا ثبت كونه زنا دخل فى عموم الآية والأخبار فيه ولأنه فاحشة فكان زنا كالفاحشة بين الرجل والمرأة .وروى عن أبى بكر رضى الله عنه أنه أمر بتحريق اللوطى ٠٠٠ وذهب الحاكم وأبو حنيفة أنه لاحد عليه لأنه ليس بمحل الوطء فأشبه غير الفرج ٠ وهذا قول غير مسلم لأنه يخالف النص والإجماع.وقياس الفرج على غيره لايصح لما بينهما من الفرق وإذا ثبت هذا فلا فرق بين أن يكون فى مملوك له أو اجنبى لأن الذكر ليس بمحل لوطء الذكر فلا يؤثر ملكه له. ولو وطىء زوجته أو مملوكته فى دبرها كان محرما ولاحد فيه لأن المرأة محل للوطء فى الجملة.)
• راجع المغنى لابن قدامة الحنبلى ٠ الجزء العاشر ص ١٦٠ ومابعدها ط دار الكتاب العربى ١٩٨٣م ٠

(3) قاموس الأمراض النفسية والعصبية ٠ أميل خليل بيديس٠ ص ١٤٠ ط دار الافاق،الأولى١٩٨٦، م ٠

(4) المغنى - الجزء العاشر ص١٦٢.

الآدمى لأنه لاحرمة لها وليس بمقصود يحتاج فى الزجر عنه إلى الحد . فإن النفوس تعافه وعامتها تنفر منه فبقى علىالأصل فى انتقاء الحد والحديث (**من أتى بهيمة فاقتلوه واقتلوها معه.**) يرويه أبوداود عن"عمر وابن أبى عمرو".ولم يثبته أحد .وقال الطحاوى هو ضعيف ومذهب ابن عباس خلافه وهو الذى روى عنه. قال أبوداود هذا يضعف الحديث عنه . قال اسماعيل بن سعيد سألت أحمد عن الرجل يأتى البهيمة فوقف عندها . ولم يثبت حديث "عمرو بن أبى عمرو" فى ذلك ولأن الحد يدرأبالشبهات.) [١]

ويصل الأمر بالإسلام إلى هذا الحد من الحفاظ على صحة الإنسان فنراه يحرم بما يسمى بالعادة السرية وإليك الحديث عنها .

رابعا :- العادة السرية .

من محاسن الإسلام أنه يحافظ على ماء الإنسان لأنه نور العينين ومخ الساقين ولذلك نجد الإسلام له كلمته فى الاستمناء الذى فيه ضياع ماء الإنسان . وعرفوه بأنه محاولة(الإنسان استخراج ماءه عن طريق استعمال اليد فى ذلك.)[٢] طلبا للشهوة واللذة وقد اختلف الفقهاء فى حكم فاعله (فمنهم من رأى أنه حرام مطلقا ؛ ومنهم من رأى أنه حرام فى بعض الحالات وواجب فى بعضها الأخر ؛ ومنهم من ذهب إلى القول بكراهيته.) [٣] وعلى كل فإن هذا الأمر يعرض صاحبه للإنهاك بسهولة خاصة إذا قام بأى جهد جسدى . أيضا يؤثر على الناحية العقلية لديه كذلك تمتد أثارة السيئة إلى التسيب فى بعض العجز الجنسى. [٤] ويمكن صرف

---

[١] المغنى . الجزء العاشر ص ١٦٢.

[٢] فقة السنة / السيد سابق - الجزء الثانى ص ٣٦٧ . ط دار التراث .

[٣] نفسه ص ٣٦٧.

[٤] راجع الطفولة .زكية حجازى ص ٣٧٥ . ط الهيئة العامة المصرية للكتاب . ١٩٩٤م.

الأبناء عن ذلك بشغلهم بأمور الحياة المفيدة كالإنتاج والعمل ونحوه وكذا صرفهم عن الطرق المؤدية لإثارة غرائزهم ؛ وبذلك يتعود الأبناء على التفكير السليم .

فضلا عن بث الوازع الدينى لديهم بخشية الله والخوف من انتهاك حرماته .

الأسرة ودورها فى التربية الجنسية .

يلعب الوالدان دورا هاما فى تنشئة الأبناء وتكوين شخصيتهم ولذا ركز الإسلام على الأسرة باعتبارها اللبنة الأولى فى بناء المجتمع. فأى انحراف فيها يعود أثره على المجتمع . فصلاحه بصلاحها وفساده بفسادها . ومن هنا جاءت كلمات الرسول صلى الله عليه وسلم مضيئة وموجهة الأبوين للمسئولية فى قوله عليه الصلاة والسلام (**ألا كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته ؛ فالأمير الذى على الناس راع وهو مسئول عن رعيته .والرجل راع على أهل بيته وهو مسئول عنهم ؛ والمرأة راعية على بيت بعلها وولده وهى مسئولة عنهم ؛ والعبد راع على مال سيده وهو مسئول عنه . ألا فكلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته .**) [1]

وفى هذا الإطار التعليمى يجب على الأبوين مراعاة الفروق الفردية بين الأبناء سواء أكانت جسيمة أوعقلية . فجهل الأبوين باختلاف المراحل العمرية للطفل وطبيعة كل مرحلة يعد سببا فى شذوذ الأبناء وذلك لغياب التوجيه السديد والحكمة البالغة فى إجابة الطفل عما يشغله . فيجب على الآباء مراعاة مدارك الطفل إلى (جانب عدم المبالغة فى الأمر والنهى بل من العمد إلى الشرح والإيضاح والإقناع.) [2] وهذا الأمر يحتاج لتربية فكرية من شأنها أن تمنح الإنسان القدرة على التميز بين الغث والثمين. [3] وهذا الأمر أيضا يحتاج لمصادقة الأبناء فذلك أدعى لقبول النصح

---

[1] أخرجه مسلم فى صحيحه . شرح النووى . كتاب الإمارة . باب فضيلة الأمير العادل . الجزء الثانى عشر . ص ٢١٣ .

[2] التربية قديمها وحديثها . فاخرعاقل ص ٣٩٨ .ط دار العلم للملايين.الرابعة .١٩٨٥م.

[3] الإسلام والجنس – فتحى يكن . ص ٧٨ ؛ ٧٩ مؤسسة الرسالة . ١٩٨١م.

والإرشاد وإزالة الفجوة بين الآباء والأبناء. فالآباء لهم حق مباشرة الأبناء وتربيتهم وهذة ميزة لاتتوافر خارج البيت للأصدقاء أو المدرسين مثلا ..... ألخ

فلهم التوجيه ولهم حق الإلزام على الأبناء على سبيل المثـــال نجـد البنـت تفصح بأشياء لأمها لايمكن أن تفصح بها لغيرها وكذا الولد.وبذلك يتهيأ الطفل لحياة جنسية تهيئة سليمة . وهذا يتطلب أيضا متابعة الأبناء متابعة دورية وذلـــك بمــلء أوقات فراغهم بما ينفعهم والتدقيق فى اختيار أصدقائهم وعدم الانفكاك عن رعايتهم فالغريب أن بعض الآباء يربون أبناءهم حتى سن البلوغ فإذا جاء سن الرشـد تـرك الآباء أبناءهم أحرارا. [١]

وهذا أسلوب غير ناجح فى التربية . أو الاشتغال عن الأبناء بأعبـاء الحيـاة فينجرف الأبناء فى تيار الرذيلة وفى هذا تقول (**إيليـن ليـدو**) التى شاركت فى إنشاء خط هاتفى مفتوح لمعالجة مشكلات المرأة المراهقيــن بمركـز (**سيداوز سيناى**) الطبى بلوس أنجلوس(الكل فى غاية الانشغال لدرجة أنه ليس لدينا من الوقت لنستمع إلى أولادنا .)[٢] ومن هنا قد لايدرى الوالدان بلوغ طفلهما لبعدهما عنه وربما يؤدى هذا الأمر لمحظور . فالبلوغ تختلف طبيعتهمن مكان إلى مكان (فعـادة مـا يحـدث البلوغ عند البنات فى سن الثانية عشرة أو الثالثة عشرة من العمـر فـى الحـالات الاعتيادية . ومن المعروف أن سن البلوغ يتأثر لحد كبير بنحو المنطقة التـى تنشـأ فيها الفتاة منذ الطفولة . ففى المناطق الحارة حول خط الاستواء يحدث البلوغ للبنت قبل العاشرة وعلى النقيض من ذلك فقد يتأخر بلوغ الفتيات فى منـاطق الأسـكيمو الباردة وقرب القطبين إلى السنة السابعة عشرة من العمر أو بعد ذلك ....)[٣] وعنـد التعرف على البلوغ ووقته لدى الأبناء يجب التفرقة بيــن الذكـور والإنـاث فـى

---

(١)راجع نحو تفسير موضوعى للقرآن الكريم . محمد الغزالى . ص ٢٢١ ط دار الشروق ١٩٩٥م .

(٢) الإسلام حضارة الغد . يوسف القرضاوى . ص (٧٦) ط مكتبة وهبة الاولى ١٩٩٥م.

(٣) طبيعة الأعضاء الخاصة . أحمد نعيم ص (٣) ط مجلة طبيب المجتمع - العدد الثالث ط الكويت ١٩٦١م.

المضاجع نظرا لخطورة هذا السن . فكل يحاول التعرف على ما لدى الآخر .ومن هنا كانت التوصية الإسلامية بالتفريق بين الذكور والإناث فى المضاجع. وقد جاء هذا النصح والأمر على لسان المعصوم صلى الله عليه وسلم فى قوله **(مروا أولادكم بالصلاة وهم أبناء سبع سنين ؛ واضربوهم عليها وهم أبناء عشر ؛ وفرقوا بينهم فى المضاجع)** [1] كما يجب على الأبوين تجنيب أبناءهم المثيرات الجنسية بالنصح قولا وبالفعل كفا . فللطفل نزعات وميول طبيعية تتدرج فى نموها وتقوى بالتطور العمرى.

وفى هذا الإطار نرى الإسلام يرشد الآباء لتوجيه أبنائهم نحو آداب منها **الإستئذان** فى الدخول عليهم فى أوقات راحتهم حتى لاتقع أعينهم على ما حرم الله تعالى وفى هذا يقول الله تعالى **(يا أيها الذين آمنوا ليستئذنكم الذين ملكت أيمانكم والذين لم يبلغوا الحلم منكم ثلاث مرات من قبل صلاة الفجر وحين تضعون ثيابكم من الظهيرة ومن بعد صلاة العشاء ثلاث عورات لكم ليس عليكم ولا عليهم جناح بعد هن طوافون عليكم بعضكم على بعض كذلك يبين الله لكم الآيات والله عليم حكيم.)** [2] (*) كما حرص الإسلام على رفع الحرج عن الناس فيما يتعلق بالسؤال عن أمور الدين . وقد كانت الصحابيات الجليلات يسألن رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما يعرض لهن من أمور تتصل بالجنس فقد جاءت أم سليم **(وقالت يارسول الله إن الله لا يستحى من الحق.هل على المرأة غسل إذا احتلمت قال نعم إذا رأت الماء.)** [3] ومن هنا يجب على الأبوين غرس هذا المفهوم لدى أبنائهم دون استنكار ودون خدش حياء. وهذه الأمور وإن استدعت حياءإلا أنه حياء من نوع

---

[1] أخرجه أبو داود فى سننه . كتاب الصلاة .باب متى يؤمر الصبى بالصلاة . الجزء الاول ص ١٣٣ح (٤٩٤).

[2] سورة النور الآية رقم (٥٨) .

(*) يذكر الإمام الواحدى أن هذه الآية نزلت فى سيدنا عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال (ابن عباس وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم غلاما من الأنصار يقال له مدلج ابن عمرو إلى عمر بن الخطاب رضى الله عنه وقت الظهيرة ليدعوه فدخل فرآى عمر بحالة كره عمر رؤيته ذلك فقال يا رسول الله وددت لو أن الله تعالى أمرنا ونهانا فى حال الاستئذان فانزل الله هذه الآية . ويذكر أيضا عن مقاتل أنها نزلت فى "أسماء بنت مرثد" كان لها غلاما كبيرا فدخل عليها فى وقت كرهته فأتت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت إن خدمناوغلماننا يدخلون علينا فى حال نكرهها فأنزل الله هذه الآية . راجع أسباب النزول الواحدى ص ٢٤٨ .

[3] أخرجه مسلم فى صحيحه .شرح النووى - كتاب الغسل - باب الغسل على المرأة - الجزء الثالث ص٢٢٢).

خاص حيث إنه يدور فى إطار الشرع وأما الحياء الذى (ينشأ عنه ترك بعض ما يجب فليس حياءاً شرعيا بل هو عجز وتهاون فى أمور الدين.) [١]

أساليب وقائية تربوية

أولا – تجنب الفحش فى القول :

من الأمور التى أمر الإسلام بتجنبها والبعد عنها لأنّها تثير الغريزة الجنسية لدى الإنسان.الفحش فى القول والحديث فى هذا الشأن من الجنس .فقد حرص الإسلام دوما على تزكية أعضاء الإنسان ببعدها عن اقتراف المعاصى وحمله مسئولية استعمالها فى غيرما أمر الله تعالى وفى هذا نرى إرشاد الدين حيث يقول الله تعالى (**ولا تقف ماليس لك به علم إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسئولا .**) [٢] كما نهى الإسلام المرأة أن تفضى للمرأة أو تحدثها عن علاقتها الجنسية بزوجها وكذا الرجل للرجل . وفى هذا نقرأ قوله عليه الصلاة والسلام (**إن من أشر الناس عند الله منزله يوم القيامة الرجل يفضى إلى امرأته وتفضى إليه ثم ينشر سرها.**) [٣] ومن هذا أيضا قوله عليه الصلاة والسلام (**كل أمتى معافاة إلا المجاهرين . وإن من الإجهار أن يعمل العبد بالليل عملا ثم يصبح قد ستره ربه فيقول يافلان قد عملت البارحة كذا وكذا وقد بات يستره ربه . فيبيت يستره ربه ويصبح يكشف ستر الله عنه .**) [٤] فهذا من الفحش المنهى عنه والذى يسقط مكانة المرء بين أتباعه . فضلا عن الوعيد الأخروى يوم القيامة.وقد جاء الوعيد فى قوله تعالى (**إن الذين يحبون أن تشيع الفاحشة فى الذين آمنوا لهم عذاب أليم**

---

[١] سبل السلام – الصنعانى – تحقيق محمد الخولى – الجزء الرابع ص ٢٠٦ ط الحلبى الرابعة ١٩٦٠م .

[٢] سورة الإسراء الآية رقم (٣٦) .

[٣] أخرجه مسلم فى صحيحه . شرح النووى . كتاب النكاح . باب تحريم إفشاء سر المرأة . الجزء العاشر ص ٨ .

[٤] المرجع السابق . كتاب الزهد . باب النهى عن هتك الإنسان ستر نفسه . الجزء الثامن عشر . ص ١١٩ .

فى الدنيا والآخرة والله يعلم وأنتم لا تعلمون .) [1] هكذا نـــرى محاســـن الإســـلام وتربيته الحسنة لأتباعه حيث أمرهم بالبعد عن مثل هذه الأمـــور واجتنـــاب الذيـــن اتخذوا دينهم لهوا ولعبا والتحلى بأخلاق المؤمنين الذين قال اللــــه فيهـــم .**(وإذا مروا باللغو مروا كراما.)** [2]

<u>ثانيا :- تجنب المثيرات الجنسية .</u>

إن النساء حبائل الشيطان وكيدهن أعظم نكاية من كيد الشيطان . لذلك قـــوم الإسلام سلوك أفراده تقويما سليما،ومن ذلك أمره النساء بعدم التقول بالكلام الليـــن حتى لا يطمع الذى فى قلبه مرض ويأتى بسلوك شاذ معها وفى هذا نقرأ قوله تعالى **(فلا تخضعن بالقول فيطمع الذى فى قلبه مرض وقلن قولا معروفا.)** [3] وفـــى هـــذا المعنى يأتى النهى من الله تعالى عن تتبع سبل الشيطان التى تثير الجنس ومن ذلـــك قراءة القصص الماجنة . والأدب المنحط بدعوى الثقافة فمن ذلك نقـــرأ مـــا كتبـــه صاحب سيرة ذاتية خاصة يقول فيها كلاما يستحى صاحب العقل السليم أن يذكره ونكتفى بالإشارة إليه فى موضعه .(٤)

فهذا انحطاط أخلاقى يقوى الرغبة للجنس عند بعض الأفراد ولاشـــك فهى سبل الشيطان لعنه الله. ومنها أيضا ما ورد فى سفر الأناشـــيد مـــن عبـــارات تخدش الحياء وتعبر عن الجنس فى وضوح نقـــرأ تلك العبارات (.. ما أجمل رجليك بالنعلين يا بنت الكريم . دوائر فخذيك مثل الحلى صنعة يدى صناع . ســـرتك كـــأس مدورة لايعوزها شـــراب ممـــزوج . بطنـــك صـــبرة حنطـــة مســـجية بالسوســـن .

---

(١) سورة النور الآية رقم ١٩ .

(٢) سورة الفرقان الآية رقم ٧٢ .

(٣) سورة الأحزاب الآية رقم ٣٢ .

(٤) تعدد نساء الأنبياء ومكانة المرأة .محمد عبدالوهاب ص ٣٦٢ . ط مكتبة وهبة الأولى ١٩٨٩م .

ثدياك كخشفتين توأمى ظبية . عفقك كبرج من عـــاج ...) [١] أى أدب هــذا ؟ وأى كتاب هذا يكشف ما أمر الله بستره ؟ومن هنا كان على القــارئ تجنب مثـل هـذه الروايات والبعد عنها ففيها (ردة إلـى الفوضى والتوحش الإنسانى وإهدار لجهـاد الإنسان عبر السنين فى سبيل الحق والخير والجمال.) [٢]

كما ينأى صاحب السلوك السليم عن مشاهدة الأفلام الجنسـية والمسلسـلات الإباحية بشكل صريح وواضح . كما طالب الإسلام المرأة بالبعد عن التبرج والزينـة لغير الزوج لأن هذه الأمور ستؤدى لاستثارة الرغبة الجنسية لدى الرجال خاصة إذا خرجت المرأة بها على مجتمع الرجال وفى هذا نقرأ قوله تعالى(**ولا يبدين زينتهن إلا ما ظهر منها وليضربن بخمرهن على جيوبهن .. ...**) [٣] فلا يصح أن تظهر المرأة مفاتنها لغير زوجها وإلا تكون قد نزلت بنفسها لدرجه دنيئة وعرضت نفسها لأنظـار الناظرين واستباح الذئاب النظر إليها ليقضوا أوطارلذتهم ومتعتهم فيها كمـا يحـدث على الشواطئ أوفى أماكن اللهو الخبيثة . وفى هذا نقرأ قوله عليه الصلاة والسـلام (**إذا استعطرت المرأة فمرت على القوم ليجدوا ريحها فهى كذا وكذا ....**) [٤] إذا كان هذا لمجـرد الرائحـة فمـا بـال التعـدى بأشـكاله المختلفـة لاشـك أن هـذا يعرضهـا للامتهـان وخـدش حيائهـا وكرامتهـا .ولعـل أكـثر حـوادث الاغتصـاب تـأتى مـن وراء ضيـاع عفـة المـرأة وعـدم تمسـكها بدينهـا

---

[١] سفر الأناشيد (الإصحاح السابع) الفقرة من (١ إلى ٩) ص ٩٩٠ ط دار الكتاب المقدس .

[٢] تعدد نساء الأنبياء ومكانة المرأة محمد عبدالوهاب ص (٣٥٩) مكتبة وهبة الأولى ١٩٨٩م .

[٣] سورة النور الآية رقم (٣١) .

[٤] أخرجه أبو داود فى سننه – الجزء الرابع.ص ٧٩ ح (٤١٧٣) تحقيق محمد محي الدين.ط دار الفكـر بدون تاريخ .

الإسلامى [١] كذلك أمر الإسلام المرأة بالاعتدال فى مشيتها حتى لاتثير الرجال فقــال تعالى (... ولا يضربن بأرجلهن ليعلم مايخفين من زينتهن ....) [٢]

كذا طالب الإسلام باعتدال الرجال والنساء فى اللباس بحيث لايثــير الغريــزة الجنسية ومن ذلك جاء لعنه عليه الصلاة والسلام(الرجل يلبس لبسة المرأة والمرأة تلبس لبسة الرجل.) [٣] كما نهى عن الملابس الشفافة والتى تصف ما تحتها ولا تستر شيئا . ومن ذلك جاء الوعيد لفاعلى هذا الأمر فى قولــه عليــه الصــلاة والسلام (صنفان من أهل النار لم أرهما . قوم معهم سياط كأذناب البقر يضربون بها الناس ، ونساء كاسيات عاريات مائلات مميلات رؤوسهن كأسنمة البخت المائلة، لايدخلن الجنة ولا يجدن ريحها وإن ريحها لتوجد من مسيرة كذا وكذا.) [٤]

ثالثاً : الأمر بغض البصر

يعتبر النظر عاملا هاما فى تحريك الشهوة لدى الإنسان لذلك نهى الإســلام الرجــال والنساء على السواء من النظر دون حاجة وفى هذا نقرأ قوله تعالى (قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم ويحفظوا فروجهم ذلك أزكى لهم إن الله خبير بما يصنعون .) [٥] وكذا طالب النساء بذلك بقوله (وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن

---

[١] فمن هذا المجن الفاحش مافعلته إيفيت اليهودية فى رقصتها الشهرة . فتقوم بخلع ملابسها قطعة قطعة فى حركات تمثيلية وكأنها ذاهبة إلى النوم وبالفعل كانت ذاهبة ناحية فراش تم وضعه فى وسط المسرح الذى جلس حولها الجمهور وهم فى قمة الإثارة وهكذا ولدت مهنة ر قصة العرى الإباحى فى أكتوبر ١٨٩٧م.)
راجع جريدة الميدان المصرية . مقال بقلم ممدوح يوسف ص (٨) العدد ٢٠٧ الثلاثاء ٢٦ جمادى الأخرة

[٢] سورة النور الآية رقم (٣١) .

[٣] أخرجه أحمد فى مسنده المجلد الثانى ص (٣٢٥) ط مؤسسة قرطبة بدون تاريخ .

[٤] أخرجه مسلم فى صحيحه – شرح النووى – كتاب الجنة.باب جهنم أعاذنا الله منها.الجزء السابع عشر ص (١٩٠) .

[٥] سورة النور الاية رقم (٣٠).

ويحفظن فروجهن ولايبدين زينتهن إلاما ظهر منها ...) [١] وإنما كان النهى والتربية والتهذيب الإسلامى لأنَّ ذلك أدعى للفتنة وأقرب للفاحشة.

رابعا . البعد عن الاختلاط.

ويستمر الإسلام فى التربية ليصل بأتباعه إلى بر الأمان وذلك بتكوين المجتمع الصالح البعيد عن الفواحش والموبقات فيأتى الأمر بعدم الاختلاط . ويقصد به أن يخلو الرجال بالنساء دون محرم.أو الانفراد بهن بعيدا عن أعين الرقباء فذلك تزييف وتضليل و أدعى لإفضاء كل منها بغريزته تجاه الأخر . وقد جاء الإسلام ليقطع دابر هذه المعاصى ويمنع من وقوع الفاحشة بسبب الخلوة المحرمة ومن ذلك قوله عليه الصلاة والسلام (**لايخلون رجل بامرأة إلاومعها ذو محرم.)** [٢] وهذا النهى سار فى جميع العصور لم يقف عند عصره عليه الصلاة والسلام كما يدعى بعض الناس . [٣] فاستصغار مثل هذه الأشياء يؤدى لأمور لاتحمد عقابها وصدق الله إذ يقول (**ياأيها الذين آمنوا لاتتبعوا خطوات الشيطان ومن يتبع خطوات الشيطان فإنه يأمر بالفحشاء والمنكر .)** [٤] ونخلص من هذا إلى أن دعوة الإسلام قوامها أخلاقى كريم يستند إلى أساس متين أرساه النبى صلى الله عليه وسلم بقوله (**إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق .)** [٥] ورسمه له قرآن عظيم منزل من لدن حكيم خبير.

---

(١) سورة النور الأية رقم (٣١)

(٢) أخرجه مسلم فى صحيحه. شرح النووى.كتاب الحج . باب سفر المرأة . الجزء التاسع ص ١٠٩ .

(٣) يقول حسين أحمد أمين (كان هذا حال فى أوقات معينة قديما بما يتلاءم مع ظروف هذا العصر أما الآن فعندما ينادى مدير على سكرتيرته أوموظفة لديه. هل يستدعى ذلك وجود موظف ثالث معهما حتى يحضر المقابلة(.راجع جريدة عقيدتى . مقال بقلم السفير حسين أحمد أمين.ص ٩ السنة الخامسةالعدد (٢٥٥)الثلا ثاء ١٤١٨هـ . ١٩٩٧م.

(٤) سورة النور الأية رقم (٢١).

(٥) أخرجه أحمد مسنده / الجزء التاسع.ص ٥٦ ح رقم (١٩٣٢١)ط دار الحديث ١٩٩٥م.

المبحـــث الأول .

الجـــانب التهـــذيبي للاجتماع

يعتبر دافع الاجتماع من الدوافع المكتسبة فهو قديم قدم الإنسانية . فالتعارف والتـآلف بين الأفراد هما أساس بناء المجتمعات . إنه أمر ضروري قدره الإسلام كما جاء فـــي قوله تعالى (**يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم إن الله عليم خبير** .) [١] وقد اهتمت العلـــوم الإنسانية بالإنسان وحياته الاجتماعية.وهنا نذكر علم الاجتماع الـــذي يـــدرس النظـــم الاجتماعية دراسة تحليلية . ويقوم على أسس تنظيمة منها (تكوين الأسرة – التنظيم الاجتماعي – العادات والتقاليد الاجتماعية – علاقـــة المجتمعـــات المختلفـــة بعضـــها ببعض.) [٢] وانضم إليه علم النفس الاجتماعي كوحدة مشتركة إذ يـــدرس (العوامـــل النفسية وراء سلوك أفراد الجماعة .) [٣] وقد ازدهر علم النفس الاجتمـــاعي منـــذ الحرب العالمية الثانية [٤] إذ يساهم في دراسة التفـــاعلات الســـلوكية بيـــن الأفـــراد والجماعات ونعني بالجماعة هنا التي جمعها هدف مشترك وجامع واحد . [٥]

ولعلماء الدين والنفس والاجتماع الإسلاميين كلاما طيبا يـــدور حـــول كـــون الإنسان مدني بطبعه " بمعنى أنه لايستطيع أن يعيش منعزلا عن بنى جنسه دون هـــذا الدافع ويفصل **ابن سينا** ذلك بقوله (لمالم يكن الإنسان بحيث يستقل وحـــده بـــأمر نفسه إلا بمشاركة آخر من بنى جنسه ، وبمعاوضة ومعارضة تجريان بينهما ، يفـــرغ كل واحد منهمالصاحبه عن مهم لو تولاه بنفسه لاذدحم على الواحد كثير . وكان ممـــا "

---

(١) سورة الحجرات الآية رقم (١٣).

(٢) علم النفس الاجتماعي . محمد أبو العلا . ص ٠٧ ط مكتبه عين شمس ١٩٧٩م

(٣) علم النفس الاجتماعي . مصطفى خليل الشرقاوى ص (٦) ط مكتبة كلية التربية جامعة الأزهر ١٩٨٨م

(٤) راجع علم النفس الاجتماعي . وليم لامبرت.ترجمة سلوى الملا. مراجعة محمد عثمان نجاتى ص١٧ ط د[illegible] ١٩٨٩م

(٥) الحياة الوجدانية – محمود حسب الله . ص ١٢٧ دار إحياء الكتب العربية ١٩٤٨م

يتعسر إن أمكن . وجب أن يكون بين الناس معاملة وعدل . يحفظه شــرع يفرضــه شارع متميز باستحقاق الطاعة . لاختصاصه بآيات تدل على أنها مــن عنــد ربــه . ووجب أن يكون للمحسن والمسيء جزاء من عند ربه القدير الخبير. فوجب معرفــة المجازى والشارع . ومع المعرفة سبب حافظ للمعرفــة ففرضــت عليــهم العبــادة المذكرة للمعبود . وكررت عليهم ليستحفظ التذكير بالتكرير . حتى اشتهرت الدعــوة إلى العدل المقيم لحياة النوع .ثم زيد لمستعمليها بعد النفع العظيم فى الدنيــا الأجــر الجزيل الأخروى .... فانظر إلى الحكمة ثم إلى الرحمة والنعمة تلحظ جنابا تبــهرك عجائبه ، ثم أقم ، واستقم .) [1]فالإطار الفلسفي يرى أن الإنسان يولد ولديه ميل إلى الاجتماع والتعاون مع الآخرين لمواكبة الحياة ومسايرتها . وكــذا الإطــار الأخلاقــي يؤيده. حيث لاصلاح للحياة إلا بالتعاون بيــن النــاس جميعــا أفــرادا وجماعــات . يقول **ابن مسكويه** (فإذا أخذ الإسكافي (*) من النجار عمله وأعطــاه عملــه فــهي المعاوضة .) [2] وذلك لحاجة كل فرد منهما إلى الأخر وذلك يتطلب معارضة بالأعمــال وهذا ينم عن التخصص الذي حكاه الله تعالى في كتابــه فقــال (**وما كان المؤمنـون لينفروا كافة فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا فى الدين ولينـذروا قومهم إذا رجعوا إليهم لعلهم يحذرون.**) [3] وهذان الأمران المعارضة والمعارضة " لابد لهما من ضابط شرعي وإلا كان ذلك أدعى إلى التواثب والتشاجر أي الاختــلاف التقاتل والتناحر وشمل الناس الهرج أي القتل. والمرج أي الاختــلاط واختــل أمــر المعاش والمعاد .. [4] وتلك مهمة أهل الحل والعقــد ذلــك لأن (روح الجماعــة لا

---

[1] الإشارات والتنبيهات . ابن سينا . تحقيق سليمان دينا . القسم الرابع ص ٦١ وما بعدها ط دار المعارف ١٩٦٨م.

[2] تهذيب الأخلاق . ابن مسكوية . ص ١٢٧ تحقيق ابن الخطيب . المطبعة المصرية الأولى ١٣٩٨هـ .

(*) الإسكاف الخراز والجمع أساكفة . ويقال هو عند العرب كل صانع ...) راجع المصباح المنير . الفيومى . ١٠٧ ط مكتبة لبنان . ١٩٩٠م .

[3] سورة التوبة الآية رقم (١٢٢) .

[4] المواقف . الايجى . شرح الجرجانى . الموقف السادس ص ٢٢٢ ط مطبعة السعادة الأولى ١٩٠٧م.

تتمثل إلا فى أفراد قلائل فينبغي الخضوع لهم والوقوف عند توجيههم .) [١] ومجمل ما سبق أن الاجتماع سنة إلهية لابد من توافر عدة أمور فيها هى :-

أولا : المعاملة . **ثانيا : المعاوضة .**

ثالثا : شرع أو قانون . يلتزم به بالناس جميعا كي لا تضيع الحقوق والواجبات .

رابعا : شارع سواء أكان رسولا أو نبيا أو أرباب الحل والعقد من الذين يحكمون بشرع الله تعالى .

خامسا : التأييد الإلهي للرسول بالمعجزة كي ينصاع الناس له ويصدقونه .

سادسا : الثواب والعقاب . كركني للتربية . وحتى لا تكون الحياة عبثا . وغاية ذلك الوصول للمجازى الأعلى وهو الله تعالى .

سابعا : السبب الحافظ . متمثلا فى العبادة وكذا بقية التشريعات من صلاة ، وصيام ،وحج ..ألخ للتذكير بالمعبود فى البأساء والضراء وجماع هذه الأمور تؤدى لتحقيق العدل واحقاق الجزاء الدنيوى والأخروى.وتلك من الرحمة الإلهية لتحقيق الخلافة بمعناها الصحيح . وصدق الله العظيم إذ يقول **(أهم يقسمون رحمت ربك نحن قسمنا بينهم معيشتهم فى الحياة الدنيا ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات ليتخذ بعضهم بعضا سخريا ورحمت ربك خير مما يجمعون.)** [٢]

---

[١] الحياة الوجدانية والعقيدة الدينية . محمود حسب الله ص ١٥١ .

[٢] سورة الزخرف الآية رقم . (٣٢)

" دافع الاجتماع بين الفطرية والاكتساب "

يميل غالبية علماء علم النفس إلى أن حب الإجتماع دافع ثانوى إجتماعى . إلا أن ذلك لا يمنع من وجود ميل فطرى خلق الله الإنسان عليه وهو حب الاجتماع مـــع الآخرين . وهذا الميل أو الطبع يتنـــاول ما له شعور وإرادة وما لا شعور له . [١]

فهو من خلال اللاشعور يشعر بحاجته إلى الآخرين وإرادته فى ذلك الاجتماع . وهـــذا الحال قد لوحظ عند الطيور وعند الحيوانات فقد ظهر أنها (بعد عزلها عن الجماعـــة يصاحب ميلها إلى العودة صياح شديد .) [٢] ومن هنا فإن الإنسان لا تكتمل صورته أو شخصيته إلا بالاجتماع مع غيره إرضاء لميوله فهو(لايقدرعلى إشـــباع أنانيتـــه إلا بإشباع ميوله الاجتماعية .. وأن شئت فقل إنه لا يكمل إلا إذا أرضيـــت كـــل ميولـــه واتجاهاته الطبعية وبذلك تشبع غرائزه الفردية مع الاجتماعيـــة.) [٣] وهـــذا الدافـــع يندرج تحت طائفة الدوافع النفسية والتى يرى غالبية علماء النفس (أنـــها مكتســبة على أساس دوافعنا الفسيولوجية ... أى أنها متفرعة ومشتقة منها نتيجة تفاعلها مع خبرات الفرد وعوامل تنشئته الاجتماعية .) [٤]

أبرز آداب الإسلام التربوية لدافع الاجتماع

لقد دعـــا الإسلام لجملة من الآداب التربوية التى تشبع دوافـــع الاجتمـــاع ، وتضمن سلامته والاستفادة منه فى الحياة بكافة أشكالها . فإذا كـــان الإنســـان كائنـــا اجتماعيا لا يحيا بدون غيره فإن هذه الحياة لابد لها من آداب عامة ومنها :-

---

[١] المعجم النفسى • عبد المنعم الحفنى ص. ١٨٤ ط الدار الشرقية الأولى ١٩٩٠ م .

[٢] علم النفس نظرية علمية إسلامية ل محمود بركات ص ٢١٩ ط دار اسكرين ١٩٨٩م

[٣] الحياة الوجدانية والعقيدة الدينية . ص ١٥٣ .

[٤] القرآن وعلم النفس • محمد عثمان نجاتى . ص ٣٩ ط . دار الشروق ١٩٨٧م .

أولا : الدعوة إلى التعاون والتكاتف :

ذكر الباحثون قديما وحديثا أنه لابد من المعاملة والمعاوضة بين الأفراد كى تسير الحياة . ونرى الإسلام هذب ذلك من خلال تعاليمه السامية من ذلك قوله تعالى (**وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان** .) [١]وكذا جاءت السنة المطهرة لتبين أهمية التكاتف وفى هذا يقول عليه الصلاة والسلام (**المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا** ...) [٢] وأن هذا البنيان لابد فيه من الاكتمال الروحي والجماعى وتلك هى المعاملة والمعاوضة . وقد كان عليه الصلاة والسلام يحمل الحجارة أثناء بناء المسجد بالمدينة معطيا القدوة لأتباعه حتى(دأبوا على العمل وأتموا بناء المسجد وكلهم يد واحدة .) [٣] وكذا دأب رسول الله صلى الله عليه وسلم على العمل فى حفر الخندق فى غزوة الأحزاب (ترغيبا للمسلمين فى الأجر . وعمل معه المسلمون فيه . فدأب فيه ودأبوا ....) [٤]فالمؤمنون يتعاونون فيما بينهم ويتواصون (بالحق فى سائر أمور الدين من علم وعمل . ويتواصون بالصبر فى حمل النفس على مشاق التكليف في القيام بما يجب .) [٥]

وصدق الله تعالى إذ يقول (**والعصر إن الإنسان لفى خسر إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات . وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر**.) [٦]

---

[١] سورة المائدة الآية رقم (٢).

[٢] أخرجة البخارى فى صحيحه . شرح ابن حجر العسقلانى . كتاب المظالم . باب نصر المظلوم . الجزء الخامس ص ١٢٥، ح (٢٤٤٦).

[٣] سيرة النبى . ابن هشام . تحقيق محمد محي الدين . الجزء الثانى . ص٥١٧ ط دار التحرير للنشر ١٩٨٩

[٤] نفسه . الجزء الخامس . ص٩٨٨.

[٥] راجع التفسير الكبير . الرازى . الجزء الثانى والثلاثون ص ٩٠

[٦] سورة العصر . الآيات (١ . ٢ . ٣) .

فالإسلام يرفض الأنانية والكسل والاعتماد على الآخرين دون تكاتف وتعاون معهم إذ اعتبر ذلك من الظواهر الانحرافية . وإذا كان علم النفس الاجتماعي يهدف إلى التماسك بين أفراد المجتمع الواحد ، فلا أمل له في أرض أخلد بعض افرادها للراحة والسكون . ورفضوا العمل والتعاون مع غيرهم . وهنا نذكر تخلف بعض بعض المنافقين عن غزوة (تبوك في رجب ٩هـ .) واختلاقهم الأعذار بقولهم كما حكي القرآن الكريم (.... **وقالوا لا تنفروا في الحر** ..) [١] فكانت الإجابة الوعيدية منه سبحانه (**قل نار جهنم أشد حرا لو كانوا يفقهون .**) [١] وعلى الجانب المقابل نرى آخرين لا يجدون شيئا يحملونه ويقدمونه للرسول صلى الله عليه وسلم فجاؤا يبكون ألما وحزنا على عدم مشاركتهم لرسول الله صلى الله عليه وسلم . وعن هذا يقول الله تعالى (**ما على المحسنين من سبيل والله غفور رحيم . ولا على الذين إذا ما أتوك لتحملهم قلت لا أجد ما أحملكم عليه تولوا وأعينهم تفيض من الدمع حزنا ألا يجدوا ما ينفقون . إنما السبيل على الذين يستئذنوك وهم أغنياء رضوا بأن يكونوا مع الخوالف وطبع الله على قلوبهم فهم لا يعلمون .**) [٣]وهكذا دعا الإسلام للتماسك والتعاون بين أفراد الجماعات إشباعا (لهذا الدافع وتحقيقا للوصول لأرقى مستوى روحي وعلمي وإنتاجي فهم بذلك يحققون الأهداف العامة التي تعود عليهم جميعا بالفائدة المشتركة .) [٣]ومن ناحية ثانية . نرى أن الإسلام يرغب في التعاون بين المسلمين كجماعة واحدة يحس بعضهم بظروف البعض الأخر . وفي هذا نقرأ قوله عليه الصلاة والسلام (**المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يسلمه . من كان في حاجة أخيه كان الله في حاجته . ومن فرج عن مسلم كربة فرج الله عنه بها كربة من كرب يوم القيامة . ومن ستر مسلما ستره الله يوم القيامة .**) [٤]

---

(١) سورة التوبة الآية رقم (٨١) .

(٢) سورة التوبة الآيات : ٩١ ، ٩٢، ٩٣) .

(٣) أسس التربية الإسلامية في السنة النبوية . عبد الرحمن الزنتاني . ص ١٥٧٨ ط الدار العربية للكتاب . ١٩٩٣م.

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه . شرح النووي . كتاب البر و الصله . باب تحريم الظلم . الجزء السادس عشر ص ١٣٥ .

ومعلوم أن كشف الكرب لا يكون إلا بمساعدة المكروب من المسلمين سواء بالمال أو بغيره ويدخل فى ذلك النصح والإرشاد بالرأى . فالتكاتف والتعاون وجهان لعملة واحدة يؤديان إلى استمرار الحياة إشباعا لدافع الاجتماع . وهذا من إرشاد الإسلام ونصحه لأتباعه تهذيبا لأخلاقهم ولميولهم فلله الحمد والمنة على نعمة الإسلام .

ثانيا : الدعوة إلى الحب والتآلف والتعاطف .

عرفنا فى أكثر من موضوع أن الإسلام يحرص على تقوية أواصر الروابط العاطفية بين أتباعه وامتد الأمر لإيثار الغير على النفس فذلك قمة الإيمان . وفى هذا نقرأ قوله عليه الصلاة والسلام (**لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه أو قال لجاره ما يحب لنفسه .**) [١] وهذا الحب يتوصل بين الأفراد والجماعات بذلك يصبحون بناء متكاملا أشبه بالجسد الواحد مصداقا لقوله عليه الصلاة والسلام (**مثل المؤمنين فى توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى .**) [٢] هذا التشبيه أشبه نظاما اجتماعيا متكاملا يتألف بعيدا عن الأحقاد ويجعل من الحب والعطف والتراحم منهاج الحياة للناس . وفى هذا يقول عليه الصلاة والسلام (**لا تباغضوا ولا تحاسدوا ولاتدابروا وكانوا عباد الله إخوانا . ولا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث.**) [٣] ومن هنا يكون الحب سبيلا للاجتماع والتآلف بشرط كونه خالصا من الشوائب النفعية . وهذا لا يحدث إلا إذا كان(منشؤه أمرا فى روح المحبوب وشمائله التى لا تفارق ذاته حتى تكون لذة الوصول فى نفس الاتصال لا فى عرض يتبعه . فإذا عرض التبادل والتعاوض ولوحظ ذلك فى العلاقة

---

(١) أخرجه مسلم فى صحيحه . شرح النووى . كتاب الإيمان . باب فى خصال الإيمان،الجزء الثانى،ص ١٦ .

(٢) نفسه . كتاب البر والصلة . باب تراحم المؤمنين . الجزء السادس عشر ص ١٤٠ .

(٣) المرجع السابق . كتاب البر والصلة . باب تحريم التحاسد والتباغض والتدابر . الجزء السادس عشر ص ١١٥ .

بينهما تحولت المحبة إلى رغبة فى الانتفاع بالعوض ...) [١] كما أن هذه المحبة تكون بين أفراد هذا المجتمع المؤمن تأكيدا لهذه العاطفة وسعيا لتثبيتها فى القلوب . ولـــذا وصف الله الجماعة المؤمنة بقوله (**محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم ..**) [٢] وقال أيضا (**... أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين ..**)[٣] فالمجتمع السليم هو الذى يكون أفراده على وفاق بينهم صداقات من غير أرحام بينهم من شأنها أن تزيد تماسك الأفراد وتوحدها . ذلك المجتمع يجد أفراده الحب المتكـــامل فى تواضع وحلم وإناه . فمن يحرم الرفق يحرم الخير كله . كما يبتعد أصحابه عـــن التجسس والتحسس والغيبة والنميمة وترك أودية اللاهين ممن اتخذوا دينـــهم هـــزوا ولعبا . من أجل هذا كـــان قولـــه تعـــالى (**وذر الذين اتخذوا دينهم لعبا و لهوا وغرتهم الحياة الدنيا ..**) [٤]فى النهاية نرى جماعات مؤمنة مـــبرأة عـــن المحبـــة العوضية أو النفعية وتفوز بالرضوان والنعيم فى الأخرة وفى هذا يقول عليه الصـــلاة والسلام (**إن الله يقول يوم القيامة أين المتحابون بجلالى اليوم أظلهم فى ظلى يوم لا ظل إلا ظلى .**) [٥]وبهذا يظهر فساد المذاهب النفعية الحديثة التى أُثقلت كواهـــل البشروأو قفت تقدمهم ورقيهم الأخلاقى وشوهت القيم والمعانى الجميلة . ومن ذلـــك قول (توماس هوبز ١٥٨٨م. – ١٦٧٩م.) (إن المشاعر لا تعدو أن تكون أنانيـــة مقنعة يحنو القوى على الضعيف ليشعر بزهو القوة . ويحسن الغنى إلى الفقير لينـــال حمد الناس وتقديرهم ...) [٦]أين هذا من الحب الخالص الذى أرشد إليـــه الرســـول صلى الله عليه وسلم فى قوله (**إن رجلا زار أخا له فى قرية أخرى . فأرصد الله له على**

---

[١] رسالة التوحيد . الشيخ محمد عبده ص ٧٨ ط مكتبة محمد عى صبح . ١٩٦٥.

[٢] سورة الفتح الآية رقم (٩) .

[٣] سورة المائدة الآية رقم ٥٤.

[٤] سورة الأنعام الآية رقم ٧٠ .

[٥] أخرجه مسلم فى صحيحه . شرح النووى . كتاب البرو الصلة . باب فضل الحب فى الله . الجزء السادس عشر ص ١٢٣.

[٦] أعلام الفلسفة الحديثة . رفقى زاهر ص ٣٧ ط المطبوعات الدولية . الأولى بيروت ١٩٧٩م .

مدرجته ملكا فلما أتى عليه قال أين تريد ؟ قال أريد أخا لى فى هذه القرية . قال هل لك عليه من نعمة تربها . قال لا غير أنى أحببته فى الله عزوجل .قال فإنى رسول الله إليك بأن الله قد أحبك كما أحببته فيه .) [١]والحب الذى دعا إليه الإسلام حب شامل بمعنى أنه يشمل الأجانب والأقارب . فكانت دعوته للتآلف والحب على المستوى العائلى أو الجماعة الصغيرة ثم المجتمع كله. وجاء تغليظ العقوبة رادعا للقاطعين لما أمر الله به أن يوصل فى هذا نقرأ قوله تعالى **(فهل عسيتم إن توليتم أن تفسدوا فى الأرض وتقطعوا أرحامكم أولئك الذين لعنهم الله فأصمهم وأعمى أبصارهم .)** [٢]وجاء قوله عليه الصلاة والسلام ليبين ثواب وفضل الواصلين للأرحام ترغيبا وتأليفا للقلوب بقوله **(من سره أن يبسط عليه رزقه أو ينسأ له فى أثره فليصل رحمه .)** [٣] وفى المقابل نرى تبشيره عليه الصلاة والسلام لهؤلاء الواصلين بالرضوان والنصرة على غيرهم . وذلك عندما سأله رجل قائلا **(إن لى قرابة أصلهم ويقطعونى وأحسن إليهم . ويسيئون إلى وأحلم عليهم ويجهلون على . فقال عليه الصلاة والسلام لئن كنت كما قلت فكأنما تسفهم المل ولا يزال معك من الله ظهير عليهم مادمت على ذلك)**[٤]. ولا يقف الأمر عند حد حب المسلم لأخيه المسلم بل نجد الإسلام يوسع الدائرة الترابطية لتشمل أصحاب الأديان الأخرى دعوة للمعاملة وللمشاركة كى تسير الحياة مع الاحتفاظ بالهوية الدينية . عملا بقوله تعالى **(لكم دينكم ولى دين)** [٥]وجاء هذا الأمر والإرشاد واضحا أيضا فى قوله تعالى **(لاينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم فى الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن**

---

[١] أخرجه مسلم فى صحيحه . شرح النووي . كتاب البر والصلة باب ما قيل فى الحب فى الله . الجزء السادس عشر . ص١٢٤.

[٢] سورة محمد الآيتين رقم (٢٢،٢٣).

[٣] أخرجه مسلم فى صحيحه . شرح النووي . كتاب البر والصلة باب صلة الرحم . الجزء السادس عشر . ص١١٤.

[٤] نفسه . ص ١١٥ .

[٥] سورة الكافرون الآية رقم (٦) .

تبروهم وتقسطوا إليهم إن الله يحب المقسطين .) [1]فمن المعلوم أن المجتمع أى مجتمع قد يحوى طوائف عدة من الأديان من هنا دعا الإسلام للحب فيما بينهم حتى لايكون هناك بغض أو حقد فعيش الكل إخوة متحابين متعاونين . وأما أمر العقيدة فمرجع الأمر في النهاية إلى الله تعالى فهو القائل **(لا إكراه فى الدين قد تبين الرشد من الغى)** [2]وقوله تعالى **(إن عليك إلا البلاغ)** [3]

وقوله تعالى **(فذكر إنما أنت مذكر لست عليهم بمسيطر .)** [4]والدنيا شاهدة لسماحة الإسلام الدينية . من عصره عليه الصلاة والسلام فما بعده . ونأخذ مثالا على ذلك لأن التاريخ شاهد إثبات على ذلك فقد(تغنى الروائيون والشعراء الأنجليز بصدق صلاح الدين وشخصيته وأريحيته فى معاملاته لخصومه وسجلوا له بالثناء والإعجاب صدقه الذى لازمه فى كل وعد من وعوده .) [5]ومن هنا كان سبق الحضارة العربية لأوربا فى المجال التربوى .

ثالثا : الاحساس بالمسئولية .

لايتوقف صلاح جماعة إلا إذا حافظ بعضهم على بعض وقدروا أمر المسئولية الفردية والتى تؤثر فى مسير الجماعات . فأمانة الصانع تضمن سلامة الأفراد . وأمانة التاجر تضمن سلامة الأفراد كذلك .....ألخ . فالإحساس بالمسئولية قدر مشترك بين الجميع وإن قصر أحدهم فيما وكل إليه . إنهار السد المنيع وغرقت البلدان فى الفوضى وسارت إلى الخراب . ومن أحسن تصويره عليه الصلاة والسلام

---

(1) سورة الممتحنة الآية رقم (٨)

(2) سورة البقرة الآية رقم (٢٥٦)

(3) سورة الشورى الآية رقم (٤٨)

(4) سورة الغاشية الآية رقم (٢٢)

(5) أثر العرب فى الحضارة الأوربية العقاد ص ٩٩ ط [illegible] ١٩٩٥م

لعلاج هذا الموقف فى قوله **(مثل القائم على حدود الله والواقع فيها أو المدهن فيها . مثل قوم ركبوا سفينة فأصاب بعضهم أسفلها وأوعرها وشرها . وأصاب بعضهم أعلاها . فكان الذين فى أسفلها إذا استقوا الماء مروا على من فوقهم فأذوهم . فقالوا لوخرقنا فى نصيبنا خرقا فاستقينا منه ، ولم نؤذ من فوقنا . فإن تركوهم وأمرهم هلكوا جميعا وإن أخذوا على أيديهم نجواجميعا .)** [١]

هذا الإحساس والشعور يقويه ما يفرضه الشارع من عقوبات على من أخل أو أفسد فى الأرض بغير الحق . من ذلك وجوب القصاص على الخارجين على المنهج السوى . فأصحاب الجسد الواحد يشعرون بالمسئولية الملقاة على أعناقهم متى كانوا فى جماعة بحيث يقفون أمام الأخطار أو العدوان-فالمؤمنون بعضهم أولياء بعض وهذه الأمور يتوقف معرفتها على معرفة الشريعة الغراء والتى تأتى من لدن شارع حكيم . [٢] ولا يمنع الموقف العصيب من أخذ الرأى من جميع أهل الرأى من الناس واستقراء رأيهم فى هذا الموقف وغيره اعتمادا على حرية الرأى وتقريرا لمبدأ الشورى . ومن هنا كان قوله تعالى (**وشاورهم فى الأمر**) [٣] وهنا تلقى المسئولية على الإمام العادل أو على قائد المدينة . وهنا نتذكر موقف خالدبن الوليد فى (غزوة مؤته ٨هـ) [٤] عندما انسحب بجيش المسلمين حفاظا عليه بعدما قتل قواده الثلاثة . فالإسلام يأمر بأخذ الرأى والاستفادة منه عله يفيد فى اجتلاب منفعة أو إبعاد ضر . كما أنه من ناحية أخرى يدعو إلى الاسترشاد بزأى الأفراد للإحساس بالمسئولية

---

(١) أخرجه . أحمد فى مسنده . الجزء الرابع.ص٢٦٩ط مؤسسة قرطبة .

(٢) تشكل (الأحكام التشريعية تلك المعايير الاجتماعية والتى يصبح أفرادها مسئولين عن سلوكهم اجتماعيا من خلالها . المعايير الاجتماعية) معجم علم النفس . بتروفسكى . ترجمة / عبدالسلام رضوان ص ١١٩. ط دار الغد الجديد الأولى . ١٩٩٦ .

(٣) سورة آلعمران الآية رقم (١٥٨٩) .

(٤) راجع غزوة مؤته ٨هـ . مؤته . قرية فى حدود الشام . تاريخ الإسلام . الذهبى . المجلد الأول . ص ٤٤٧إلى ٤٥٦ ط دار الغد العربى . ١٩٩٦م.

العامة ، وفى هذا يرفض البلادة والركون إلى الراحة اعتمادا على الآخرين وفى هذا نرى هديه عليه الصلاة والسلام فى قوله (**لاتكونوا إمعة تقولون إن أحسن الناس أحسنا وإن ظلموا ظلمنا ، ولكن وطنوا أنفسكم إن أحسن الناس أن تحسنوا وإن أساءوا فلاتظلموا .**) [1] ومن خلال هذا الشعور يتكامل المجتمع . ومن شأن هذا التكاتف القضاء على الاضطرابات الداخلية والخارجية التى تهدد سلامة الجماعة كما تضمن الحفاظ عليها . [2]

<u>رابعا :- الدعوة للفكر وإعمال العقل</u> .

يضم المجتمع أفرادا عديدة لكل واحد منهم فكره الخاص وإذا كان اللاحق يتأثر بتراث سابقه . إذن فللوضع الاجتماعى أثره الذى لاينكر فى تشكيل عقلية هؤلاء الأفراد الذين يكونون المجتمعات . هذا وقد تتمسك بعض الجماعات بآراء من سبقها على الرغم من معارضتها الواضحة لبدهيات العقل وذلك عنادا وكبرا ، ومثل هذا الموقف حكاه القرآن الكريم عن عباد الأصنام بقولهم معللين عبادتهم لها (**إنا وجدنا آباءنا على أمة وإنا على آثارهم مقتدون .**) [3] ومن هنا ساد المجتمع العربى الجهل والظلم .إذ كان الواحد منهم يصنع تمثالا من الحلوى ويجعله معبودا له ثم يقوم بأكله عند جوعه . إنه قمة الفساد والجهل والظلم . ولأجل هذا كانت دعوة الإسلام للنظر والتفكير والتدبر والنعى على هؤلاء فى قوله تعالى (**وإذا قيل لهم تعالوا إلى ما أنزل الله وإلى الرسول قالوا حسبنا ما وجدنا عليه آباءنا أو لو كان آباؤهم لايعلمون شيئا ولا يهتدون .**) [4]فالدعوة لإثارة عقول الأفراد باعتبارهم لبنة المجتمع

---

[1] أخرجه الترمذى فى سننه . كتاب البر والصلة . باب ماجاء فى الإحسان والعفو . الجزء الرابع (ح ٢٠٠٧) ص ٣٢٠ .

[2] معجم علم النفس . ص ١١٩ .

[3] سورة الزخرف الآية رقم ٣٢.

[4] سورة المائدة الآية رقم ١٠٤.

من أسس الإسلام . وفى هذا نقرأ قوله تعالى (**قل سيروا فى الأرض ثم انظروا كيف كان عاقبة المكذبين .**) [١] وقوله (**أولم يتفكروا فى أنفسهم ما خلق الله السماوات والأرض وما بينهما إلا بالحق وأجل مسمى وإن كثيرا من الناس بلقاىء ربهم لكافرون**) [٢] وقوله تعالى (**قل إنما أعظكم بواحدة أن تقوموا لله مثنى و فرادى ثم تتفكروا ما بصاحبكم من جنة إن هو إلا نذير لكم بين يدى عذاب شديد .**) [٣] فليس للأكثرية الغلبة فى الرأى دون نزول عن الرأى الصواب .

ولذا كان التنبيه منه تعالي لرسوله صلى الله عليه وسلم بقوله (**وإن تطع أكثر من فى الأرض يضلوك عن سبيل الله ...**) [٤] فإن رأى الجماعة مأخوذ به لكن بعد روية وتدبير ونظر واستقرار لكل الآراء ، وانفراد جماعة ما دون أخرى برأيها يعد فى الإسلام إجحافا لحقوق الآخرين و رجوعا للباطل . ولقد تأثر فلاسفة الغرب بهذا المنهج القرآنى العظيم على سبيل المثال سطر فرنسيس بيكون (١٥١٦م . ١٦٢٦م) فى منهجه الذاتى قصدا لتخليص العقل من أدرانه وغفلاته ما أسماه بأوهام الكهف وأوهام السوق والمسرح والجنس . ويقصد بالجنس هنا (تلك الأوهام التى رسخت فى الذهن البشرى رغم ما بين الناس من فوارق هائلة . ومن ذلك اعتقادهم فى نفع النذور لهم ...) [٥] وقصد بأوهام السوق الأوهام (الناشئة عن اجتماع الناس بعضهم مع بعض سواء في المقاهي والأندية العامة .... وفيها تفقد الألفاظ دلالتها الحقيقية وتعجز اللغة عن تحقيق وظيفتها .) [٦] وأما أوهام المسرح فتجرى فى نطاق الافتتان بمشاهير الرجال عبر العصور وقبول آرائهم دون تمحيص أو تحقيق . وقد بات

---

[١] سورة الأنعام الآية رقم ١١

[٢] سورة الروم الآية رقم ٨

[٣] سورة سبأ الآية رقم ٤٦

[٤] سورة الأنعام الآية رقم ١١٦

[٥] [illegible] فلسفة حديثة [illegible] ص ١٧ [illegible] المطبوعات الدولية الأولى بيروت ١٩٧٩م [illegible]

واضحا أن الإسلام كفل للأفراد حرية الفكر والنظر والتدبر وصولا للحقائق السليمة وفي هذا نقرأ قوله تعالى (**وقالوا ربنا إنا أطعنا سادتنا وكبراءنا فأضلونا السبيلا .**) [١] ونقرأ قوله تعالى (**ثم جعلناك على شريعة من الأمر فاتبعها ولا تتبع أهواء الذين لا يعلمون . إنهم لن يغنوا عنك من الله شيئا وإن الظالمين بعضهم أولياء بعض والله ولي المتقين .**) [٢] ودعا إلى التخلص من أوهام النفس وغرورها فقال تعالى (**أرأيت من اتخذ إلهه هواه أفأنت تكون عليه وكيلا .**) [٣]وقال أيضا (**أفرأيت من اتخذ إلهه هواه وأضله الله على علم وختم على سمعه وقلبه وجعل على بصره غشاوة فمن يهديه من بعد الله أفلا تذكرون .**) [٤]

فالإسلام دعوة إلى تحرير الفكر من الموروث إذا كان غير مفيد ، فالتقليد الأعمى مرفوض في الإسلام . وهذا منهج تربوى أخلاقي يقوم على إعمال العقل السليم [٥] وبذلك يكون الأمر في نهايته (مسألة حيوية يراد بها أن تعمل وظائف الأعضاء في البنية الحية .) [٦] وإليك الحديث عن أهمية الرسل ودورهم في بناء المجتمعات .

<u>أولا : الإصلاح الديني لدافع الاجتماع .</u>

يعتبر الأنبياء الواسطة بين الله تعالى وبين خلقه يبلغون ما يوحى إليهم . فبدونهم لايتأتى للمدعوين معرفة ماينفعهم من أمور المعاش والمعاد . فهم (يرشدون العقل إلى معرفة الله تعالى وما يجب أن يعرف من صفاته ويضعون الحد الذى يجب أن يقف عنده في طلب ذلك العرفان على وجه لا يشق عليه الاطمئنان إليه ولا يرفع ثقته بما

(١) سورة الأحزاب الآية رقم (٦٧)
(٢) سورة الجاثية الآيتين رقم (١٨ - ١٩)
(٣) سورة الفرقان الآية رقم (٤٣) .
(٤) سورة الجاثية الآية رقم (٢٣) .
(٥) سيأتي بمشيئة الله تفصيل هذا الأمر في دافع حب الاستطلاع فيرجع إليه ص (٢٢١) .
(٦) علاء فلسفة حديثة . رفقي زاهر ص ١٥٥

أتاه الله من القوة .) [1] فصلاح المجتمع لا يتأتى إلا من خلال رسول ينظم ويضع الأساسيات التى يسير عليها الناس لإخفاق العقل فيها . كما تجلت حكمته تعالى فى كون الرسل بشرا وذلك من أعظم السبل للتقرب إليه والالتفاف حوله والتصديق بدعوته . ومن هذا المنطلق كان بعث الرسل رحمة ومنة وفضلا على العباد . وقطعا للأعذار وحيل العقل الواهية . نقرأ هذا فى قوله تعالى (**رسلا مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل وكان الله عزيزا حكيما .**) [2] وقوله (**ولو أنا أهلكناهم بعذاب من قبله لقالوا ربنا لولا أرسلت إلينا رسولا فنتبع آياتك من قبل أن نذل ونخزى ...**) [3] وقد كان لسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم مواقف اجتماعية عديدة قضى فيها على المنازعات وأخمد فيها نار الفتن . وذلك بتعليم من الله عزوجل له فهو رحمة وهداية سواء قبل البعثة أو بعدها . ومن مواقفه عليه الصلاة والسلام .

أولا :- وضع الحجر الأسود .

اختلفت القبائل العربية حول وضع الحجر الأسود فى مكانه بعد ماتم بناء الكعبة . وكاد التقاتل أن يقع والدماء تسفك بينهم لإرادة كل قبيلة الاستحواذ بشرف رفع الحجر إلى مكانه . إلى أن أتت الرحمة الإلهية فى احتكامهم لرسوله صلى الله عليه وسلم وهو الصادق الأمين بينهم فقال (**هلم إلى بثوب فأتى به فأخذ الحجر فوضعه فيه بيده ثم قال لتأخذ كل قبيلة بناحية من الثوب ثم ارفعوه جميعا .ففعلوا حتى إذا بلغوا موضعه وضعه هو بيده ثم بنى عليه .**) [4]

---

[1] رسالة التوحيد . الشيخ محمد عبده . ص ٩٣ . ط مطبعة محمد صبحى ١٩٦٥ .
[2] سورة النساء الآية رقم ١٦٥ .
[3] سورة طه الآية رقم ١٣٤ .
[4] سيرة النبى لابن هشام . الجزء الأول . ص٢١٤ . تحقيق محمد محيى الدين . ط كتاب الجمهورية ١٩٨٩م.

فتلك حكمة واعية . قضت على أسباب النزاع ولم يكن الرسول صلى الله عليه وسلم بعد قد كلف بالرسالة .

ثانيا : المؤاخاة بين الأنصار والمهاجرين .

انشغل فكر النبى صلى الله عليه وسلم بتوحيد صفوف المسلمين وربط قلوبهم برباط التقوى تأليفا و تماسكا لهم فذلك سمة المجتمع السليم فقام عليه الصلاة والسلام بالمؤاخاة بين المهاجرين والأنصار ليحقق التكافل الاجتماعى بين من يجد و بين من لا يجد . فقد أخرج المهاجرين من ديارهم وأموالهم بغير حق ولاسند لهم إلا الله تعالى . وفى المقابل يجد الأنصار السعة وصنوف النعم ومن هنا كان التنازل من جانب الأنصار عن قدر من الأموال والعقار ... ألخ لإخواتهم المهاجرين . وتأخى الفريقان (إخاء الدم والنسب وبهذه المؤاخاة إزدادت وحدة المسلمين توكيدا .) [1] وقد امتدحهم الله تعالى فقال (**والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان رضى الله عنهم ورضوا عنه وأعد لهم جنات تجرى تحتها الأنهار خالدين فيها أبدا ذلك الفوز العظيم .**) [2]

ثالثا : إصلاح المجتمع داخليا .

رسم الرسول صلى الله عليه وسلم الطريق للمجتمعات المقبلة فقد استطاع عليه الصلاة والسلام أن يصلح بين الأوس والخزرج بعد حروب سالت فيها الدماء وأهلكت الحرث والنسل وحتى يكون هناك المجتمع المثالى و الذى تنطلق منه كلمة الإسلام لكل أنحاء الأرض وصدق الله إذ يقول (**واذكروا نعمة عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخوانا وكنتم على شفا حفرة من النار**

(1) حياة محمد . محمد حسين هيكل . ص ١٨٨ . ط الهيئة العامة للكتاب . ١٩٩٧م.

(2) سورة التوبة الآية رقم (١٠٠).

فأنقذكم منها ...) [١] وضم إليهم المهاجرين لتزداد شوكتهم وقوتهم . وإزداد الإصلاح الداخلى ثباتا بعض الوقت بعد عقده عليه الصلاة والسلام المعاهدات مع أصحاب الأديان الأخرى ممن يعيشون فى وسط المسلمين . كل ذلك حتى يكون المجتمع صحيحا وتصلح معه الجماعة وتسودها المحبة . [٢]ومواقفه عليه الصلاة والسلام كثيرة لا يفى المقام هنا لسردها . ولكنى أردت التنبيه على أهمية بعثة النبى كمبلغ للرسالة وكمصلح لمجتمعه الذى يعيش فيه وكمؤسس لمجتمع يعتبر نواة لمجتمع أكبر . ومن هنا تبرز أهمية العقيدة الإسلامية فى العناية بالبشر من خلال رسالته صلى الله عليه وسلم وعدم تركهم سدى دون بيان إلهى وتشريع ربانى ينأى بهم عن دركات الجهالة ويسمو بهم الى الحياة السعيدة . ومن هنا كان إعداد الله تعالى للرسل وتهيئتهم لهذه الرسالة . و صدق الله إذ يقول عن موسى عليه الصلاة والسلام **(ولتصنع على عينى)** [٣]ويقول لمحمد صلى الله عليه وسلم . **(واصبر لحكم ربك فإنك بأعيننا ...)** [٤]فذلك إعداد إلهى لهؤلاء الرسل والأنبياء حملة الحق والعدل لسائر خلق الله دون استبداد أو طغيان على حقوق الأفراد . أين هذا من النظرة التشاؤمية الذى رأها هوبز وغيره من أن (الفرد فقد حقوقه منذ البداية خصوصا بعد أن سلمها للملك أو الحاكم !) [٥] ولا ضير لديه فى استبداده بالأفراد وظلمه وغشمه لهم فلو (احتفظ الأفراد بحقوقهم لاستغل واحدهم الأخر خلال فترة زمنية قصيرة .) [٦] وهذا ترويج لمجتمع الغاب الاستبدادى . أقول بحق أين هذا من

---

[١] سورة آلعمران الآية رقم(١٠٣).

[٢] راجع نصه كتابه عليه الصلاة والسلام الذى كتابه بين المهاجرين والأنصار وبين اليهود راجع سيرة النبى الجزء الثالث ص ٥٢٣.

[٣] سورة طه الآية رقم(٣٩).

[٤] سورة الطور الآية رقم(٤٨).

[٥] معجم علم الاجتماع . دينكن ميشيل . ترجمة . إحسان محمد الحسن ص ١٩٣ ط. دار الطليعة الأولى ١٩٨١م.

[٦] نفسه . ١٩٣.

البناء الإسلامى العظيم والصرح الشامخ الذى احترم حقوق الأفـــراد تجـاه بعضـــهم البعض وكذا حقوقهم نحو حكامهم من نحو التولية والعزل عند الخروج عن التشـــريع العام والذى نزل من عند الله تعالى.؟ إنه التنظيم الإلهى والتشريع الربانى الذى لايأتيه الباطل من بين يديه ولامن خلفه .

" أمثلة من وصايا حكام المسلمين "

أولا:- أبو بكر الصديق رضى الله عنه .

بعد أن بايع الناس أبا بكر رضى الله عنه بالخلافة بعد وفاة رسول الله صلـــى الله عليه وسلم . قام فى الناس خطيبا قائلا (بعد أن حمد الله وأثنى عليه بـالذى هـو أهله ، **(أما بعد .أيها الناس .إنى قد وليت عليكم ولست بخيركم . فإن أحسنت فأعينونى وإن أسأت فقومونى . الصدق أمانة والكذب خيانة ، والضعيف فيكم قوى عندى حتى أريح (*) عليه حقه إن شاء الله ، والقوى منكم الضعيف عندى حتى أخذ الحق منه إن شاء الله . لا يدع أحد منكم الجهاد فى سبيل الله ، فإنه لا يدعه قوم إلا ضربهم الله بالذل .ولا تشيع الفاحشة فى قوم إلا عمهم الله بالبلاء . أطيعونى ما أطعت الله ورسوله ، فإذا عصيت الله ورسوله فلا طاعة لى عليكم . قوموا إلى صلاتكم رحمكم الله .)**[1] وهكذا أرسى الخليفة الأول قواعد العـــدل بيـــن رعيته من أول لقاء معهم . ليطمئن كل فرد فى مجتمعه على حقه فلا طغيان لفئة على فئة أخرى . وهذا الخلق يشمل جميع الناس حتى أصحاب الأديان الأخرى فالســـماحة والرحمة وتقدير الأحوال والظروف الخاصة خلق الإسلام .

(*) أرحت على الرجل حقه إذ رددته عليه . وأرح عليه حقه رده (لسان العرب ابن منظور (الجزء الثانى) ص ٤٦٥ ط دار صادر – بيروت

(1) تاريخ الرسل والملوك (تاريخ الطبرى) ابن جرير الطبرى / تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم الجزء الثالث ص ٢١٠ ط دار المعارف الطبعة ١٩٧٩م وراجع ... سيرة النبى ... محمد محى الدين عبد الحميد ... ص ١٠٨٠ [illegible]

ثانيا:- عمر بن الخطاب رضى الله عنه.

فى الحقيقة إن للفاروق عمررضى الله عنـــه مواقــف عديــدة لا تفـــى هــذه الصفحات بسردها لكننا نكتفى بهذا الموقف منه رضى الله عنه تجاه أصحاب الأديـــان الأخرى . فقد وجد رجلا ضريرا يسأل على باب فسأل عنه فعلم أنه يهودى .فقال مـــا ألجأك إلى ما أرى . قال الجزية والحاجة والسن . فأخذ عمر بيده وذهب به إلى خازن بيت المال يقول له .أنظر هذا وأمثاله فوالله ما أنصفناه حين أكلنا شبيبته ثم نتركـــه عند الهرم .) [١] أين هذا مما رأه هوبز و أتباعه من قانون الغاب .؟

" ثانيا :- الإصلاح التربوى التشريعى ".

لقد كانت لتشريعات الإسلام أثرها البارز فى تربية الســـلوك الإنســـانى وتهذيبه على المستوى الفردى والجماعى . ودافع التجمع قد حظى بالنصيب الأوفـــر فى هذا المجال . والمستعرض لأركان الإسلام وتشريعاته ليجد أن هذا الدين قد ركـــز على وحدة الأفراد وبث روح المحبة والتواد بينهم وحذر من الفرقة لأنها ضعف ونكال حيث يأكل الذئب من الغنم القاصية .وهى فى مجملها تؤكد على روح الجماعة والإخاء والتكافل الاجتماعى . فالمجتمع الإيمانى كله يد واحدة على من سواهم ، وهذا الإجمال سوف نقف على تفصيله من خلال تلك العبادات والمناسك التى شرعها الإســـلام مـــع بيان الجانب التربوى الاجتماعى وصولا به لقمة التربية والتهذيب فى حياة الفرد ومن ثم فى حياة الجماعة .

الإسلام وحاجة الإنسانية إليه / محمد يوسف موسى ص ٢٧٠ ط الشركة العربية للطباعة ١٩٦١ م .

" العبادات وأثرها التربوي الاجتماعي

أولا : الصــــلاة :-

تشكل الصلاة رابطة اجتماعية قوية في حياة المجتمعات المسلمة فهي تـــهذب الأرواح وتزكيها وتنقى القلوب من الوساوس والضغائن . إنها تربي أرواحهم تربيـــة سليمة ، وهي معـــراج إلهي يتكرر كل يوم خمس مرات ، وكذلك تعمل الصلاة علـــى (بث روح النظام عند الانتظام في سلوك الجماعة في المسجد وغيره ليتعاونوا علـــى البر والتقوى)[1] فالصلاة ليست مجرد حركات يؤديها المسلم فقط بل يتعدى أثرها لأبعد من هذا . فهي تجمع الناس على كلمة سواء من خلال قبلة واحدة وإمام واحد يأتمون خلفه في صلاتهم . لذا وضع الثواب الجزيل لمن يصلى في جماعة كما جاء في حديثـه صلى الله عليه وسلم (**صلاة الرجل في جماعة تزيد على صلاته في بيته وصلاته في سوقه بضعا وعشرين درجة.**)[2]فالأفراد يجتمعون للصلاة لنيل هذا الثـــواب مـــن الله فضلا عن مشاورأتهم في أمور حياتهم وحل مشاكلهم فيما بينهم ورؤية البعض للبعض ،والتعارف على أحوالهم . وبذلك يبتعد الإنسان عن الأمراض النفسية كالقلق (الـــذى يعانى منه بعض الناس نتيجة شعورهم بالوحدة والعزلـــة وعـــدم الانتـــــماء إلـــى الجماعة ...) [3]

كما أن الصلاة تنهى صاحبها عن الفحشاء والمنكر وبالتالى فـــهى تـــهذب أخلاقـــهم وتعاملاتهم تجاه بعضهم بعضا.ومن ثم يقل التنازع والتشاجر بين المصلين ومن هـذا المنطلق نقرأ قوله تعـــالى (**اتل ما أوحى إليك من الكتاب وأقم الصلاة إن الصلاة**

---

[1] أثر العبادات في استقامة السلوك محمد حافظ سليمان ص ٣٨٩ مقال بمجلة الأزهر الجزء الثالث السنة السبعون يوليو ١٩٩٧ م

[2] أخرجه مسلم في صحيحه / شرح النووى / كتاب المساجد / باب فضل الصلاة المكتوبة في جماعة . الجزء الخامس ص ١٦٥

[3] القرآن وعلم النفس / محمد عثمان نجاتى ص ٢٧٠ ط دار الشروق ١٩٨٧ م

تنهى عن الفحشاء والمنكر ولذكر الله أكبر والله يعلم ما تصنعون)[1] كما أن الصلاة مقياس تنظيمى لحياة الإنسان فهى تعوده على النظام وتقدير قيمة الوقت وفى هذا نقرأ قوله تعالى (إن الصلاة كانت على المؤمنين كتابا موقوتا)[2] كما أنها تربى المصلين على المساواة فيما بينهم وبث خلق التواضع والشفقة والتراحم فيما بينهم وبذلك يبتعدون عن الأخلاق الذميمة من الكبر والرياء إذ يقفون صفا واحدا كأسنان المشط لافضل لعربى على أعجمى ولا أبيض على أسود إلا بالتقوى.ومن هذا نقرأ قوله سبحانه وتعالى (يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم إن الله عليم خبير .)[3] ففيها تتحقق أسمى المعانى بوقوف القوى بجوار الضعيف والفقير بجوار الغنى وبهذا تزول التفرقة بين الأفراد والجماعات فلا طبقية ولا صراعات بين أفراد المجتمع.بل (الأخوة والمساواة فى الاعتبار الأول والمماثلة بين الحقوق والواجبات)[4] من أجل هذه الاعتبارات كان وعيده عليه الصلاة والسلام لقوم تخلفوا عن أداء بعض الصلوات فى جماعة بقوله (إن أثقل صلاة على المنافقين . صلاة العشاء وصلاة الفجر . ولو يعلمون ما فيهما لأتوهما ولو حبوا . ولقد هممت أن آمر بالصلاة فتقام . ثم آمر رجلا فيصلى بالناس ثم انطلق معى رجال معهم حزم من حطب إلى قوم لا يشهدون الصلاة فأحرق عليهم بيوتهم بالنار.)[5]

فالصلاة تؤلف بين قلوب أفراد المجتمع . وقد كان السلف الصالح رضوان الله عليهم (يعزون أنفسهم ثلاثة أيام إذا فاتتهم التكبيرة الأولى .

---

[1] سورة العنكبوت الآية رقم ٤٥ .

[2] سورة النساء الآية رقم ١٠٣ .

[3] سورة الحجرات الآية رقم ١٣ .

[4] القرآن والمجتمع . محمد البهى . ص ٧١ ط مكتبة وهبه . الثانية ١٩٨٦م .

[5] أخرجه مسلم فى صحيحه . شرح النووى . كتاب المساجد . باب فضل صلاة الجماعة . الجزء خامس ص ١٥٤ .

ويعزون سبعا إذا فاتتهم الجماعة)[1] فيد الله مع الجماعة . والصلوات اليومية قد يتخلف بعض الناس عن أدائها فى جماعة لكنهم يجتمعون يوم الجمعة ذلك الاجتماع الأسبوعى الذى يقوى فيهم روابط التآلف والتآزر والتراحم ويكون منهم مجتمعا صحيا نفسيا وجسديا . وعن صلاة الجمعة يقول سبحانه (**يا أيها الذين آمنوا إذا نودى للصلاة من يوم الجمعة فاسعوا إلى ذكر الله و ذروا البيع ذ لكم خير لكم إن كنتم تعلمون .**)[2] وهكذا تسهم الصلاة فى التواصل الاجتماعى والترابط بين أفراد المجتمع الواحد.

ثانيا : الزكاة :

وأما الزكاة فلا يستطيع أحد أن ينكر دورها فى إرساء قواعد التكافل الاجتماعى بين الأفراد من حيث الغنى والفقر والسعة والضيق . وقد شرعت الزكاة تزكية وتطهيرا للنفوس من أمراضها لأنها للمال أحب . وصدق الله إذ يقول (**وتحبون المال حبا جما**)[3] وهى فى حقيقتها تساعد على مرونة الحياة وسيرها بعيدا عن الأحقاد والضغائن . فالفقير يعيش مع الغنى على أرض واحدة . دعت الحكمة لهذا التفاوت ليخدم الناس بعضهم بعضا . ومن هذا المنطلق كان على الأغنياء حق معلوم فى أموالهم للسائل والمحروم . كما تساعد الزكاة على إرساء القاعدة الاجتماعية حيث يصل المجتمع فى الحقيقة إلى الوقاية من الأمراض الجسمية والنفسية لأن هذه الأموال (سوف تصرف لإسعاد الأخرين وعلاجهم جسميا ونفسيا مما يقى مثل هذه

---

[1] إحياء علوم الدين . الغزالى . الجزء الأول . ص ٢١٩ ط مكتبة الإيمان . الأولى ١٩٩٦م.
[2] سورة الجمعة الآية رقم (٩).
[3] سورة الفجر الآية رقم ٢٠

المجتمعات من تلك الأمراض .) [١] ولا يتوقف الأمر على الزكاة كفريضة وإنما هناك باب واسع هو التبرع والصدقات التى تؤثر بها بعض الأفراد على أنفسهم أناسا أخرين ابتغاء رضا الله تعالى وطمعا فى مغفرته وبركته . قد دعت الحكمـــة الإلهيـة لـهذا التوافق والتكاتف . ذلك لأن الناس خلقوا من نفس واحدة فهناك صلة (رحم طبيعيـة وقرابة ولا فرق بين أبيض وأسود وغني وفقير إلا بتقوى الله وطاعته .) [٢] وحديـث الأنصار والمهاجرين وإيثار بعضهم البعض فى الزوجة و المســكن والمـال ليعطـى انطباعا خاصا على مدى تغلغل الإيمان فى قلوبهم . فالأنصار (لايجدون فى صدورهم غيظا أو حسدا مما أعطى رسول الله عليه وسلم للمهاجرين . و يؤثرون على أنفسـهم غيرهم من المهاجرين ولو كان بهم حاجة شديدة .) [٣]

هكذا تكفلت الزكاة ببناء مجتمع متآلف إذ أن (مال الزكاة نفسه هو الضمان لتحقيـق التضامن فى المجتمع الإسلامى . وسد ثغرات الحقد التى قد توسع هوتها عزل صاحب الحاجة . بسبب العجز عن أن يشعر بالتعاون والأخوة إذا ما سيطرت الأنانيـة علـى تصرفات الأثرياء .) [٤]

ثالثا : الصيــام :-

والصيام مدرسة ربانية تتدرب فيها الجماعات على الإحساس المشـترك بيـن جميع الطوائف أغنياء وفقراء على القيم الاجتماعية ويؤدى إلى (تربية الفرد علـى التضامن الاجتماعى والتكافل الاجتماعى والتعاون والتماسك والعطـف علـى أبنـاء

---

[١] راجع القرآن والصحة النفسية . جمال ماضى . ص ٦٥ ط . دار الهلال . ١٩٩٤م.

[٢] البناء النفسى . حمدى على الفرماوى . ص ١٢٧ . مكتبة زهراء الشرق ١٩٩٦٠م .

[٣] البناء النفسى فى الإنسان . ص ١٢٨ .

[٤] طبقية المجتمع الأوربى . محمد البهى . ص ٤٨ ط مكتبة وهبه الثانية . ١٩٨٥م.

المجتمع وبذلك يزداد المجتمع قوة وترابطا وتماسكا ...) [١] وإذا كان الإنسان ميالا بطبعه للجماعة فالصوم مدرسة تربى هذه الخصلة وتنميها بل تزكيها.ومن مظاهر هذا التجمع تجمع الأسرة الواحدة حول الطعام . وكذا اجتماع الأفراد لأداء الصلوات فى جماعة . خاصة صلاة التراويح وكذا تجمعهم حول قراءة القرآن . أو الاستماع إليه . وكذا تماسك الجميع بأداء زكاة الفطر ففيها إسعاد لكل الأفراد . فضلا عن تعلق قلوب تلك الجماعات بتقبل الله الصيام منهم . فالصوم يحافظ على الصحة الجسدية والنفسية للإنسان وبذلك يشعر بالسعادة والرضا والهدوء . كما يمنع الصوم من الأحقاد والنظرات المسمومة التى قد تؤدى لتفكك الجماعات.وفيها يحفظ الأفراد ألسنتهم عن (الهذيان والكذب والغيبة والنميمة والفحش والجفاء والخصومة والمراء .) [٢] وبذلك تسعد الجماعات وتشبع دافعها أعنى دافع حب الاجتماع.

رابعا : الحج .

وأما الحج فشعيرة مباركة يجتمع فيها الملايين من الحجاج ممن قصدوا بيت الله العتيق نساء ورجالا . كما قال تعالى **(وأذن فى الناس بالحج يأتوك رجالا وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق ليشهدوا منافع لهم ويذكروا اسم الله فى أيام معلومات على مارزقهم من بهيمة الأنعام ...)** [٣] فمن المظاهر الجماعية فيه .

أولا : الميقات المعلوم لهذه الفريضة يبث فيهم روح الجماعة والوحدة .وكذا النظام فى الحياة ومعايشها . ففى هذه الشعيرة يكون الإحرام من ميقات واحد لكل بلدة

---

(١) الإسلام والعلاج النفسى الحديث عبد الرحمن عيسوى . ص ٢٢٩ ط دار النهضة ١٩٨٨م.
(٢) إحياء علوم الدين . الجزء الأول . ص ٣٤١ .
(٣) سورة الحج الآية رقم ٨ .

. وكذا لباسهم الواحد ودعوتهم الإله الواحد وتوجههم لقبلة واحدة . ففى ذلك قمة التوحد وقل مثل ذلك فى بقية المشاعر والمناسك . إنك ترى فيها النظام والتوحد الجمعى على غرار ما بينا .

ثانيا : يقضى الحج على غرور الإنسان وتكبره على إخوانه فهم فى هذا المكان رحماء فيما بينهم بحيث يقوم (قويهم بمساعدة ضعيفهم وتجده يشعر بمتعة فى هذا الأداء .) [١] فالجميع فى وفاق وانسجام إذ لا رفث ولا فسوق ولا جدال فى الحج فهو بذلك (تدريب للنفس على الضبط .. وعلى السلوك المهذب وعلى معاملة الناس بالحسنى .) [٢] وبذلك يعودون إخوة متحابين وقد تكونت لديهم الصداقات من مختلف الأقطار وبذلك تتسع دائرة الاتحاد الجماعى بينهم . فالحج يحقق لهم التكافل مع المحبة والتكاتف إلى آخر تلك الخصال والمعانى التى تتحقق أثناء تلك الشعيرة .

---

(١) القرآن والصحه النفسية . ص ٧٠ .

(٢) القرآن وعلم النفس . ص ٢٧٥ .

الإنســـان والتمــلك

لقد خلق الله الانسان وهيأ له سبل الحياة وراعى غرائزه مستحثا إيـــاه علـــى السعى تحقيقا لخلافته فى الأرض. وحتى يتحقق له إشباع حاجاته أرشده الله عز وجل لهذه السبل برا وبحرا ٠ وتبعا للتطور العمرانى والحضارى كان المال هـــو الوســـيلة التي يتبادل بها الناس فيما بينهم المنافع فيحصلون على الطعام والشراب ٠ وقديمـــا حكى القرآن الكريم هذا الموقف عن أصحاب الكهف فقال تعـــالى (**فـابـعثوا أحدكـم بـورقـكم هذه إلى المدينـة فلينـظر أيـها أزكى طعاما فليأتـكم بـرزق منـه وليتـلطف ولايشعرون بـكم أحدا)** ٠[١]

والتملك له أشكاله وصوره المتعددة فقد يكون في التجارة أو الصناعـــة أو الزراعـــة ٠٠٠ ألخ وقد راعى الإسلام هذه الأمور وزود الإنسان بما يرغبه في التملك وليوقفــه على مايصلح الكون ٠ فقد أرشده إلى المعادن الأرضيـــة ومـــا فيـــها مـــن منـــافع على سبيل المثال نقرأ قولــــه تعـــالى (**وأنـزلنـا الحديـد فيـه بـأس شديـد ومنـافـع للنـاس ....)**[٣]

كذلك أرشده تعالى لحراسة الأرض والانتفاع بخيراتها فقال تعـــالى (**أفرأيـتـم ماتحرثون٠ ءأنـتم تزرعونـه أم نـحن الزارعون)** ٠[٣]وذلك من نحو صب الماء وإنبات الحدائق والأعناب المختلفة ٠ وكذا أرشده تعالى للتجارة على اختلاف أنواعها علـــى سبيل المثال في الملابس عن طريق اتخاذ جلود الأنعام وتصنيعها أو اتخاذ ألبانها فـــي المنفعة العامة ٠ نقرأ في هذا قوله تعالى (**ومن أصوافـها وأوبـارها وأشعارها أثـاثـا ومتاعا إلى حين)** ٠[٤] وقد يكون عقارا كما حكى القرآن الكريم عن بلقيس ملكة ســـبأ

---

[١] سورة الكهف ٠ الآية رقم (١٩)٠

[٢] سورة الحديد ٠ الآية رقم (٢٥)٠

[٣] سورة الواقعة الأيتين رقم (٦٣،٦٤)

[٤] سورة النحل الآية رقم (٨٠)

وماكان من أمرها مع سليمان عليه السلام فقال تعالى (قيل لها ادخلي الصرح ٠فلما رأته حسبته لجة وكشفت عن ساقيها قال إنه صرح ممرد من قوارير) ٠[١]

وهكذا نرى تطور الحضارات شاهد على إشباع الإنسان لهذا الدافع.

وقد يكون التملك لمثل هذه الأشياء شائعا ٠ لكن يبقى المال هو العملة المتداولة بين الناس ٠ والإنسان له مع المال أمور فهو يحبه ويسعى إليه ويرغب فيه فهو زينة دنيوية على غرار قوله تعالى (المال والبنون زينة الحياة الدنيا) ٠[٢]

وهو فتنة وابتلاء قال الله عنه (إنما أموالكم وأولادكم فتنة)٠[٣] وهو أيضا خير قال الله عنه (وإنه لحب الخير لشديد) ٠[٤] وهو يحب المال ويحب كونه محبا له ناهيك عن إرادته في استكثاره وتنميته قال الله تعالى (وتحبون المال حبا جما)[٥]

ونقرأ قوله عليه الصلاة والسلام (لو كان لابن آدم واديان من مال لابتغى واديا ثالثا ولا يملأ جوف ابن آدم إلا التراب ٠٠٠٠)[٦] لكل هذه الأسباب مجتمعة كان تقديم المال على البنين في الآية الكريمة واضحا ٠ والارتباط وثيق ذلك لأن الإنسان في حاجة لاشباع غرائزه الأولية ولاسبيل إليها إلا (بالشراء بالمال السائل أو المتقوم ٠ كما أنه قد يكون عديم الأولاد لكنه لايمكنه أن يحيا بدون إشباع دوافعه) ٠[٧] وصفوة القول إن الارتباط وثيق وحاصل بين الدوافع الأولية والمكتسبة كما في دافع التملك .

---

[١] سورة النمل الآية رقم (٤٤)٠

[٢] سورة الكهف الآية رقم (٤٦)٠

[٣] سورة التغابن الآية رقم (١٥)٠

[٤] سورة العاديت الآية رقم (٨)٠

[٥] سورة الفجر الآية رقم (٢٠)٠

[٦] أخرجه مسلم في صحيحه شرح النووى٠ كتاب الزكاة ٠ باب كراهية الحرص على الدنيا ٠ الجزء السابع ٠ ص ١٤٠ ط دار الريان ١٩٨٧م٠

[٧] روح المعاني - الألوسي ٠ الجزء(١٥- ١٦) ٠ ص ٢٨٦ ٠ ط دار إحياء التراث ٠ الرابعة ١٩٨٥م٠

وأن الإنسان مازال ولديزال يحرص على المال حتى في وقت مشـــيبه قـال عليـه الصلاة والسلام(**يهرم ابن آدم وتشب منه اثنتان الحرص على المال والحرص على العمر.**)[1] ومن هنا كانت (نظرة الدراسات الأنثربولوجية و الســيكولوجية الحديثـة باعتبار دافع التملك دافعا نفسيا مكتسبا .) [2] والدافع النفسى على تنوعه لا يشترط فيه أن يكون مكتسبا كلية من المجتمع بل توجد فيه أيضا عناصر فطريـــة . وبذلـك تتوازن الصورة النفسية والاجتماعية للتكوين الإلهى لشخصية الإنسان .

أولا :- الجانب التربوي العقدي لدافع التملك

الاستقــرار النفســى

حرص المشرع الحكيم سبحانه على تقوية عقيدة أتباعه ورفع معنوياتهم بـــا للجــوء إليه والخضوع له وذلك بإعلامهم أنه هو الخالق وهو الـــرزاق وهــو الخبـير البصير بأحوال عباده . وتوالت الآيات القرآنية لتقوى هذا الجانب وتشد من أزر من يلجأون للدعة والحزن وسائر السلوك الشاذ فجاء قوله تعـالى (**وفى السماء رزقكم وماتوعدون**) .[3] **وقوله (إن الله هو الرزاق ذو القوة المتين)** .[4] فــلا اضطراب ولاحزن ولا ندم مادامت الأرزاق مضمونة علــــى الله. ونظــرة إلــى البدايات الأولى للخلق فقد كفل الله لآدم وزوجه رزقهما قبل أن يهبطا إلى الأرض فقال تعـالى (**وقلنـا يـا آدم اسكن أنـت وزوجك الجنـة وكلا منـهـا رغدا حيث شئتما ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين**) .[5]وعنــد الــهبوط مــن

---

[1] أخرجه مسلم في صحيحه كتاب الزكاة . باب كراهية الحرص على الدنيا . الجزء السابع ص ١٣٨ .

[2] القرآن وعلم النفس . محمد عثمان نجاتي . ص٤٢ .ط دار الشروق . الثالثة ١٩٨٧م.

[3] سورة الذاريات الآية رقم (٢٢).

[4] سورة الذاريات الآية رقم (٥٨).

[5] سورة البقرة الآية رقم (٣٥).

الجنة إلى الأرض بصره بالاستقرار والمتاع المؤقت إلى حين - والسنة الشريفة تحدثنا أنه عند التكوين الخلقى للإنسان يكتب الملك رزق العبد وأجله وشقاوته وسعادته وفى هذا يقول الصادق المصدوق **(إن أحدكم يجمع فى بطن أمه أربعين يوماً ثم يكون فى ذلك علقة مثل ذلك . ثم يكون فى ذلك مضغة مثل ذلك . ثم يرسل الملك فينفخ فيه الروح ويأمر بأربع كلمات بكتب رزقه وأجله وعمله وشقى أو سعيد)** .[1] وقد بين الله تعالى أن الاعتماد عليه خير سبيل وأن الرزق للجميع فقال **(وما من دابة في الأرض إلا على الله رزقها ويعلم مستقرها ومستودعها كل في كتاب مبين)** .[2] فالرزق مكفول للجميع وما على المرء إلا السعى عليه وأبوابه كثيرة لاتقف عند حد المال فحسب كما علمنا . ومن أجل دوام النعم طلب الله تعالى من عباده شكره عليها حيث يقول **(لئن شكرتم لأزيدنكم ولئن كفرتم إن عذابى لشديد)**.[3] وكلما صلح إيمان العبد تفتحت له أبواب الرزق من حيث لا يدرى. ومن هنا كان جواب مريم على سؤال زكريا عليه السلام عندما سألها عن مصدر رزقها وهو الذي يكفلها قالت كما حكى القرآن الكريم **(قال يا مريم أنى لك هذا قالت هو من عند الله إن الله يرزق من يشاء بغير حساب)**.[4] كذلك بين سبحانه أن عطاياه لا تنفد ومن تغلغل الإيمان في قلبه يدرك ذلك جيدا .ويعجبنى قول **أرنولدتوينبى** (إن الأزمة التي يعانى منها الأوربيون في العصر الحديث إنما ترجع في أساسها إلى الفقر الروحي وأن العلاج الوحيد لهذا التخوف الذي يعانى منه هو الرجوع إلى الدين) .[5] وفى هذا يقول الله تعالى **(ولو أن أهل القرى آمنوا واتقوا**

---

(١) اخرجه مسلم في صحيحه شرح النووى كتاب القدر . باب كيفية خلق الادمى فى بطن أمه . الجزء السادس عشر ص ١٩٠.

(٢) سورة هود الآية رقم (٦).

(٣) سورة ابراهيم الآية رقم (٧).

(٤) سورة آل عمران الآية رقم (٣٧)

(٥) القرآن وعلم النفس ص ٢٤٨

لفتحنا عليهم بركات من السماء والأرض ولكن كذبوا فأخذناهم بما كانوا يكسبون).[١] إذن لا قلق على الرزق لأن المتكفل كريم يبسط رزقه للصالح والطالح معا وتلك قمة الراحة النفسية التي تضبط الروح والجسد معا.وفى هذا نقرأ قوله تعالى **(كلا نمد هؤلاء وهؤلاء من عطاء ربك وما كان عطاء ربك محظورا.)**[٢]

فالمؤمن والكافر مشتركان في الرزق وعلى المرء التوكل على الله والسعى على رزقه امتثالا لقوله تعالى **(فامشوا فى مناكبها وكلوا من رزقه وإليه النشور)**[٣] .

وهكذا يتبين لنا أن التربية العقدية تجاه الرزق لها أثرها البالغ في راحة المؤمن الحق إذ جعلته يثق في الله عز وجل أوثق مما في يده.وذلك لأن قوة الإيمان تضمن حياة سليمة بعيدة عن الاضطرابات النفسية والجسدية التي تؤدى إلى التهلكة وقد قيل (إن أعظم علاج للقلق ولاشك هو الإيمان بالله وهو من الأسباب التي لابد من توافرها لمعاونة المرء على العيش) [٤]فالإيمان بالله تعالى كفيل بتثبيت قلب الإنسان.فهو في كفالة الله ورعايته ولديه حصانة إلهية أشد من الجبال الرواسى. ناهيك عن الثواب الذي أعده الله له في الأخرة. وإذا كان المال عصب الحياة ومن محبوبات النفس كما علمنا فإننا نرى أن الإسلام. أباح تملكه وكذا غيره من صنوف النعم التي لا تعد ولا تحصى وفى هذا نقرأ قوله تعالى **(ولا تنس نصيبك من الدنيا وأحسن كما أحسن الله إليك ولا تبغ الفساد فى الأرض إن الله لا يحب المفسدين)**.[٥]كذلك حرص الإسلام على مراعاة الفروق الفردية التي تكون بين

---

[١] سورة الأعراف الآية رقم (٩٦).

[٢] سورة الإسراء الآية رقم (٢٠).

[٣] سورة الملك الآية رقم (١٥) .

[٤] القرآن وعلم النفس . ص ٢٤٨ .

[٥] سورة القصص الآية رقم (٧٧).

الأغنياء والفقراء فلا يجوز لغنى أن يفتخر على فقير زاعماً أن ذلك الغنى من الله إرضاءاً عليه وسخطاً عن الغير وأنه ما أمده بهذه النعم إلا لحبه له من هنا كان ارتكاز المحور العقدي على صلاح الفرد بالتقوى والعمل الصالح فهما سبب الحب من الله.

وفى هذا نقرأ قوله تعالى (**وقالوا نحن أكثر أموالا وأولادا وما نحن بمعذبين • قل إن ربى يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر ولكن أكثر الناس لايعلمون• وما أموالكم ولا أولادكم بالتى تقربكم عندنا زلفى إلامن آمن وعمل صالحا فأولئك لهم جزاء الضعف بما عملوا وهم في الغرفات آمنون**) •[١] وفى السنة الشريفة ما يبين ذلك ومنه قوله عليه الصلاة والسلام (**إن الله قسم بينكم أخلاقكم كما قسم بينكم أرزاقكم وإن الله يعطى الدنيا من يحب ومن لا يحب ولا يعطى الدين إلا لمن أحب فمن أعطاه الله الدين فقد أحبه والذي نفسي بيده لا يسلم عبد حتى يسلم قلبه ولسانه • ولا يؤمن حتى يأمن جاره بوائقه**) •[٢] كما فند سبحانه وتعالى افتراء وكذب هؤلاء القوم مبينا أن المال لا يدفع عن الكافر العذاب ولا ينجيه من الله يوم القيامة ولو قدم ملء الأرض ذهبا . مصداقا لقوله تعالى (**إن الذين كفروا وماتوا وهم كفار فلن يقبل من أحدهم ملء الأرض ذهبا ولو افتدى به ....**) [٣] فالمال وإن كثر لايعد مظهرا من مظاهر رضا الله عز وجل عن شخص ما . إذ ربما يكون ابتلاء كما في قوله تعالى (**ونبلوكم بالشر والخير فتنة .**) [٤] وقوله (**أيحسبون أنما نمدهم به من مال وبنين نسارع لهم فى الخيرات بل لا يشعرون**)[٥] فالرجل يوزن بعمله لا بماله وفى هذا رد على من ادعى أن كثرة المال (منح إلهية تدل على الرضا

---

[١] سورة سبأ الآيات رقم ٣٧,٣٦,٢٥)•

[٢] أخرجه أحمد في مسنده • الجزء الأول ص ٣٨٧ • ط دار صادر • المكتب الإسلامي ١٩٦٩م • ١٣٨٩هـ

[٣] سورة آلعمران الآية رقم (٩١) .

[٤] سورة الأنبياء الآية رقم (٣٥) .

[٥] سورة المؤمنون الآيتين رقم (٥٥ ، ٥٦ .

عنه وأن السعادة المرجوة لا تقوم إلا على ركام كثيف من المال) [١] لذا رتب سبحانه وتعالى على ذلك تحذيره من الاغترار بما يملكه الكافرون من عرض زائل حيث يقـول الله تعالى (**فلا تعجبك أموالهم ولا أولادهم إنما يريد الله ليعذبهم بها فى الحياة الدنيا وتزهق أنفسهم وهم كافرون.)** [٢]

وجاءت دعوته صلى الله عليه وسلم مثالا للقناعة بما قسم الله وأعطى وفـي هذا يقول عليه الصلاة والسلام (**ليس الغنى عن كثرة العرض ولكن الغنى غنى النفس.)** [٣] وبهذا يسود التراحم والتكاتف بين الجميع فـالمؤمنون بعضـهم أوليـاء بعض وهم على من سواهم .

ثانيا : الجانب التشريعي

لا ينكر عاقل أن المال مال الله إلا من أغمض عينيه عن الحق وجحد نعمة الله عليه . وفى هذا يقول الله تعالى (**وأنفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه ...**) [٤] وقوله (···**وآتوهم من مال الله الذى آتاكم ...**) [٥] إلى غير ذلك من الآيات . ومـن أجـل حصول التكاتف الاجتماعي بين الأفراد كانت التربية الإسلامية حافزا لدافع التملـك . وذلك يتأتى ببذل بعض ما لديهم من أموال للسائل والمحروم ... الخ فالمال ليس حكرا على الأغنياء وحدهم . كما أنه ليس مشاعا بيـن الأفـراد . ذلـك لأن الأول وهـو خصوصية المال للأغنياء لا يستفيد منه إلا قلة وتبقى الكثرة في ضنك من العيش ممـا يهدد بخراب عاجل وموت محقق للطوائف الأخرى فتتفاقم الأمراض وينتشـر الـهرج

---

(١) الإسلام والأوضاع الاقتصادية محمد الغزالي ص (٩١) ط دار الكتاب العربي الأولى ١٩٤٧م .

(٢) سورة التوبة الآية رقم (٥٥) .

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه ، شرح النووى – كتاب الزكاة باب القناعة – الجزء السابع ص (١٤٠).

(٤) سورة الحديد الآية رقم (٧) .

(٥) سورة [illegible] الآية رقم (٣٣) .

والمرج إلى غير ذلك من المساويء. والثاني وإن أشاع المال إلا أنه يجنى في نفس الوقت على ملايين البشر وخاصة (ذوى المواهب والمزايا من المفكرين وغيرهم)[١] إذ ينتشر من وراء ذلك الكسل والخمول وعدم إعمال الفكر كل ذلك من وراء فقد الملكية الخاصة . وعليك أن تلقى بنظرك على الاتحاد السوفيتي مثلا وما وقع فيه من خراب ودمار . كل ذلك من جراء ترك شرع الله الحكيم . والإسلام بتعاليمه السامية بعيد عما يسمى بالرأسمالية والشيوعية . فهو يدور في فلك الوسطية والحكمة الإلهية تجلت في قوله تعالى (**ولو بسط الله الرزق لعباده لبغوا فى الأرض ولكن ينزل بقدر ما يشاء**)[٢] فهناك من هم أصحاب الثراء والغنى وهناك الفقراء وغيرهم ممن لا يملكون شيئا .وتظهر الحكمة أيضا في دفع الناس بعضهم ببعض عن طريق إنفاق الغنى جزءا من ماله للسائل والمحروم تحقيقا للتضامن والعدالة الاجتماعية . وتزكية لماله ولأولاده كما أمر الله تعالى . وقد وعد الباذلين بالزيادة . فهذا يساعد على نمو المجتمع وخروجه للظهور وبروز دوره في الإنتاج بعيدا عن الطاقات المعطلة التي لاتجد شيئا إلا الفقر الذي يهدد حياتها ومستقبلها (فالبائس المحتاج لا يجد في صدره حماسة للدفاع عن وطنه والذود عن حرمات أمته لأن وطنه لم يطعمه من جوع ولم يؤمنه من خوف)[٣] فالزكاة والصدقة سبيل هذا التكافل والرقي التنموي للأمة . فالتشريع الإسلامي فيه إحياء للأمم المطبقة لنهجه . ومن هنا كانت فرضية الزكاة منه سبحانه وتعالى بين أفراد المجتمع تهذيبا لدوافعهم التملكية وبثا للمحبة بينهم ، حتى لا يطغى أحد على أحد ولا يفخر مجتمع على مجتمع آخر.[٤] فتعاليم الإسلام المالية

---

(١) راجع المذاهب الاجتماعية الحديثة – محمد عبد الله عثمان ص (١١٠) ط مطبعة الاعتماد الثانية ١٩٤٥م .

(٢) سورة الشورى الآية رقم (٢٧) .

(٣) عدالة توزيع الثروة في الإسلام – عبد السميع المصري – ص (٧٤) ط مكتبه وهبه الأولى ١٩٨٦م

(٤) يقول أحد علماء الغرب (إن الإسلام لديه من الكفاية ما يجعله قادرا على تحقيق فكرة المساواة ، وذلك بفرض زكاة يدفعها كل فرد لبيت المال وهو يناهض عمليات المبادلات التي لا ضابط لها . وحبس الثروات . كما يناهض الديون الربوية والضرائب غير المباشرة . التي تفرض على الحاجات الأولية الضرورية ...) راجع الإعجاز العلمي في الإسلام محمد كامل عبد الصمد ص ٢٦٢ الدار المصرية اللبنانية الأولى ١٩٩٠)

متمثلة في قوله تعالى (**خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها وصل عليهم إن صلاتك سكن لهم والله سميع عليم .**) [١] فالزكاة تزكى الروح والبدن معا وترقى بصاحبها عن الشح والبخل . كما أنها تساعد الفقراء والمحتاجين على مواجهة أعباء الحياة دون نظرة حقد وحسد على إخوانهم المترفين . وبذلك تستقيم الأمور وتعم البركة في الأموال وفي المجتمع من خلال روح واحدة يعمها التكافل الاجتماعي. والزكاة من ناحية أخري هي المذكر للفرد (بحصة الجماعة من ماله الذي يكسبه بكده وكدحه وهى المذكر له بأن يعمل لغيره ولا يعمل لنفسه وكفي) [٢] بعيدا عن الأنانية والبخل والشح وبذلك لا يصبح الفرد عبدا للمال حارسا له إذ لا ينفعه ولا ينتفع به غيره ذلك لأنه دار في الإطار السلبي . فهذا نوع من الحب للمال يسبب أمراضا فتاكة تضر بالروح والبدن معا . فوق أنها تفتك بالمجتمعات . ومن الحقائق المعروفة أن الذين يتاجرون بأموالهم ويضاربون بها في الأسواق العالمية عندما (تهبط قيمة الأسهم في البورصة ترتفع نسبة السكر في البول والدم بين المضاربين .) [٣]وفى هذا دلالة على عظمة الإسلام بتعاليمه الحكيمة التي تقي المجتمع من كل مكروه وسوء .

أبرز الجوانب التربوية لدافع التملك

أولا :- وضع الزكاة في أبوابها الشرعية

حث الإسلام أتباعه بعدم التعلق بالشعارات والأماني الكاذبة فإصلاح القلب أولا ثم التعلق بالفروع الأخرى من الدين مطلوب شرعا . ثم البحث عن الأبواب والمصارف الحقيقية حتى تتم الفائدة مع الأجر العظيم من الله تعالى . فالمؤمن في

---

(١) سورة التوبة الآية رقم (١٠٣) .

(٢) حقائق الإسلام وأباطيل خصومه – العقاد . ص (٨٣) ط الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٩٩م .

(٣) جدد حياتك – محمد الغزالي – ص (٤١) ط دار الدعوة . الأولى ١٤١٠هـ – ١٩٨٩م .

قوله وعمله يتقرب إلى الله تعالى هو بذلك المؤمن حقا وفى ذلك نقرأ قولـــه تعـالى **(ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيين وآتى المال على حبه ذوى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل والسائلين وفى الرقاب ....)**[1] فهذا هو السلوك الذى يضمن حياة سعيدة يتدرب أفرادها على التقوى ويطبقون شرع الله . كذلك أرشد الإسلام أتباعه لوجوه الصرف الشرعية لمن تجب لـــهم النفقـــة فقـــال تعالى **(إنما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم وفى الرقاب والغارمين وفى سبيل الله وابن السبيل فريضة من الله والله عليم حكيم)**[2]

ثانياً : الإخلاص :

حتى يكتمل البناء التربوي طلب الإسلام من المؤمن بذل هذا المال طلبا للحسب والخير بعيدا عن المن والرياء والشهرة أو السمعة . ومن هذا نرى نصحه تعالى فـــي قوله **(الذين ينفقون أموالهم فى سبيل ثم لا يتبعون ما أنفقوا منا ولا أذى لهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون)**[3] فالطهارة القلبية مطلوبة من كل منفق فهي نجاة له من العذاب الأخروى . وأدعي لقبول نفقته ومضاعفتها له،وفى هذا يقول الله تعالى **(فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه أحدا)** .[4]

كما طالب الإسلام الأغنياء بتكفف الفقراء ومساعدتهم وذلك إغناء لهم عن ذل السؤال حتى لا يكون الأمر مدعاة للتسول . فضلا عن تبكيتهم وتعنيفهم عند إعطائـــهم

---

[1] سورة البقرة الآية رقم (١٧٧) .
[2] سورة التوبة الآية رقم (٦٠) .
[3] سورة البقرة الآية رقم (٢٦٢)
[4] سورة الكهف الآية رقم (١١٠)

ما ينفقونه . فهؤلاء الفقراء يتعففون عن السؤال مع احتياجهم للمال . وفى هذا يقول الله تعالى (**للفقراء الذين أحصروا فى سبيل الله لا يستطيعون ضربا في الأرض يحسبهم الجاهل أغنياء من التعفف تعرفهم بسيماهم لا يسألون الناس إلحافا..**) [١] فمراعاة الجانب النفسي للفقير تعد طهارة قلبية لدى المنفق ومن هنا كان الثواب عظيما لمن راعى ذلك ويتبين لنا ذلك من خلال إرشاده صلى الله عليه وسلم عندما عد من السبعة الذين يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله .(.. ورجل تصدق أخفى حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه .) [٢] كل ذلك حفاظا على الود والتراحم بين المسلمين بعضهم بعضا.

ثالثا : التعويض الإلهى :-

رغب الإسلام المنفقين في العطاء والبذل زكاة كانت أو صدقات أو هبات ... ألخ فوضع الحافز لذلك بأن ما عند الله باق ولا ينفد . وعلى الأغنياء ألا يجزعوا لنقص بعض أموالهم بل عليهم أن يعلموا أنه ما نقصت صدقة من مال وأن لله ميراث السماوات والأرض وفى هذا يقول الله تعالى (**وما أنفقتم من شئ فهو يخلفه وهو خير الرازقين**) [٣] وقد ورد أيضا هذا التوجيه في السنة النبوية المشرفة يقول النبي صلى الله عليه وسلم (**ما من يوم يصبح العباد فيه إلا ملكان ينزلان يقول أحدهما اللهم أعط منفقا خلفا ، ويقول الأخر اللهم أعط ممسكا تلفا**) [٤] فالتربية الإسلامية تحول حب المال لدى المرء إلى عمل صالح (.. يخلد صاحبه في الدنيا بالذكر الجميل وفى الأخرة بالنعيم المقيم.) [٥]

---

[١] سورة البقرة الآية رقم (٢٧٣) .

[٢] أخرجه البخاري في صحيحه (كتاب الآذان . الجزء الثاني . ص (١٨٢)ح (٦٦٠) تحقيق -عبد العزيزبن باز - محمد فؤاد عبد الباقي ط دار الكتب العلمية . بيروت الاولى ١٩٨٩م.

[٣] سورة سبأ الآية رقم (٣٩) .

[٤] أخرجه مسلم في صحيحه - شرح النووي - كتاب الزكاة - باب كل نوع من المعروف صدقه . الجزء السابع . (٩٥) .

[٥] التفسير الكبير - الجزء الثاني والثلاثون - ص ٩٤

رابعا: التـــوسط :- *

أرشد الإسلام أتباعه إلى مراعاة التوسط في نفقاتهم كمنهج حياتي فقال مادحـا عباده المنفقين (**والذين إذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا و كان بين ذلك قواما**)[١] فالله لا يكلف نفسا إلا ما أتاها وامتد التوجيه ليشمل الإنفاق العائلي وفى هـذا يقـول تعالى (**لينفق ذو سعة من سعته . ومن قدر عليه رزقه فلينفق مما أتاه الله لايكلف الله نفسا إلا ما أتاها .**)[٢] فالتوسط من أعظم أصول الاقتصاد.ومن هنا كـان نهى الإسلام عن الإسراف لأنه سبيل لمضيعة المال وفوات الخيرات . كما نهاهم عـن التقتير لأنه مؤد للبخل وأمراضه النفسية كالحقد والحسد . ولقد توالت الأوامر الإلهيـة في هذا الشأن فنقرأ قوله تعالى (**ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك ولا تبسطها كل البسط فتقعد ملوما محسورا .**)[٣] والمنفق على نفسه بصيرة يقيس أحواله وأمـوره بمقياس دقيق (**فالإمساك حيث يجب البذل بخل . والبذل حيث يجب الإمساك تبذير وبينهما وسط وهو المحمود وينبغى أن يكون السخاء والجود عبارة عنه .**)[٤]

خامسا : الإنفاق أمانة ومسئولية :-

وجه الإسلام أتباعه أيضا إلى توجيه غيرهم للصالح العام ممـن لا يحسـنون التصرف• . فهم مسئولون عنهم خاصة هؤلاء العابثين إنهم يملكـون فيسـرفون فـي أموالهم وممتلكاتهم دون قيد وتضيع أموالهم هباء منثورا .. وهنـا يحسـن تدخـل العقلاء حفاظا على أموال هؤلاء السفهاء وتوظيفها في العمل المفيد.ومن أجـل هـذا

---

* نلاحظ هنا أن الوسطية الأرسطية تتفق بالانفاق والكرم عند خط الوسط .

• راجع الفلسفة الاغريقية . د/محمد غلاب . ص ١٠٦ ، ١٠٧ . الجزء الثاني . طبعة القاهرة الأولى ١٩٢٨) .

[١] سورة الفرقان الآية رقم (٦٧) .

[٢] سورة الطلاق الآية رقم ٧ .

[٣] سورة الإسراء الآية رقم ٢٩ .

[٤] إحياء علوم الدين الغزالي . الجزء الثالث . ص ٣٦٦

كان قوله تعالى (**ولا تؤتوا السفهاء أموالكم التى جعل الله لكم قياما ...**) [١] كذلك طلب الإسلام المحافظة على أملاك من لا يستطيعون التصرف لحين بلوغهم فقال تعالى (**وابتلوا اليتامى حتى إذا بلغوا النكاح فإن آنستم منهم رشدا فادفعوا إليهم أموالهم ولا تأكلوها إسرافا وبدرا أن يكبروا ...**) [٢] كل ذلك حفاظا على الأمانة الملقاة على عاتق الأولياء والأوصياء . وسدا لباب الفوضى . وأكل أموال الناس بالباطل بهذا نحفظ للسفيه ماله ولليتيم أملاكه . فأحسن بهذه العقيدة وأنعم بهذه الشريعة الغراء .

سادسا : التأليف القلبى والسلامة المستقبلية :-

حفز الإسلام أن تكون النفقة في المقام الأول للوالدين باعتبارهماأقرب ما يكون للإنسان . فالعطف على الآباء بدفع النفقات إليهم يعتبر قربة لله عز وجل وتأليفا للقلوب المؤمنة.وقد عدد الله تعالى أصنافا من الناس هم أحق بالبر والصدقة وجعل على رأسهم الوالدين قال الله تعالى (**يسألونك ماذا ينفقون قل ما أنفقتم من خير فللوالدين والأقربين واليتامى والمساكين وابن السبيل وما تفعلوا من خير فإن الله به عليم.**) [٣] هذا ويجب على الآباء مراعاة الحكمة تجاه أبنائهم في دفع النفقات إليهم تعويدا لهم على حياة اليسر والعسر تبعا لظروف الحياة المختلفة . فلهم حظ من هذا التوجيه . وكذا المعلمين للأبناء في دور العلم المختلفة . فحظ الآباء يكمن في (دفع نفقات أبنائهم بحساب معلوم . كذلك حظ المعلمين موالاة الحث على ادخارهاومناقشاتهم في وجوه الصرف.) [٤] فذلك كله يضمن تخريج عقليات ناضجة

---

[١] سورة النساء الآية رقم ٥

[٢] سورة النساء الآية رقم ٦ .

[٣] سورة البقرة الآية رقم ٢١٥ .

[٤] الغرائز وعلاقتها بالتربية . محمد حسنين الغمراوي . ص ١٨٣ .

واعية تفهم معنى الملكية الخاصة وكذا العامة كالمرافق والطرق وما إلى ذلك. جـــاء في الحديث الشريف ما يفيد الحكمة في التصرف المالي ومسئولية هذا الأمر في قولــه علية الصلاة والسلام **(إن الله كـره لكم قيـل وقـال وكـثرة السؤال وإضاعـة المال .)**[١] فالدور مشترك بين الاباء والمربين فى دور العلم فى الحفاظ علـــى الملكيـــة العامـــة والخاصة .

سادسا : الرضا بالقضاء الالهي :-

اقتضت حكمة الله تعالى أن لا يسوى بين الناس في العطاء وهذا لحكم يعلمـــها هو سبحانه . وقد طلب الإسلام من المؤمن القناعة بقسمة الله له سواء أكان غنيـــا أم فقيرا.ومن أسس ذلك جعلت التربية الإسلامية الفقير لا يحلف في المســـألة ، ويـــأخذ على قدر حاجته حتى لا يكون الأمر مدعاة للتسول والكسل وترك العمل . من هنا كان توجيهه عليه الصلاة والسلام بقوله **(إن هذا المال خضرة حلوة فمن أخذه بـحقه ووضعه في حقه فنـعم المعونـة هو . ومن أخذه بـغير حقه كـان كـالذى يـأكل ولا يـشبـع .)**[٣] فالقناعة مطلوبة . والرضا بالقضاء حق فرضه الإسلام على الجميـــع غنيـــا وفقـــيرا محتاجا وغير محتاج .

سابعا : الكسب الطيب:-

قد علمنا أن الإسلام أباح للمرء التملك وهيأ له تعالى السبل اللازمة لذلك سواء فـــي البر أو في البحر أو في الجو ...ألخ لكنه طلب منه تربية نفسه وتهذيبها وتعويدها على الكسب الحلال الطيب بالطرق المشروعة بعيدا عن الحرام وطرقه كالربـــا وأكـــل أموال الناس بالباطل .... الخ وذلك سلوك يمنعه الإسلام لأن فيه ضلال واختــــلاق

---

(١) أخرجه مسلم فى صحيحه . كتاب الأقضية . باب النهي عن كثرة المسائل من غير حاجة . الجزء الثاني عشر . ص ١٣ .

(٣) أخرجه مسلم فى صحيحه . كتاب الزكاة . باب التحذير من الاغترار بزينة الدنيا . الجزء السابع . ص ١٤٣ .

بالباطل والاغتناء بدون تعب أو كد في أقل مدة وبأقل جهد والخسارة في النهاية علـى حساب الفقراء. فمن المفروض واللائق بالمسلم أن يقف من إخوانـه موقفـا (يتسم بالحب والرحمة والإعانة وبذلك ينجح في تحقيق التوازن والانسجام القيـم بالنسـبة للمجال الإقتصادى)[١] ومن هنا كان إنكار الإسلام لاستغلال الإنسان حاجة أخيـه إلـى الأموال (يشترى بها حاجاته بشرط أن يرده إليه أضعافا مضاعفة)[٢] وهو ما يسـمى بالربا وجاء الوعيد الشديد لهؤلاء المرابين في قوله تعالى **(الذين يأكلون الربا لا يقومون إلا كما يقوم الذى يتخبطه الشيطان من المس ذلك بأنهم قالوا إنما البيع مثل الربا وأحل الله البيع وحرم الربا ..)**[٣] وجاء النهى عن الأكل بالبـاطل في قوله تعالى **(ياأيها الذين آمنوا لا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل إلا أن تكون تجارة عن تراض منكم ..)**[٤] ومعلوم أن المال قيمته فيما ينتجه فـإن أنتـج الخير عاد بالخير على الناس وإذا وجه إلى الشر أعقب شرا. فـالأخوة لا تكـون إلا بالمساعدة والتملك لا يكون إلا من حلال . وهل ينتظر المرابون إلا حربـا مـن الله ورسوله كما توعدهم الله تعالى بقوله **(.. فإن لم تفعلوا فأذنوا بحرب من الله ورسوله ..)**[٥] وكم انهارت مجتمعات قام بنيانها على الربا والاستغلال وأكل أمـوال الناس بالباطل .

ثامنا : مشروعية الحدود حفاظا على الملكية:-

نرى أن الإسلام يحافظ على الأموال بشتى الطرق ومـن ذلـك مشـروعية الحدود وفى هـذا الإطـار توعـد الله السـارقين والعـابثين بالعقوبـة فـي الدنيـا

---

[١] [illegible] رشاد عبد العزيز القوصى ص ٢٤٦ ط دار المعرفة ١٩٩٣م .
[٢] [illegible] محمد أحمد خلف الله ص ٧١ ط الهيئة العامة للكتاب ١٩٧٠م
[٣] سورة [illegible] الآية رقم (٢٧٥).
[٤] سورة [illegible] الآية رقم (٢٩).
[٥] [illegible] الآية رقم (٢٧٩).

والأخرة فقال (**والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما جزاء بما كسبا نكالا من الله والله عزيز حكيم.**) [1] فذلك حماية للمرء من نفسه و بعداً عن الحرام وحماية للملكيات الخاصة.ناهيك عن قطع دابر الجريمة وإرساء للسلام وفى ذلك العظة والعبرة النافعة ومع التسوية العادلة في إقامة الحد على الجميع تتكامل أركان الحماية . ومع الحدود وضع الاسلام الثوابت الراسخة فى تقسيم المواريث والتي يتركها السابقون للاحقين.فأعطى كل فرد حقه في مال المورث حتى لا يطغى أحدهم على الأخر بدافع التملك مستغلا ضعف شريكه وعدم علمه.ومن ذلك فعل الجاهليين قبل الإسلام فقد كانوا يأكلون أموال اليتامى ظلما وعدوانا ويجمعون نصيب غيرهم إلي نصيبهم وقد ذمهم القرآن الكريم فى قوله تعالى (**وتأكلون التراث أكلا لما**) [2] ناهيك عن عدم توريث النساء والأطفال بحجة أنه (لا يرث إلا من حمل السلاح والرماح وذاد عن الحوزة * وحاز الغنيمة.) [3]

فبين سبحانه أن (الا رث غير مختص بالرجال بل هو أمر مشترك بين الرجال والنساء) [4] وقد قسمت آيات المواريث التركة التى يتركها المورث مع البيان المفصل لأحوال كل وارث سدا لأبواب الشر والسوء ونشرا للخير بين أكبر عدد ممكن. حتى لا يكون المال دولة بين فئة دون فئة . فالتقسيم الإلهى يزكى روح التملك لدى كل وارث وينبىء على العدل الإلهىحيث يندر أن (ينفرد بالتركة واحد من الورثة وعلى هذا النحو نرى الملكية تتوزع جيلا بعد جيل للتوريث وما تراه مملوكا لأحد المسلمين في زمن ما تراة بعد عدد من السنيين قصر أم طال

---

[1] سورة المائدة الأية رقم (٣٨).

[2] سورة الفجر الآية رقم (١٩) .

[3] التفسير الكبير الرازى . الجزء التاسع . ص ٢٠٢

* الحوزة معناها (الناحية ، وحوزة الرجل ما فى ملكه وحوزة الإسلام حدوده ونواحيه) .

راجع المعجم الوجيز . ص ١٧٨ – ط وزارة التربية والتعليم . ١٩٩٥.

[4] التفسير الكبير . جزء التاسع . ص ٢٠٢

مملوكا لعدد من الا فراد .)[1] فالتوزيع الإلهي يضمن بقاء المحبة والتوافق بين الافراد كما أنه يهذب دافع التملك لدى الأفراد ويجعلهم قانعين بعطاء الله كل حسب ماقدره الله له .

ثامنا : التطبيق العملي . الثمرة الطيبة :-

هذب الإسلام سلوك المالكين عن طريق أمرهم بدافع أجود ما يملكون وأحبه لنفوسهم للمحتاجين مع الاقتناع الكامل بأن ما عند الله خير وأبقى.وقد كان ثمار ذلك تطبيقا عمليا أثرى الحياة بالأمان والطمأنينة. وكان الصحابة والسلف الصالح رضوان الله عليهم خير مطبق لهذا الأمر.وكانوا إذا أحبوا شيئا جعلوه لله.فقد روى أنه لما نزلت هذه الآية (لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون ..)[2] قال(أبو طلحه يا رسول الله لى حائط بالمدينة وهو أحب أموالى إلى أفأتصدق به . فقال عليه الصلاة والسلام بخ بخ ذاك مال رابح وإنى أرى أن تجعلها فى الأقربين .)[3]

شواهد تربوية:-

علمنا أن الإنسان مدني بطبعه لا يستطيع أن يعيش وحده بل لابد من مجتمع يألفه. من هنا كانت فريضة الزكاة حتى تختفى الأحقاد من الصدور إلى غير ذلك من المساوىء السلبية الأخرى التي مضى الكلام عليها . ولقد سجل التاريخ بأحرف من نور سيرة النبي صلى الله عليه وسلم وكذا أصحابه رضوان الله عليهم وحالهم مع هذا الدافع ونكتفي بالإشارة إلي أثر التربية لدى بعض الصحابة رضوان الله عليهم تجاه هذا الدافع كنماذج تحتذى.

---

[1] المواريث فى الإسلام / عمر ابراهيم الراكشى ص ٩ ط الهيئة العامة المصرية للكتاب ١٩٩٥م

[2] سورة آل عمران الاية رقم ٩٢).

[3] أخرجه مسلم فى صحيحه – شرح النووى . كتاب الزكاة باب فضل النفقه على الأقربين . الجزء السابع ص ٨٤.

أولا :- سيدنا أبو بكر الصديق رضي الله عنه .

لقد بذل الصديق أملاكه من مال وغيره فجعلها في سبيل الله تعالى معلنا أن ما عند الله خير وأبقى على الرغم من قول أبيه له (يا بني أراك تعتق رقابا ضعافا . فلو أنك إذا فعلت ما فعلت أعتقت رجالا جلدة يمنعوك ويقومون دونك . فقال أبو بكر يأبت إني إنما أريد ما أريد . .)[1] وفيه نزل قوله تعالى (وسيجنبها الأتقى . الذى يؤتى ماله يتزكى . وما لأحد عنده من نعمة تجزى إلا ابتغاء وجه ربه الأعلى . ولسوف يرضى) [2]

ثانيا :- سيدنا عثمان رضي الله عنه :-

وهذا مثال آخر شاهد على روعة الإسلام وصدق أبنائه هو سيدنا عثمان بن عفان رضى الله عنه . والذي كان غنيا بماله وتجارته وقد وجهه إلي أبواب الخير ولخدمة الإسلام والمسلمين حيث اشترى بئر رومة من يهودي ليشرب منه الناس صدقة كما جهز جيش العسرة في غزوة تبوك ٩ هـ . [3] في وقت كان المسلمون لا يجدون شيئا.ومن هنا كان ثناء النبى صلى الله عليه وسلم بقوله (اللهم ارض عن عثمان فإني عنه راض) [4]

ثالثا :- سيدنا عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه :-

وهذا هو سيدنا عبد الرحمن بن عوف رضى الله عنه يتصدق فى نفس الغزوة (بمائتى أوقية ، وعمر بمائة أوقية و تصدق عاصم الأنصارى بتسعين وسقا من تمر .) [5]

---

[1] راجع أسباب النزول تصنيف الشيخ أبي الحسن على ابن أحمد الواحدى . ص ١٣٦ ط مطبعه هنديه ١٣١٥هـ .

[2] سورة الليل من الآية (١٧)حتى الآية(٢١) .

[3] تاريخ الاسلام . الذهبى . المجلد الاول . ص ٥١٥ ط دار الغد العربي ١٩٩٦م .

[4] سيرة النبى . ابن هشام تحقيق محمد محى الدين . الجزء السادس . ص ١٣٣٥ ط كتاب الجمهورية ١٩٨٩م .

[5] تاريخ الاسلام . المجلد الاول . ص ٥١٥ .

وعند سؤال عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه من النبي صلى الله عليه وسلم هل تركت لأهلك شيئا . قال نعم أكثر مما أنفقت وأطيب قال كم . قال ماود الله ورسوله من الرزق والخير) [1] وهذه أمثلة ونماذج من الرعيل الاول وهنك الكثير منها إكتفينا بضرب المثل . إنها التربية التي تسوق المؤمن إلى الرضا بعطاء الله وعوضه ورضاه دون استحداث لهلاك نفس أو خشية فقر أو مرض- هذا الجانب الإيجابي الذي رأيناه يكشف لنا مدى التربية الإسلامية المتعلقة في نفوس أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الذين اقتدوا به في حياته وبعد مماته صلى الله عليه وسلم فكانت لهم المثوبة في الدنيا والآخرة .

وفى الجانب الآخر العكسي نضرب بعض الأمثلة وما أل إليه هذا الفريق كما وضحه القرآن الكريم.

أولا : قارون :-

كان قارون من قوم موسى عليه السلام وقد أتاه الله الأموال الكثيرة فادعى أن حب الله من وراء هذه النعم معتقدا خلوده وبقاء ماله معه وأغتر بذلك الجاه والمال وفتن به الذين يريدون الحياة الدنيا من أهل عصره عند خروجه عليهم في زينته ، وتمنوا نيل مكانته وتعلقت قلوبهم بذلك قائلين كما حكى القرآن الكريم (**قال الذين يريدون الحياة الدنيا ياليت لنا مثل ماأوتى قارون إنه لذو حظ عظيم** ٠) [2] لكن الفئة المؤمنة كان لها شأن آخر مبنى على وعى ومعرفة بالمال وقيمته والدنيا ومأنها حيث قالوا لهؤلاء الطالبين للدنيا بما فيها (**ويلكم ثواب الله خير لمن آمن وعمل صالحا ولا يلقاها إلا الصابرون** ٠) [3] حتى كان الخسف مصيرا حتميا لقارون المغرور وفي هذا يقول الله تعالى (**فخسفنا به وبداره الأرض فما كان له من فئة ينصرونه من دون**

---

(١) تاريخ الإسلام الذهبي المجلد الأول ص ٥١٥ .

(٢) سورة القصص الآية رقم (٧٩)

(٣) سورة القصص الآية رقم (٨٠)

الله وما كان من المنتصرين ٠) [١] كما تبدلت أحوال الطالبين للدنيا فتحولوا إلى دائرة الإيمان قائلين **(ويكأن الله يبسط الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر لولا أن مَنَّ الله علينا لخسف بنا ويكأنه لا يفلح الكافرون ٠)** [٢]

فهذه تربية الهية للمؤمن حتى لا يغتر ولا يحب الدنيا أكثر من اللازم داعية إلى (الرضا بقضاء الله وقسمته والى إظهار الطاعة والإنقياد لأنبياء الله ورسله ٠) [٣]

ثانيا : المؤمن والكافر :-

شاهد أخر حكاه الله تعالى فى سورة الكهف وجعله مثالا للمؤمن والكافر وذلك عن رجلين أحدهما غره ماله وفتنه فظن أن ما يمتلكه دائم له ولن يباد أبدا والأخر أقل منه مالا وولدا لكنه قانع بعطاء الله ولم يكتف المغتر بما لديه بل ندد بصاحبه وتعالى عليه فأخذ القانع يحاوره ويراجعه في أفكاره عله يهتدي ويتوب لكنه تمادى في جبروته فكان العقاب الإ لهى قاطعا للأمر فقد جعل الله جنتيه حصيدا كأن لم تغن بالأمس فأخذته الحسرة والندامة كما حكى القرآن الكريم **(فأصبح يقلب كفيه على ما أنفق فيها وهى خاوية على عروشها ويقول يا ليتنى لم أشرك بربى أحدا ولم تكن له فئة ينصرونه من دون الله وما كان منتصرا٠)** [٤]

ثالثا : أصحاب الجنة :-

وهذا مثال آخر لأصحاب الجنة أو البستان الذين ذكروا فى سورة القلم والذين بخلوا بنصيب الفقراء ومنعوا ما كان يفعله أبو هم مع الفقراء إذ كان يعطيهم نصيبهم ببذل بعض حصاد أرضه للسائلين والمحتاجين قربة لله وإرضاء ا له وسدا لحوائج

---

(١) سورة القصص الآية رقم (٨١)

(٢) سورة القصص الآية رقم ٨٢)

(٣) تفسير الكبير - الرازى - الجزء الخامس والعشرون ص ١٢

(٤) سورة الكهف الآيتين رقم ٤٢ . ٤٣

من لا يجدون شيئا إيمانا منهم بكرم الله للمنفقين ٠ لكن هؤلاء دبروا بالليل أمرا قرروا فيه منع ما كان يعطيهم أبوهم للفقراء والمساكين خاصة أنه قد مات وأن هذه الصدقة تتعارض مع حبهم للمال وطلب زيادته فاقسموا ليصرمنها مصبحين.لكن انتقام الله كان سباقا فحول جنتهم إلى صريم دامس فلما رأوها كأنهم ضلوا الطريق فقالوا إنا لضالون أي قد سلكنا إليها طريقا غير الطريق المعهود ثم تيقنوا أنها هي فقالوا **(بل نحن محرومون ٠)** [1] وهنا استيقظ الضمير إذ أعلنوا التوبة لله والرجوع اليه قال تعالى **(قال أوسطهم ألم أقل لكم لولا تسبحون قالوا سبحان ربنا إنا كنا ظالمين ٠)** [2] وهكذا أضحى المال وسيلة ، وبات تكافلا إجتماعيا" وظل وسيظل عطاء الله يعطيه من يشاء وصدق الله إذ يقول **(قل اللهم مالك الملك تؤتي الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء وتعز من تشاء وتذل من تشاء بيدك الخير إنك على كل شيء قدير ٠)** [3]

النتيجة الحتمية للتربية والتهذيب الأخلاقي:-

بلغت المساوئ الأخلاقية ذروتها في تلك البقاع التي لا تدين بالإسلام وأصبح الشقاق والخلاف ميزة لهذه البلاد.والسبب في ذلك راجع لاستحواذ بعض الدول على أسباب العيش المريح كالآت الزراعة والصناعة وغيرها ٠ دون نظرة عطف وشفقة لغيرهم ممن يعانون الآم الفقر. فعلى النطاق العالمي بلغ ما (يحصل عليه الطفل الأمريكي خمسين ضعفا لما يستهلكه مثيله الهندي من الغذاء و ٥% من الحبوب

---

(١) سورة القلم الأية رقم (٢٧) ٠

(٢) سورة القلم الآيتين رقم (٢٨,٢٩) ٠

(٣) سورة آل عمران الآية رقم (٢٦) ٠

المستهلكة في السوق الأوربية كافية لسد المجاعة فى غرب أفريقيا وهـذا معنـاه أن جوع جماعة سببه ترف أخرى ٠)[١]

وافتقد الإنسان الأمن في حياته نتيجة بخله على أخيه الإنسان كل ذلك راجـع لعدم وجود العدالة فى توزيع الثروات وظلـم الإنسـان لأخيـه فلاغـير أن تنتشـر المساويء الأخلاقية ناهيك عن المجاعات وصنوف الأمراض الناتجة عنـها ٠ فقـد انتشرت في البلاد الأفريقية المجاعات وصنوف الفقر فى وقت يرمـى الفـائض عـن المجتمعات الأوربية من الدول الغنية بالمحيطات والأنـهار ٠ فمتـى ولـت العدالـة الاجتماعية تجاه هذا الدافع انتشرت المساويء الأخلاقية من قتـل وسـرقة وغصـب واحتكار ....٠الخ فلا سلامة ولا أمن فى أى مجتمع إلا بالعودة إلي النهج الإسـلامي بعدله ورحمته حيث يصبح الفقراء فيه أغنياء ٠

فقد روى المؤرخون أن يحيى بن سعيد قال بعثني عمر بن عبد العزيز عـاملا على صدقات أفريقية فاقتضيتها وطلبت الفقراء نعطيهم إياها فلم نجد بها فقـيرا ولـم نجد من يأخذها فماذا يصنع الوالي بهذه الزكاة المجموعة.قـال اشـتر بـها عبيـدا وأعتقهم واجعل ولاءهم للمسلمين ٠)[٢] وهذا نوع من التهذيب الإسلامي إنـه بـذل المال فى سبيل الله عتقا للرقاب فهو باب من أبواب الخير. فالمجتمع الإسـلامي هـو الذي تسوده روح المحبة والألفة لأن أربابه قد تـهذبت أخلاقـهم لاتباعـهم النـهج الإسلامي بتعاليمه الغراء ٠

وللغزالي رحمه الله كلام وجيه يحسن بنا أن نذكره هنا نراه يقـول (إن مـن عرف آفة المال لم يأنس به ، ولم يفرح ولم يأخذ منه إلا بقدر حاجته . ومن قنع بقدر

عدالة توزيع الثروة فى الاسلام عبد سميع مصرى ص ٧٢ مكتبة وهبة الأولى ١٩٨٩م

حقوق الإنسان محمد الغزالي ، ص ٩٣ ، ط دار الكتب الإسلامية سنة ١٩٨٤ م

الحاجة فلا يبخل لأن ما أمسكه لحاجته فليس ببخل ولا يحتاج إليه فلا يتعب نفسه بحفظه فيبذله بل هو كالمال على شط الدجلة إذ لا يبخل به أحد لقناعة الناس منه بمقدار الحاجة ٠) [١] فالمجتمع الإيماني بعيد عن الشح والبخل لا تسفك فيه دماء ولا تستحل فيه حرمات كما كان في ا لأمم السابقة.

وهكذا تفعل الأخلاق في الأمم حيث تنهض بأخلاقها وتثبت بمبادئها وتمحي وتزول متى ذهبت الأخلاق .

[١] إحياء علوم الدين الغزالي . الجزء الثالث ص ٣٧١ ط دار الإيمان ١٩٩٦م ٠

الإنسان و العدوان

إن العدوان قديم قدم الإنسانية وإن اختلفت صوره و تباينت طرقه. ذلك لأنه نتاج الصراع بين الحق و الباطل و الخير و الشر و تلك سنة الله في كونه والتي أعلنها في قوله **(وقلنا اهبطوا بعضكم لبعض عدو و لكم في الأرض مستقر و متاع إلى حين)**[1] و الخلافة الإلهية للإنسان لا بد فيها من الدفع والتدافع بين الناس جميعا . ذلك لأن الإنسان كائن اجتماعي كما علمنا . لاينفرد و لاينفك عن إخوانه الذين تتباين طبائعهم ومقاصدهم . ومن هنا كان العدوان على النفس والمال و العرض و العقل و الدين سمة مشتركة بين الأمم قاطبة فهو على (النفوس بالقتل و قطع الأعضاء و المثلة .... و على الأموال بالغصب و السرقة ووجوه الحيل .؟ و على الأنساب بالزنا و اللواطة و القذف ..... و على العقول بشرب المسكرات و غيرها من الأمور التي تذهب بالعقل ووظيفته .... وعلى الأديان بالكفر و البدعة و الابتداع فيه ....)[2] وقد استحكم العداء و اشتعل بين الشيطان و بني آدم منذ وجود الأب الأول آدم عليه الصلاة و السلام عندما جاء الخطاب من الله تعالى ملائكته بأن اسجدوا لآدم فسجدوا إلا ابليس أبى و استكبر معلنا العصيان التعصب لأصله العرقي الناري قائلا كما حكى القرآن الكريم **(أنا خير منه خلقتني من نار و خلقته من طين .)**[3] وهنا كان التنبيه واضحا من أجل لتضليل لآدم وزوجه بخطورة الشيطان و كفاحه المستميت من أجل التضليل لآدم وذريته وفي هذا يقول الله تعالى **(فقلنا يا آدم إن هذا عدو لك**

---

[1] سورة البقرة . الآية رقم (٣٦) .

[2] راجع . التفسير الكبير الرازي . الجزء الرابع عشر . ص ١٣٩ . ط دار الفكر ١٩٩٣ م .

[3] سورة ص الآية رقم (٧٦) .

و لزوجك فلا يخرجنكما من الجنة فتشقى .)[١] ومع هـــذا التنبيـــه كـــان النســيان مدخلا للشيطان لآدم وزوجـــه . فوســوس لهمـــا الشــيطان حتـــى ذاقـــا الشــجرة المنهى عن الأكل منها . وهنا بدت لهمـــا ســـوأتهما فوقعـــت عليهمـــا العقوبـــة وهى الإخراج من الجنة والإهباط إلى الأرض . وكـــان التوعـــد مـــن الشـــيطان لآدم وذريتـــه قـــائلا لـــرب العـــزة (**فبعزتـك لأغوينـهـم أجمعيـن إلا عبـادك منـهـم المخلصيـن .)**[٢] وقـــال أيضـــا (**قـال فبمـا أغويتنـى لأقعـدن لهـم صراطـك المسـتقيم . ثـم لأتينـهـم مـن بيـن أيديهم ومـن خلفهـم وعـن أيمـانـهم وعـن شمائلهم ولاتجد أكثرهم شاكرين .)**[٣] وســيظل العـداء مسـتمرا إلـى يــوم الدين . نتيجة هذا الموقف أعنى الأمر بالسجود لآدم حيـــث أبـــى أبليـــس وامتنـــع ونتج عن تلـــك الوسوســـة العـــداء بيـــن ابنـــى أدم فكـــانت أول جريمـــة عرفهـــا الإنسان و هى **قتل قابيل لأخيه هابيل** بســـبب الحســـد ومـــن أجـــل الســيطرة والحقد.وفى هذا نقـرأ قولـــه تعـــالى (**واتـل عليهـم نبـأ ابنـى آدم بـالحق إذ قربـا قربانـا فتقبـل مـن أحدهمـا و لـم يتقبـل مـن الأخـر قـال لأقتلنـك قـال إنمـا يتقبـل الله من المتقيـن . لئن بسطت إلى يـدك لتقتلنـى مـا أنـا بباسـط يـدى اليـك لأقتلـك إنـى أخاف الله رب العالمين .)**[٤] وهكذا اســتمر العـداء إلـى يومنـا هذا على سبيل المثال رأينا أثر إبليس على مـدى التـاريخ واضحـا فهـاهم **قدماء المصريين** أفسد عليهم إبليس عقيدتهـم فقـد كـانوا يعتقـدون أن (الإلـــه تـوت رب التعليم و المعرفة قـد أنـزل علـى الأرض عصـا التـأديب . وكـان **الأغريق** يؤمنون بالجزاء و العقاب فى التربية و كذلـــك كـــان الرومـــان حتـــى لقـــد ذهـــب **الخطيب الرومانى كاتوا** "cato" إلى أن للأب الحق فـــى أن يـــأمر بمـوت ابنـــه

---

(١) سورة طه . الآية رقم (١١٧) .

(٢) سورة ص . الآية رقم (٨٢) .

(٣) سورة الأعراف الآية رقم (١٦ ، ١٧) .

(٤) سورة المائدة الآية رقم (٢٧ ، ٢٨) .

إذا استعصى على الإصلاح .) [١] وقد سلف في تاريخ البشرية اعتداءات عديدة على أنبياء الله بغير حق و قتل أبرياء بدون ذنب كما حكى القرآن الكريم ذلك عن بني اسرائيل فقال **(كلما جاءهم رسول بما لا تهوى أنفسهم فريقا كذبوا و فريقا يقتلون .)** [٢] و ينسبون كذبا على الله صورا من الأمر بالاعتداء كما جاء في **سفر التثنية** . فمن ذلك قولهم (حين تقرب من مدينة لكي تحاربها استدعها إلى الصلح فإن أجابتك إلى الصلح و فتحت لك أبوابها فكل الشعب الموجود فيها يكون لك التسخير ويستعبد لك ، وإن لم تسالمك بل عملت معك حربا فحاصرها . وإذا دفعها الرب إلهك إلى يدك فاضرب جميع ذكورها بحد السيف وأما النساء و الأطفال و البهائم وكل مافي المدينة فتغتنمها لنفسك و تأكل غنيمة أعدائك التي أعطاك الرب ....) [٣] وقد وجدنا أثر إبليس واضحا في العلاقات الأسرية ففي حالة عصيان الولد لأبويه يقومان بقتله أمام الأشهاد بالاشتراك مع شيوخ القبيلة نقرأ ذلك في **سفر التثنية** .(إذا كان لرجل ابن معاند و مارد و لايسمع لقول أبيه ولا لقول أمه ويؤدبانه فلا يسمع لهما .... و يقولان لشيوخ مدينته ابننا هذا معاند و مارد و لايسمع لقولنا وهو مسرف و سكير فيرجمه جميع رجال مدينته بحجارة حتى يموت.) [٤]

ثم هم في أعيادهم يستبيحون الدماء دون رحمة أو شفقة بصغير أو كبير يقع كل ذلك حتى يومنا هذا .

---

[١] ضرب الأطفال . مجلة العربي . ص ٣٤ . عدد مارس . ١٩٦٤ م - ١٣٨٣ هـ .

[٢] سورة المائدة . الآية رقم (٧٠) .

[٣] العهد القديم / سفر التثنية . ص ٣١٠ . الأصحاح العشرون الفقرة (١٠ - ١٥) ط . دار الكتاب المقدس .

[٤] نفسه . ص ٣١٣ الاصحاح الحادي و العشرون . الفقرة (١٨ - ٢١) .

وامتد الاعتداء و التمثيل بأتباع المسيح عليه السلام ووقع بهم صنوف البلايا على يد (نيرون ٦٤ م و تراجان ١٠٦ م وديسيبون ٣٤ ٩ - ٣٥١ م ودقلديانوس ٣٨٠) [1] فقد تفنن نيرون و أشياعه في التعذيب و الاعتداء على ضحاياه حتى (لقد كانوا يضعون بعضهم في جلود الحيوانات ويطرحونهم للكلاب فتنهشهم و صلبوا بعضهم وألبسوا بعضهم ثيابا مطلية بالقار و جعلوهم مشاعل يستضاء بها .....) [2] وفي العصور المظلمة والتى فرضت فيها الكنيسة سيطرتها ورفضت التحاور العقلي قامت بقتل الكثير من البشر و قتذ وكان منهم (جيروم وهوس من رجال الدين ...إعداما تحريقا بالنيران بقرار من مجمع كونستاس الذى انعقد ١٤١٤ م إلى ١٤١٨ م .) [3] وقد كان بعض قبائل العرب فى الجاهلية يقتلون بناتهم خشية الفقر و العار وقد حكى القرآن الكريم هذا الموقف عنهم فقال تعالى (وإذا بشر أحدهم بالأنثى ظل وجهه مسودا وهو كظيم. يتوارى من القوم من سوء ما بشر به أيمسكه على هون أم يدسه في التراب ألا ساء ما يحكمون.) [4] ناهيك عن الاعتداءات الأخرى و التى تتمثل في سلب الأموال و قطع الطرق والإغارة على القوافل ..... ألخ وفي عصرنا الحديث رأينا بعض المفكرين الغربيين أطلق عليهم أسم (فلاسفة القوة) لأنهم دعوا إلى الحروب و الدمار على سبيل المثال نرى " نيتشه " ١٨٤٤ م - ١٩٠٠ م "الفيلسوف الألمانى الشهير" على الرغم من ضعف بنيته نراه يقول (املأ حياتك بالخطر ، شيد مدائنك على مقربة من بركان فيزوف ، ابعث بسفائنك إلى البحار المجهولة ، عش فى حرب دائمة ، تذكر فوق ذلك كله أن

---

[1] محاضرات في النصرانية . الشيخ محمد أبو زهرة . ص ٢٨ ، ٢٩ . ط دار الفكر ١٩٦١ م.

[2] نفسه . ص (١٦٠) .

[3] نفسه . ص (١٦٠) . ✶. هذه القبائل بالتحديد هي تميم، كندة، ربيعة، بنو أسد.

[4] سورة النحل . الآية رقم (٥٨ ، ٥٩) .

تنكر العقائد جميعا .) [١] فقوله بحـــر مجمـــع مـــن التشـــاؤم و التناحر المســـتمر. ذلك لأن قلبه خلا من الإيمان بالله تعالى و لو كـــان لديـــه (أدنـــى إشـــراقة مـــن عقل لأدرك جمال الحلم و الوداعـــة ..... بـــل لأدرك أنهمـــا يتطلبـــان مـــن القـــوة أكثر مما يبذل فى الغضب و القسوة .)[٢] وقد نشـــرت مجلـــة العربـــى مقـــالا عـــن سفاح يوركشاير ببريطانيا و الـــذى قتـــل أكـــثر مـــن عشـــرين ســـيدة حيـــث (يعلل ذلك العمل الفظيع بأنه مكلـــف مـــن قبـــل الســـماء بقتـــل الممومســـات)[٣] والحق إنها تلبيسات إبليـــس علـــى بنـــى آدم نتـــج عنهـــا ظلـــم الإنســـان لأخيـــه الإنسان . ولكن الإسلام قد وضع الثوابت التربوية مـــن أجـــل ســـعادة الحيـــاة . وفيما يلى عرض لأبرز المناهج التربوية التـــى و ضعهـــا مـــن أجـــل تهذيـــب هـــذا الدافع أعنى " دافع العدوان " وإليك البيان مستمدا إيـــاه مـــن كتـــاب اللـــه و ســـنة نبيه " صلى الله عليه و ســـلم "

---

[١] أعلام الفلسفة الحديثة . رفقى زاهر . ص ١٣٢ .

[٢] تاريخ الفلسفة الحديثة . يوسف كرم . ص ١٤٢ .

[٣] سفاح يوركشاير - جمال الكنانى - مجلة العربى . ص ٢٩إلى ٣٣ .عدد ٢٧٣ أغسطس ١٩٨١ م .

مفهوم العدوان و مظاهره الفسيولوجية .

العدوان يعنى(الظلم و تجاوز الحد وهو صفة من يعدو على غيره و يتميز بروح الاعتداء و الاقتدار على المخاطر بدلا من اجتنابها.) [1] وهو فى أبسط صورة له محاولة(إلحاق الأذى بفرد آخر أو أذى الفرد نفسه و ذلك مثل الانتحار فهو سلوك عدوانى على الذات.) [2] فالعدوان قد يكون ذاتيا و قد يكون غيريا .و للعدوان مظاهر متعددة تختلف من موقف لآخر فقد يكون بالكلمة أو بالفعل ...... ألخ وفى كل مظهر تصاحبه أعراض مؤقتة تحدث عند اشتعال الغضب وثورانه من نحو (إزدياد ضربات قلب الإنسان و كذا ارتفاع ضغط دمه و يترتب على ذلك زيادة نسبة الجلوكوز فى دمه . أيضا زيادة معدل تنفسه فى شهيقه و زفيره و تنكمش عضلات أطرافه وتتوتر لتقاوم التعب والإرهاق وتزداد سرعة الدورة الدموية وخاصة فى الأطراف . و البعض قد يكشر عن أنيابه و يعض عليها وقد تصدر عنه أصوات لإرادية و يقل إدراكه الحسى حتى إنه قد لا يشعر بالألم فى معركته مع غيره .) [3] أما عن فطريته و اكتسابه فقد اختلف علماء النفس فى هذا الموضوع . و نقف الآن على أبرز هذه الآراء .

---

[1] المعجم الفلسفى – جميل صليبا . الجزء الثانى ص ٤٣ .

[2] علم النفس الاجتماعى . فؤاد البهى السيد . ص ١٧٤ ط دار الفكر العربى . الثانية ١٩٨٠ م .

[3] نفسه .من (١٧٤) .

العدوان بين الفطرية والأكتساب.

يرى الفريق الأول:- أن العدوان فطرى ومن دعاة هذا الرأى فرويد و أدلر و قد سبق عرض هذا الرأى عند فرويد [١] و أما أدلر فقد رجع الغرائز فى جملتها إلى السيطرة و توكيد الذات . فالمرء يتعرض للتثبيط من قبل المجتمع المحيط به . ومن قبل حساسية الفرد الخاصة . و يرى أيضا (أن شعورا بالعناد يتولد فينا و يدفعنا إلى التعويض عن ذلك العجز ، وهكذا يمكننا تعليل النزعات المتطرفة نحو القوة و المغالاة فى مظاهرها ، وطلب الشهرة الزائفة و المباهاة الكاذبة .)[٢] هذا هو موجز لأصحاب الرأى الأول القائل إن الميول العدوانية فطرية .

أما أصحاب الرأى الثانى:- و أعنى بهم القائلين إن الميول العدوانية مكتسبة . فهى (أشبه برد فعل بيولوجى على موقف إحباط) [٣] و غالبية علماء النفس المحدثين يميلون إلى اعتبار السلوك العدوانى فى جزء منه سلوك مكتسب و هذا الرأى يتفق مع ما جاء فىالإسلام من أن (فى طبيعة الإنسان استعداداً لكل من الخير و الشر .)[٤] و الطبيعة الإنسانية طبيعة متوازنة . ساق القرآن ذلك فقال تعالى (**ونفس وما سواها فألهمها فجورها و تقواها . قد أفلح من زكاها . و قد خاب من دساها .**)[٥] فجعل

---

[١] راجع مدرسة التحليل النفسى من هذا البحث . ص (٣٢) .

[٢] علم النفس التعليمى - أحمد زكى .ص ٥٤ - ط . نهضة مصر ١٩٥٩م.

[٣] الإنسان و الأخلاق و المجتمع- جون كارل فلوجل - ترجمة سيد الغزالى - أمين مرسى ص ٣٥٠ - ط دار الفكر ١٩٦٦ م .

[٤] القرآن و علم النفس - محمد عثمان نجاتى ص ٤٦ .

[٥] سورة الشمس - الآيات رقم (٧ ، ٨ ، ٩ ، ١٠) .

سبحانه (تسوية النفس من فعل البارىء المصور و لكنه جعل تزكيتها وعدمه من عمل الإنسان.)[١]

ومن هذا أيضا قو له تعالى (إنا هديناه السبيل إما شاكرا و إما كفورا.)[٢]
ونرى هذا التوجيه الربانى فى آية أخرى فى قوله تعالى (و هديناه النجدين)[٣]

و لكن الإنسان قد تكتنفه أمور خارجه عن نطاقه الحيوى لها أثرها البارز فى سلوكه من حيث الإعوجاج و الاستقامة كالبيئة و غيرها .....الخ

ومن ذلك أننا نجد فى بيئة كالبرازيل و بيئة كالأسكيموتغايرا فى السلوك . فسلوك رجال الاسكيمويميل إلى المسالمة.و هنود البرازيل يقوم على الغارات و إثارة المشاحنات ضد غيرهم .فالإنسان (بطبيعته ليس عدوانيا أو مسالما بل إنه يتشكل بأى السلوكين كنتيجة للتفاعل المعقد بين مجموعة واسعة وليست غير محدودة منها الأوضاع البيولوجية ، و عوامل البيئة التى لها أثرها فى تشكيل هذه الأوضاع والإطار الحضارىوخبرات الفرد.) [٤] وقد وجدت مجتمعات بدائية(لا تميل للتملك و لاترغب فى القتال و إنما تجتمع نظرا لإدراكها لفائدة التجمع و كذا لاكتساب الخبرات التى تعود على الفرد من وراء الاجتماع .)[٥] وهكذا يتبين لنا توازن الطبيعة البشرية بقبولها الخير و الشر معا . وهنا تأتى مهمة البيئة التى يتشكل الأفراد من خلالها . هنا يأتى عمل الدين كعقيدة ترشد إلى الخير و تدعوإليه تنشد الفضيلة

---

[١] دراسات إسلامية – عبد الله د راز . ص ١٥ . ط دار القلم ١٩٧٣ م .
[٢] سورة الإنسان الآية رقم (٣) .
[٣] سورة البلد الآية رقم (١٠) .
[٤] الطبيعة البشرية . ليون ايزنبرج . ترجمة ملاك جرجس . ص ٨٢ .نشرمجلة العلم والمجتمع . العدد الرابع عشر . السنه الرابعة . مارس مايو ط مركز مطبوعات اليونيسكو ١٩٧٤ م .
[٥] هذه الغرائز – فاخر عاقل ص ١١٧ ط مجلة العربى العدد(٤٤) يونيو – ط الكويت ١٩٦٢ م

وترفض عمل الشر ، و الإقدام على الرزيلة وهو ما نراه من أوامر إسلاميةأتت على لسان المعصوم صلى الله عليه و سلم . و إليك تفصيلاتها فيما يأتى .

منهج الإسلام فى التربية و التهذيب لدافع العدوان

أولاً : تجاه الطبيعة

حرص الإسلام على تهذيب سلوكيات أتباعه تجاه الطبيعة و ماتشمله من مخلوقات تدور فى فلك الإله تعالى تطعم رزقه . بيدأنه قد يعتدى إنسان على إنسان أو يكون هناك فساد يهدد حياة الكائن أو يأتى على ما فى الأرض من خير أو يهدد سعادة البشرية . من هنا كان التوجيه الإلهى فى قوله الحكيم . (و لاتفسدوا فى الأرض بعد إصلاحها .)[1] ففى الآية زجر و نهى لهؤلاء المعتدين الذين يفسدون فى الأرض و لايصلحون ناهيك عن السنة المطهرة ومأأتت به من أوامر ونواهى فى هذا الشأن ومن هذا القبيل قوله عليه الصلاة و السلام لأصحابه (لا تقطعوا شجرة مثمرة.)[2] ذلك لأن النفع الإلهى للجميع و ليس حكرا على طائفة دون أخرى . و لعل الإشارة بالإثمار تفيد تحقيق النفع المرجو منها . إلا أن يتخذها أعداء الإسلام حصنالهم فعند ئذ يجوز قطعها كما حرق عليه الصلاة و السلام (نخل بنى النضير و قطع وهى البويرة .)[3] وفى ذلك يقول الله تعالى (ماقطعتم من لينة أو تركتموها قائمة على أصولها فبإذن الله و ليخزى الفاسقين .)[4] أيضا

سورة الأعراف الآية رقم (٥٦) .

خرجه البيهقى فى سننه - الكبرى - كتاب السير - باب ترك قتال من لا قتال من الرهبان - الجزء تسع . ص ٩٠ .

خرجه مسلم فى صحيحه - شرح النووى - كتاب الجهاد - باب جواز قطع أشجار الكفار و تحريقها . الجزء [illegible] عشر . ص ٥٠ . ط دار الريان ١٩٨٧ .

[illegible] حشر الآية رقم (٥٠) .

جاء الأمر التهذيبى بالرفق بالحيوان و الرحمة بـه و ذلـك بـالبعد عـن التعذيـب سواء أكان بالقضاء عليه كما هو واقع عنـد بعض النـاس أو بتركـه بلاطعـام مع التفنن و الاستمتاع بـالاعتداء عليـه ......ألـخ . ومـن هـذا قولـه عليـه الصـلاة و السـلام **(إن امرأة دخلت النار فى هرة حبستها فلا هى أطعمتها ولاهى تركتها تأكل من خشاش الأرض .)** [١] هكـذا يـأتى الإسـلام بنصوصـه الحكيمة ليذم مثل هذا الاعتداء السيىء علـى الحيـوان نـاهيك بالانسـان . كمـا حرص الإسلام أيضـا علـى اسـتعمال الرحمـة والشـفقة فـى مسـألة الذبـح والتزكية فمن ذلك قولـه عليـه الصـلاة و السـلام **(إذا قتلتم فأحسنوا القتلة . وإذا ذبحتم فأحسنوا الذبحـة و ليحد أحدكم شفرته و ليرح ذبيحته)**[٢] هذا النوع من التهذيب النفسى لدافع العدوان فى الإسـلام . وفـى الجـانب الأخـر نرى الشارع الحكيم يأمر بقتل مـايؤذى الإنسـان بـل و يجعـل فـى ذلـك ثوابـا .فمن ذلك قوله عليـه الصـلاة و السـلام **(خمس لا جناح على من قتلهن الحدأة و الغراب و الفأرة و العقرب و الكلب العقور .)** [٣] أيضـا جـاء النهـى عـن اتخاذ مافيه الروح غرضا كنوع مـن التسـلية و إضاعـة الوقـت كربـط الطيـور من أرجلهاأو من أجنحتها دون الاستفادة منها فى شـىء.و فـى هـذا نقـرأ قولـه عليـه الصـلاة و السـلام **(لعن الله من اتخذ شيئا فيه الروح غرضا .)**[٤] ووصـل الأمـر بسـماحة الإسـلام و رحمتـه أن نهـى عـن الإعتـداء حتـى علـى صغـار الطيـور والحيـوان . فمـن ذلـك قولـه عليـه الصـلاة و السـلام حيـن رأى الحمـرة تعـرش بحثـا عـن ولدهـا **(من فجع هذه**

---

[١] أخرجه أحمد فى مسنده - الجزء الثانى . ص ٦٧١ . ح ١٠٥٦٣ مسند أبى هريرة .

[٢] أخرجه مسلم فى صحيحه - شرح النووى - كتاب الصيد و الذبائح - باب الأمر بإحسان الذبح - الجزء الثالث عشر ص . ١٠٦ .

[٣] أخرجه أحمد فى مسنده- الجزء الثانى ص ٤٤ - ح (٤٨٧٧) عن ابى عمر.

[٤] نفسه الجزء الثانى ص ١٨٨ - ح ٦٢٥٣ - عن ابن عمر .

بولدها ردوا ولدها إليها .)[١] أيضا جاء النهي عن الاعتداء على مخلوقات الله تعالى بالإحراق بالنار فقد رأى عليه الصلاة و السلام (قرية نمل قد حرقها بعض الصحابة فقال من حرق هذه قلنا نحن قال إنه لا ينبغي أن يعذب بالنار إلا رب النار .)[٢] أيضا دعا الإسلام إلى استعمال الأسباب و الوسائل التي تؤدي الى إرهاف الحس الوجداني حيث يدفع المرء عن غيره مايدفعه عن نفسه من إعتداء . فذلك فيه الثواب و النفع . ومن ذلك قوله عليه الصلاة و السلام (بينما رجل يمشي بطريق اشتد عليه العطش فوجد بئرا فنزل فيها فشرب ثم خرج فإذا كلب يلهث يأكل الثرى من العطش فقال الرجل لقد بلغ هذا الكلب من العطش مثل الذي كان بلغ مني فنزل البئر فملأ خفه ماءً ثم أمسكه بفيه حتى رقى فسقى الكلب فشكر الله له فغفر له . قالوا يارسول الله وإن لنا في البهائم لأجرا فقال في كل كبد رطبة أجر .)[٣] تلك هي أبرز السمات التهذيبية للإنسان لعلاج هذا الدافع . نرى فيها الرحمة و العطف والشفقة على جميع المخلوقات مع الولاء التام لله رب العالمين . أين هذا الإرشاد الإلهي مما يصنع الآن بيد الإنسان ليدمر أخاه الإنسان ؟[٤]

---

[١] أخرجه أبو داود في سننه كتاب الجهاد باب كراهية حرق العدو بالنار . الجزء الثالث ح _ ٢٦٧٥) - ص (٥٥) .

[٢] أخرجه أبو داود في سننه . كتاب الجهاد . باب كراهية حرق العدو بالنار . الجزء الثالث ح (٢٦٧٢) ص ٥٥ .

[٣] أخرجه مسلم في صحيحه - شرح النووي - كتاب قتل الحيات و نحوها - باب فضل سقي البهائم ونحوها الجزء (١٤) ص ٢٤٢ .

[٤] من الاعتداءات الآثمة على البشرية ما يصنعه بعض الباحثين من القنابل النووية و التجارب الذرية تلك التي أفسدت أكثر مما أصلحت إذ أودت بهلاك كثير من الناس و تسبب من ورائها أن الناس أصبحوا يستنشقون الهواء السام و يأكلون الأطعمة الضارة الناتجة عن هذه التفاعلات و مازال هذا التيار مستمرا إلى يومنا هذا من جراء إفساد الإنسان في الطبيعة .

ثانيا :- التأديب الأسري

يتجلى الإصلاح التأديبي للطفل في مراحلة الأولى حيث الطفولة المبكرة وفيها تنعكس علاقات الأسرة على الطفل ايجابا أوسلبا . وينشأ الطفل على ما كان عوده أبواه . ويقدر أهمية التأديب المبكر للطفل يكون التشكيل الأخلاقي مفيدا أو نافعا في تكوين الشخصية القوية القادرة على تحمل الحياة وقادرة على دفع عجلة التقدم والازدهار . ولقد كان للإسلام أسلوبه التهذيبي وتوجيهاته للآباء تجاه الأبناء.وقد مربنا قوله عليه الصلاة والسلام(**مروا أولادكم بالصلاة وهم أبناء سبع واضربوهم عليها وهم أبناء عشر وفرقوا بينهم في المضاجع** .)[1]ويجب على المسلم أن يعلم أن الضرب الذي قصده الإسلام ليس مقصودة الاعتداء الصاخب أو الجارح الذي يكسر عظما أو يتلف عضوا وإنما هدفه التأديب والتهذيب وهذا يدلنا على أن الطفل قبل سن عشر سنوات يجوز ضربه ضربا غير مبرح على قدر سنه مادام له أثره التهذيبي والتربوي .وقد سلك الإسلام تجاه الطفل سياسية خاصة في تأديبه هي في الغالب تدور في إطار الترغيب والترهيب أو المكافأة والعقاب وفي هذا الإطار نقف على بعض السلبيات التي تقع فيها بعض الأسر في معاملتها لأبنائها بعيدا عن نهج الإسلام فتضر نفسها وتفسد نشأتها.

اولا :- تقلب وتغاير التوجيهات الأسرية .

في هذا الجانب نلاحظ تعارض معايير الأسرة بالنسبة للموقف الواحد فذلك يعوق عملية تكامل التنشئة الاجتماعية للفرد كمثل الأب الذي يطالب ابنه بسلوك ما في احد المواقف ثم يعود ليطالبه بعكس ذلك السلوك في نفس الوقت [2] وهنا يتشتت ذهن الطفل ويلجأ لطرق واهية ربما أسقطت هيبة الأب ومكانته لدى الأبن وعكست

---

(١) سبق تخريجه راجع ص (١٢٥) من هذ البحث

(٢) راجع علم النفس الاجتماعي فؤاد البهي السيد ص ١٩٠ ط دار الفكر الثانية [illegible]

لاوضاع للأب فيلجأ إلى الضرب والعناد مع طفله فالاسلوب الامثل يتمثل هي (التثبت على معاملة الطفل بطريقة واحدة لاتتغير من يوم لآخر .) [١] والإسلام في نهجه العظيم قد تكفل برسم هذا الخط فهو خير علاج لتربية النشئ.

ثانيا :- عدم التوافق أو التكامل بين توجيه الوالدين .

وفى هذا نلاحظ سيطرة أحد الوالدين على سلوك الأبن أو البنت دون أن يكون للطرف الآخر شأن فى ذلك مما يضعف مكانة أحدهما ويؤدى ذلك إلى اضطراب سلوك الطفل من جراء هذا الخلاف بين عمادي الأسرة (الأب والأم) فلابد من التكامل بين سلوك الأب والأم بحيث ينتهي إلى (تدعيم المناخ الديمقراطي[*] المناسب لتنشئة أطفال الجيل المقبل .)[٢]

ثالثا :- اضطراب أحوال البيئة خلقيا

وهذا يحدث عندما ينشأ الطفل في مجتمع فاسد يتعاطى المخدرات ويقتل ويسفك الدماء ويفعل ما يحلو له فيكون الطفل هو الضحية ؛ وبذلك نرى مجتمعا فاسدا لا يطبق شرعية الله ولا يتمسك بنهج الإسلام . فالبيئة الفاسدة تعرض الأطفال لنهج السلوك السيئ غير اللائق إنه السلوك العدواني المنحرف،فصلاح الفرد مبني على صلاح الأسرة وفساد الفرد مبنى في الغالب على فساد الأسرة وهذا يمتد حتى إلى أحوال الأخرة وصدق الله العظيم إذ يقول (والذين آمنوا واتبعتهم ذريتهم بإيمان ألحقنابهم ذريتهم وما ألتناهم من عملهم من شئ ...) [٣]

---

(١) الطفولة – زكية حجازى . ص ٣٧٩ . ط الهيئة العامة للكتاب ١٩٩٤

(*) ... [illegible] ... ومن ثم فهي ... [illegible] ... حكم الأغلبية ... المناخ الذى ... [illegible]

(٢) ... النمو النفسي – عبدالمنعم احمد ... ص ٢٣ ... الدار الشرقية – الاولى ١٩٩٠م.

... الاجتماعي ص ...

(٣) ... الطور الآية رقم (٢١)

رابعا : التضاد التوجيهي التربوي

ولنضرب لذلك مثلا . كأن يكافأ الطفل إذا تقدم بأعمال شريرة . نــرى بعــض الأسر تكافئ طفلها لاعتدائه على ابن الجيران مثلا أو بسرقته مبلغا من المـــال مــن زميله ... ألخ ولاشك أن هذا النوع من التوجيه يخرج للمجتمع مثلا سيئا ونموذجـــا خبيثا يهدم ولايبنى يخرب ويدمر ولا يشيد.[1] وفى الجانب الآخر المماثل نرى بعــض الأسر قد تعاقب الطفل عند نجاحه نجاحا لم يكن متوقعا كأن يحصل على درجات أقــل من المتوقع هنا يكون العقاب شيئا وخيم العواقب وليس في محله لأنه وبالإمكـــان أن نشجع الأبن للمستقبل . فالعقاب يؤدى إلى نتيجة عكسية هي الفتور والخمــول عند المعاقب .

خامسا . إهمال المتابعة الدورية للطفل .

لاشك أن ذلك الأمر هام جدا ذلك لأن العدوان له شق نفسي وآخر سلوكي يجب ملاحظته وتوجيهه من الأبوين دائما . فقد يميل الطفل إلى العراك والمشاجرة .... ألخ وهنا لابد من متابعة الأسرة لسلوك الطفل بتقويمه وتوجيهه توجيها دينيا بذلك يستقيم خلق الطفل . لأن الطفل كالعجينة يمكن تشكيلها كيفما يشاء المرء.

سادسا :- مشاهدة أفلام العنف والخلاعة .

إن مشاهدة مثل تلك المناظر التي تحدث في الأفلام تورث العنف والشدة فـــي نفس الطفل . فيشب محبا لتلك الأخلاق . من هنا يجب على الأسرة أن تقوم بتــهذيب وليدها بإبعاده عن مشاهدة هذه الأفلام ويمكن الاستعاضة عن ذلك بقــراءة القصــص القرآني ومعالجته في معاقبة الظالمين والمعاندين . وهذه الأفلام وغيرهـــا لا تعــالج موجات العنف لكنها تزيدها وهذا ما أثبته مؤتمر علماء النفس ١٩٦٦م. والذي عقــد فى ألمانيا الشرقية .[2] وإن تعرض الطفل للمشاهدة بدون قصد فيجب (شرح الدوافـع

---

[1] راجع . الطفولة . ص ٣٧٩.

[2] راجع علم النفس . طه مزورع .ص ١٢٩.

السلوكيات التي تظهر في مشاهدة العنف حتى يتفهم الأطفال الموقف تماما.)[١] فإذا ما أضفنا إلى أفلام العنف أفلام الخلاعة فإن الأمر يزداد سوءا فإنها تبلد الإحساس فضلا عن كونها تؤدى لازدياد الدافع العدواني لدى المرء المشاهد وذلك لبحثه عن إشباع ما شاهده من مناظر فاضحة مع من يريد وربما قتل أو سرق . أو اغتصب في سبيل ذلك وها هى أفراد أسرة حقيقية من كاليفورنيا تعيش (حياتها على شكل حلقات أسبوعية كجزء من مسلسل تيفزيوني مع وقائع خيانة زوجية ؛ وشذوذ جنسي مكشوف ؛ وطلاق . تجرى أمام عيون المشاهدين المجردة كشيء حقيقي في التليفزيون .)[٢] فكثرة مشاهدة مثل هذه الأفلام تؤدى للبلادة في الإحساس [٣] وتؤدى بدورها لخلق جو من الأضطراب وعدم الأمن . والأولى البعد بهم عن مثل هذه المناظر السيئة والعمل على اقتناء البرامج المفيدة الصالحة التى تبنى ولاتهدم وتصلح ولاتفسد .

سابعا :- عدم التقدير الإدراكي لتفاوت المراحل العمرية.

لاشك أن الطفل يكبر وينمو معه إدراكه للإشياء ؛ وهنا نرى بعض الآباء يهملون مراعاة تلك الفرق الفردية . وفى هذا الجانب يهمل الآباء مراعاة الفروق الفردية بين الأولاد ذكورا وأناثا . فتحقيق المطالب للأبناء يعد عاملا رئيسا في التنشئة فيتدرج الطفل في تنشئة المعرفية من مجرد (الرؤية إلى التعبير اللفظي ثم دائرة الأوامر ثم الاقتناع الكامل بكل ما يصدر عنه.وهنا تشكل القيم الإسلامية قيمتها لدى الأبناء.)[٤]

---

(١) العدوان عند الأطفال . عبد الرازق زعال .ص ٧٧ ط مجلة الوعى الإسلامى. عدد شوال . ١٩٩٩م

(٢) الأطفال والإدمان التيفزيونى . مارى وين . ترجمة . عبد الفتاح الصبيحى . ص ١٢٢ . سلسلة عالم المعرفة . العدد ٢٤٧ - ربيع الأول ط - المجلس الوطنى للثقافة بالكويت :- يوليو ١٩٩٩م.

(٣) من أمثلة تبلد الإحساس . وعدم اللامبالاة .

- (سبعة وثلاثون شخصا يرون امراة شابة تتعرض للقتل فى ساحة دارهم دون أن يحركوا ساكنا أو يهبوا لنجدتها كما لو كان ما يحدث أمام أنظارهم دراما تليفزيونية .

- امرأة تمر بجوار بناية تحترق وتقول لصديقتها لاتقلقى من المحتمل أنهم ينتجون فيلما تليفزيونيا .)

إلى غير ذلك من المساوئ .

- المرجع السابق - ص ١٢٢

(٤) علم النفس والاجتماع - ص ٢٢

ثالثاً العدوان وأسلوب الثواب والعقاب.

شغل هذا الأمر أذهان كثير من المفكرين فتباينت أقوالهم حول الأسلوب الأمثل لإصلاح الطفل وتأديبه فمنهم من رد الأمر للمنع والقمع عند حدوث الخطأ وإمطار الطفل بوابل من الاعتداءات الجسمية والكلامية.وهذا السبيل قد قوبل بالنقد لأن له مساوئه الكثيرة منها أن الطفل يصاب بالأمراض العصبية وربما ينعزل عن الناس . وربما ينقلب على خصمه قاتلا أو سابا .. ألخ ومنهم من ألبس التأديب لباس الثواب بعيدا عن العقاب ، ومنهم من جمع بين الأمرين كما جاء فى **نظرية الجزاء المتنكور** والتى تقوم على ثلاث طرق (مكافأة الطفل على حسن السلوك وهذه أضعف الطرق ، وعقابه على سوء سلوكه وهذه أفضل ثم الجمع بين المكافأة والعقاب وهذه هى أحسن الطرق الثلاث.) [1] وقد سطر علماء الإسلام رأيهم فى هذه المسألة أعنى الإصلاح التأديبى للطفل وصولا به لقمة المستوى النفسى والمادى.ففى الرسالة المفصلة لأحوال المعلمين وأحكام المتعلمين **لأبى الحسن القابسى** يقول (ينبغى له ألا يتبسط إليهم تبسط الاستئناس فى غير تقبض موحش فى كل الأحايين.ولا يضاحك أحدا منهم على حال ولا يتبسم فى وجهه وأن أرضاه وأرجاه على ما يجب ولكنه لايغضب عليه فيوحشه إذا كان محسنا.) [2] كما أنه من ناحية أخرى ينبغى ألا يمارس الأبوان عقاب الطفل مباشرة فور ارتكابه الذنب أو مكافأته بمجرد أن يصدر عنه تصرف حسن دون انتظار أو رجاء.كما ذهب إلى ذلك

---

[1] ضرب الأطفال - مجلة العربى ص (٣٠) العدد الرابع والستون عدد (٣٨٣) مارس ١٩٦٤م .

[2] الرسالة المفصلة لأحوال المعلمين وأحكام المتعلمين القابسى- نقلا عن كتاب التربية فى الإسلام أحمد فؤاد الأهوانى ص (٣٠٩) .

الدكتور بيتر [*] فذلك فيه جفاء تام لاسيما فى مسألة العقاب فلابد من التنبيه مرة بعد مرة فإن (أكثر التغافل ولم يغن فيه العزل والتقريع بالكلام الذى فيه التواعد من غير شتم ولا سب لعرض) [١] فعندئذ يكون العقاب هو السبيل وقد جعل **الإمام الغزالى رحمه الله** . العقاب فى البداية سرا فيقال له (إياك أن تعود بعد ذلك لمثل هذا وأن يطلع عليك فى هذا فتفضح بين الناس.) [٢]

وأما صفة الضرب فينبغى أن يكون (معها الألم لكنه لايتعدى إلى التأثير البالغ أو الوهن المضر) [٣] كما سبقت الإشارة إلى ذلك مع تجنب العقاب الذى يؤدى إلى الخوف . وبوجه عام يجب أن يكون العقاب خفيفاً وأن يقصد به هدف معين.كما ينبغى أن يترك العقاب أثناء غضب الوالدين أو المعلم فذلك أزكى وأهدى سبيلا.لأنه ساعة الغضب ربما يشتد الإنسان على مؤدبه فيؤدى ذلك لهلاك من يعاقبه . ومما يسجل بالفخر للإسلام فى هذا الأمر أن سيدنا **عمر بن عبدالعزيز** . رحمه الله (أمر بضرب إنسان فلما أقيم للضرب قال اتركوه فقيل له فى ذلك فقال وجدت فى نفسى عليه غضبا فكرهت أن اضربه وأنا غضبان) [٤] وللإمام الغزالى رسالة قيمة فى التربية

---

[*] بيتركر الفورد"عالم من علماء النفس الأمريكى أقام نظرية متوسطه فى التربية .
- أجرى عددا من التجارب لتطبيق نظريته قبل أن يدعو لها .

[١] التربية فى الإسلام . ص (٣٠٩) .

[٢] إحياء علوم الدين - الغزالى - الجزء الثالث ص (١٠٦) .

[٣] التربية فى الإسلام ص (٣١٠) .

[٤] نفسه - ص (٣١٠) .

سماها أيها الولد.[١] وربما تأثر بعض مفكرى الغرب بتلك الآراء الإسلامية التربوية كما نجد عن بيستركرا نفورد فى قوله (يجب أن يتجنب الوالد أو الوالدة الغضب تماما وهو يمارسها حتى لا ينقلب التأديب إلى عنف أو قهر.)[٢] . مع مراعاة ألا يعاقب (الطفل على فعل خاطئ لم يسبق أن حذر منه أو علم أنه خطأ.)[٣] .

كما أنه ينبغى أن يعلم الأبوين أن النصح الكلامى قد يؤثر أكثر من الضرب وإلا لتعود الطفل على الضرب ولم يعد للإتجاه الصحيح.فالرفق ما كان فى شئ إلا زانه وما نزع من شئ إلا شانه . فكذلك السياسة القائمة على الرفق فى المعاملة والعناية ببيان أسباب السلوك وإفهامه للصبيان من شأنها (أن تجعل الصبى يشب على العمل الصالح من تلقاء نفسه دون عصا تسوقه.)[٤]

فمواصلة الضرب المتوالى للطفل لا تؤتى ثمارها المرجوة منها بل (ربما تميت الشعور وبذلك ينعدم التأثير المطلوب من العقاب.) [٥] ومع هذا التوجيه ينبغى أيضا البعد عن التبكيت الدائم والتوعد بالعقاب فى كل

---

[١] لاشك أن هذا كله يوجب احتراما وتقديرا من الأبن تجاه أبويه أو معلميه وقد ذكر الإمام الغزالى - رحمه الله صفة الاحترام الظاهرى والباطنى للمعلم فقال (أما احترام الظاهر فهو أن لايجادله ، ولا يشتغل بالاحتجاج معه فى كل مسألة وإن علم خطأه . ولا يلقى بين يديه سجادته إلا وقت أداء الصلاة فإذا فرغ (من الصلاة) يرفعها ... ويعمل ما يأمره الشيخ من العمل بقدر وسعه وطاقته ، وأما احترام الباطن : فهو أن كل ما يسمع ويقبل منه فى الظاهر لاينكره فى الباطن لافعلا ولاقولا لئلا يتسم بالنفاق ..) وهذه الأمور من شأنها أن تعمل على إزالة أسباب العدوان . بين المعلم وتلميذه . راجع أيها الولد - الغزالى ص (١١٤) تحقيق وتعليق على محى الدين على ص (١١٤) ط دار الاعتصام ١٩٨٣م .

[٢] ضرب الأطفال ص (٣٨) .

[٣] طفلك الصغير محمد كامل عبدالصمد ص (٧٣) ط دار الوفاء - الثانية ١٩٩٨م

[٤] التربية فى الاسلام ص (١٤٢)

[٥] نفسه ص [illegible]

حين (فإنه يهون عليه سماع الملامـة وركـوب القبـائح) [1] وقـد نقـل ابـن خلدون نصائح الرشيد لمعلم ابنه محمد الأمين وهـي تـدور فـي إطـار الثـواب والعقاب فيقول فيها (..... ولا تمرن بك سـاعة إلا وأنـت مغتنـم فـائدة تفيـده إياها من غير أن تحزنـه فتميت ذهنـه . ولا تمعن فـي مسـامحته فيستحلي الفراغ ويألفه ، وقومـه مـا اسـتطعت بـالقرب والملاينـة . فـإن أباهما فعليـك بالشدة والغلظة .) [2] وهكـذا تتشـكل الشـخصية القويـة مـع تـوازن سياسـة الثواب والعقاب في تهذيب وتربيـة الطفـل .

رابعاً – التهذيب الروحي

دعا الإسلام للتهذيب الروحي ومـن ذلـك دعوتـه إلـى مقابلـة الإسـاءة بالحسنى فذلك يجعل العدو حبيبا ويقطع دابـر الشـيطان . وهـذه المقابلـة ليسـت سبيل ضعف أو استكانة.بل اعتبرها الإسلام من قبيـل الرحمـة والصـبر والرأفـة بحال الخصم ، وقد توالت آيات الذكر الحكيم لتحث علـى هـذا فمـن ذلـك قولـه تعـالى (ولا تستوي الحسـنة ولا السـيئة ادفـع بـالتي هـي أحسـن فـإذا الـذي بينـك وبينـه عداوة كأنـه ولي حميم) [3] وهذا الخلـق تجـده عزيـزا إلا لقلـة من المؤمنين من أصحاب الحـظ العظيـم ولـذا قـال اللـه فيهـم (وما يلقاها إلا الذيـن صبروا وما يلقاهـا إلا ذو حـظ عظيـم) [4]

فالمرء منا إذا اتبع هـذا الخلـق تحولـت الطاقـة العدوانيـة لديـه إلـى طاقـة سليمة مفيـدة وتنقلـب العـداوة إلـى المـودة بتـدارك الهفـوات

الإحياء – الغزالي – ص الجزء الثالث ص (١٠٦) .

المقدمة – ابن خلدون ص (٣٩٩) – ط دار ابن خلدون .

سورة فصلت . الآية رقم (٣٤) .

سورة فصلت الآية رقم (٣٥) .

لتنقلب إلى حسنات)[١] . وقد كانت رسالة الإسلام وما زالت تدعو للرأفة والرحمة والعفو . أين هذا من الخلق اليهودى الداعى إلى الاضطهاد والعنصرية ؟ أين هذا من التفريط فى النصرانية ؟ فقد جاء (سمعتم أنه قيل عين بعين وسن بسن وأما أنا فأقول لاتقاوموا الشر بل من لطمك على خدك الأيمن فحول له الأخر أيضا....) [٢] فتلك قمة السخرية . لكن أخلاق الإسلام تدور فى فلك الوسطية بحيث لا إفراط ولا تفريط .ومن هنا وصف الله هؤلاء الذين يقابلون الإساءة بالإحسان بأنهم أصحاب الحظ العظيم لاتخاذهم أيضا العفو وسيلة لجذب القلوب وولاء النفوس مما يورث الألفة بين الناس وهى خصال (داعية إلى الاجتماع والعمران والصلاح.) [٣] فمنهج الإيمان بالله تعالى يحيى موات القلوب . ذلك لأن العدوان لوقوبل بمثله (لإزداد هياجا وغضبا وتبجحا وسرودا وخلع حياءه نهائيا) [٤] ومن هنا كان الثواب عظيما للكاظمين الغيظ والعافين عن الناس . جنة عرضها السموات والأرض كما فى قوله تعالى **(وسارعوا إلى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السموات والأرض أعدت للمتقين . الذين ينفقون فى السراء والضراء والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس والله يحب المحسنين .)**[٥] ومن هذا يتبين لنا.أن العدوان يدفع ويصرف بمقابلته بالعفو والإعراض فذلك أزكى وأرقى سبيلا لتهذيب الروح وأدعى لسير الحياة هنيئة هادئة بعيدة عن اضطرابات الغضب وانفعالاته التى تؤدى فى النهاية إلى العقد النفسية والأمراض المختلفة .[٦]

---

[١] راجع روح المعانى الألوسى . الجزء الرابع والعشرون ص(١٢٣) ط دارإحياء التراث الرابعة ١٩٨٥م.

[٢] الكتاب المقدس . انجيل متى - إصحاح (٥) فقرات (٣٨ - ٤٠) .

[٣] التربية فى الإسلام . ص.(١٤١) .

[٤] فى ظلال القرآن - سيد قطب - الجزء الرابع والعشرون . ص (٣١٢١ ، ٣١٢٢) ط دار الشروق ١٩٨٦م .

[٥] سورة آل عمران الآيتين رقم (١٣٣ ، ١٣٤) .

[٦] راجع علم النفس من القرآن الكريم - أ.د/ شحات حسيب الفيومى . رسالة (دكتوراه) مخطوطه بكلية أصول الدين بالقاهرة ص (٢٨١) وما بعدها . ١٩٨١م .

خامسا : التهذيب الذاتي

نرى التوجيه الإلهي في هذه النقطة التي نحن بصدد الحديث عنه الآن . تتمثل في عناية الله بهذا المخلوق الكريم إذ يأتي الأمر الإلهي ناهيا المرء عن قتل نفسه .

فكان التوجيه الذاتي له بحرمة قتل النفس أو إفسادها حفاظا على نفسه وابقاء لما خلقه الله على صفته وحاله وفي هذا يقول الله تعالي (ولا تقتلوا أنفسكم إن الله كان بكم رحيما .)[1] وجاء الوعيد على لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم كنوع من التأديب في قوله عليه الصلاة والسلام (من قتل نفسه بحديدة فحديدته في يده يتوجأ بها في بطنه في نار جهنم خالدا مخلدا فيها أبدا ، ومن شرب سما فقتل نفسه فهو يتحساه في نار جهنم خالدا مخلدا فيها أبدا . ومن تردى من جبل فقتل نفسه فهو يتردى في نار جهنم خالدا مخلدا فيها أبدا .)[2] ويصل الأمر بالإسلام في هذا الأمر أعنى الحفاظ على النفس أنه أحل أكل الميتة للمضطر في غير بغى ولا اعتداء وفي هذا يقول الله تعالى (فمن اضطر في مخمصة غير متجانف لإثم فإن الله غفور رحيم .)[3] فللمرء أن يأكل وأن يشرب بقدر الضرورة . وهكذا رفع الإسلام الحرج عن أتباعه كل ذلك حفاظا على أعظم مخلوقات الله وهو الإنسان .

سادسا : التهذيب الغيرى

حرص الإسلام على توجيه سلوكيات المسلم تجاه غيره فنهاه عن الاعتداء بالقتل أو السب أو السرقة وسائر الأمور الظاهرة والباطنة ليضمن حياة سعيدة له ولغيره . وفي هذا جاء الإطار العقابي ليغلظ العقوبة على قتل النفس التي حرم الله قتلها

---

[1] سورة النساء الآية رقم ٢٩ .

[2] أخرجه مسلم في صحيحه . كتاب الإيمان . باب غلظ تحريم قتل الإنسان نفسه . الجزء الثاني . ص ١١٨ .

[3] سورة المائدة الاية رقم (٣)

إلابالحق فقال تعالى (**ومن يقتل مؤمنا متعمدا فجزاؤه جهنم خالدا فيها وغضب الله عليه ولعنه وأعد له عذابا عظيما**)[١] وجعل الإسلام حرمة المؤمن أفضل من الدنيا ومافيها فجاء قوله عليه الصلاة والسلام (**لزوال الدنيا أهون عند الله من قتل رجل مسلم.**)[٢] وتوعد سبحانه وتعالى المتربصين بالمسلم مهما قل عددهم أو كثر توعدهم بالنار لو تمالؤا عليه حتى ولو بلغوا أهل السماء والأرض على رجل واحد-وفى هذا يقول صلى الله عليه وسلم (**لو اجتمع أهل السماء والارض على قتل امرىء مسلم لعذبهم الله ٠**)[٣] وننتقل من حكم الإسلام على قاتل النفس وتهذيبه الكريم لهذه الفعلة الشنيعة إلى حكم أخر مع تهذيب كريم أعنى الاعتداء اللفظي بالتجريح والسب ٠ حيث يقول الرسول صلى الله عليه وسلم (**لعن المؤمن كقتله٠**)[٤] وفى الترويع والتخويف جاء قوله عليه الصلاة والسلام (**لا يحل لمسلم أن يروع مسلما٠**)[٥]

وعن السباب جاء قوله عليه الصلاة والسلام(**سباب المسلم فسوق وقتاله كفر٠**)[٦]

كما وضع الإسلام الميزان الضابط لسلوكيات الأطراف المتنازعة فجعل القصاص العادل نصرة للمظلوم وجعل له سلطانا يرجع إليه لينصره كما قال تعالى (**ومن قتل مظلوما فقد جعلنا لوليه سلطانا فلا يسرف فى القتل إنه كان منصورا**) [٧]

والسنة الشريفة تتضافر مع القرآن الكريم فى هذا الشأن يقول صلى الله عليه وسلم (**إذا التقى المسلمان بسيفيهما فالقاتل والمقتول فى النار.قالوا يارسول الله هذا**

---

[١] سورة النساء الآية رقم ٩٣

[٢] أخرجه النسائى فى سننه كتاب التحريم . باب تعظيم الدم . شرح جلال الدين السيوطى . الجزء السابع . ص٨٢ ط دار الحديث ١٩٨٧م

[٣] أخرجه البيهقى فى السنن الكبرى . كتاب الجنايات . باب تحريم القتل . الجزء الثامن ص ٢٢

[٤] أخرجه البخارى فى صحيحه . كتاب الإيمان. باب من أكفر أخاه . الجزء العاشر ص ٦٣٠ ح ٦١٠٥

[٥] أخرجه أحمد فى مسنده / الجزء الخامس ص ٣٦٢ ط دار صادر – المكتب الاسلامى

[٦] أخرجه مسلم فى صحيحه . كتاب الايمان. باب قول النبى صلى الله عليه وسلم سباب المسلم فسوق . الجزء الثانى ص – ٥٤

[٧] سورة الاسراء الاية رقم ٣٣

القاتل فما بال المقتول قال انه أراد قتل صاحبه ٠) [1] معنى هذا أن قصد الفريقين واحد لأن كل منهما يضمر لصاحبه ما يضمره الآخر له . من هنا كان كلاهما في النار٠ ومن صور الاعتداء اللفظي الذي حذر منه الإسلام قوله عليه الصلاة والسلام **(لايدخل الجنة من لايأمن جاره بوائقه٠)** [2] كذلك شدد في سب الجار فطلب البعد عن الاعتداء عليه لأن ذلك أزكى سبيلا وأقرب للمودة والمحبة . ذلك لأن المتوقع الدفاع عن **(جاره والذب عنه وعن حريمه فيأمن بوائقه ويطمئن إليه)** [3] فإذا ماتغيرت الأمور كان العقاب أولى وأيسر الطرق لمنع النفس عن هواها حتى تثبت قواعد المحبة بين أبناء المجتمع وفي هذا يقول الرسول صلى الله عليه وسلم **(إن من أكبر الكبائر أن تزاني حليلة جارك)** [4]

ومن الاعتداءات اللفظية أيضا التي حرمها الإسلام قول المسلم لأخيه يا كافر فذلك ذنب عظيم وهو ما نلمحه في قوله عليه الصلاة والسلام **(أيما امرئ قال لأخيه ياكافر فقد باء بها أحدهما إن كان كما قال وإلارجعت عليه ٠)** [5] كذلك أرشد الإسلام أتباعه إلى ابتغاء سبل الوقاية من الهلاك وذلك بشد أذر الضعيف بدفع الظلم عنه وحجز الظالم عن ظلمه وقد جعل الإسلام ذلك نصرة له ٠ ونرى السنة الشريفة تعتنى بذلك في أكثر من حديث فمنها قوله عليه الصلاة والسلام **(انصر أخاك ظالما أومظلوما، قالوا هذا ننصره مظلوما فكيف ننصره ظالما . قال أن تحجزه عن الظلم ٠)** [6] كما رفع الإسلام الحرج عن المعتدى عليهم إذا قاوموا خصومهم بالتي هي أحسن ٠ وجعل مثواهم الجنان إن هم قتلوا وهم يدافعون عن حقوقهم.فقد جاء رجل إلى رسول

---

(١) أخرجة ابن ماجه في سننه . كتاب الفتن باب إذا التقى المسلمان بسيفيهما . الجزء الثاني ص ١٣١١ . ح ٣٩٦٤ ٠

(٢) أخرجه مسلم . كتاب الايمان . باب تحريم ايذاء الجار . الجزء الثاني ص١٧ ٠

(٣) نفسه . شرح النووي بالهامش . الجزء الثاني ص ٨١)٠

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه . كتاب الإيمان . باب كون الشرك أقبح الذنوب وبيان أعظمها . الجزء الثاني ص ٨٠) ٠

(٥) نفسه . باب بيان حال من قال لأخيه المسلم ياكافر . الجزء الثاني . ص ٤٩)٠

(٦) أخرجه أحمد في مسنده . الجزء الثالث ص ١٢٤ . ح ١١٩٣٣ عن أنس أبن مالك ٠

الله صلى الله عليه وسلم فقال (يارسول الله أرأيت إن جاء رجل يريد أخذ مالي - قال فلا تعطه شيئا لك • قال أرأيت إن قاتلني قال قاتله قال أرايت إن قتلني قال فأنت شهيد قال أرايت إن قتلته قال هو في النار) [1]

هذا هو طرف من هدى الإسلام لو أتبع كأسلوب فى التربية والتهذيب لعم الأمن النفسى والمادى عندئذ لايوجد سبب لانتهاك حرمات المسلمين وبيوتهم أو الاعتداء على عوراتهم فالأمن مرتبط بالصلاح الخلقى المبنى على الإيمان بالله تعالى والمحافظة على منهج الله تعالى واتخاذه أسلوبا في حياتنا اليومية قولا وسلوكا . هذا كله دافع للمرء أن يحفظ أخاه في عرضه وماله ونفسه .

سابعاً :- الإصلاح التهذيبى الجماعى .

من الطرق الوقائية والتهذيبية التى أرساها الإسلام الإصلاح بين الناس سواء أكان على المستوى الشخصي أو العائلي أو الجماعى أو الدولي فذلك أدعى لصرف العدوان ودحضه وإرساء للمحبة وجميع المشاعر النبيلة بين الأمم جمعاء وبهذا يتكون المجتمع المثالى أو ماعبر عنه الإسلام بالأمة الواحدة كما فى قوله تعالى (وإن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاتقون .) [2] من أجل هذا كان قوله تعالى (وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما فإن بغت إحداهما على الأخرى فقاتلوا التى تبغى حتى تفىء إلى أمر الله فإن فاءت فأصلحوا بينهما بالعدل وأقسطوا إن الله يحب المقسطين .) [3] فهذه الأية وضعت أيدينا على معاملة بعض

---

[1] أخرجه مسلم فى صحيحه . كتاب الإيمان . باب الدليل على أن من قصد أخذ مال غيره بغير حق (كان القاصد مهدر الدم فى حقه وأن قتل كان فى النار وإن من قتل دون ماله فهو شهيد) الجزء الثانى ص ١٦٣ ط دار الريان الاولى ١٩٨٧م.

[2] سورة المؤمنون الأية رقم (٥٢).

[3] سورة الحجرات الاية رقم (٩).

الخارجين من خلال النصح فهو طوق النجاة باستعمال الموعظة الحسنة ويكون (النصح هنا والصلح بإزالة الاقتتال نفسه وذلك يكون بالنصيحة أو التهديد والزجر والتعذيب) [١] هذا أقطع لثوران الفتنة بينهما مرة أخرى.وهذا الرجوع من كلا الطائفتين سلوك وضعه الله للمؤمنين المتحابين الذين تجمعهم روابط الإيمان بالله تعالى فضلا عن رابطة الدين فهو رباط وثيق بين الناس (لايقل عن رباط النسب والدم.) [٢] فإن لم يمتثل أحدهما لداعى الخير والإصلاح فالفئة الباغية تقاتل حتى تفيء إلى أمر الله تعالى . (فالبشر عرضة للبغى الشديد الذى يفضى إلى القتل بغير حق إذا لم يردعهم الوعيد الشديد أو العقاب الأليم.) [٣] مصداقا لقوله تعالى(**فإن تنازعتم فى شيء فردوه إلى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك خير وأحسن تأويلا .**) [٤] مع مراعاة العدل فى الإصلاح بين المتخاصمين ولو كان ذا قربى فذلك أدعى لصرف وسوسة الشيطان وهوى النفس الأمارة بالسوء وإقامة للعدل وفى هذا يقول الله تعالى (**يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط شهداء لله ولو على أنفسكم أو الوالدين والأقربين إن يكن غنياً أو فقيراً فالله أولى بهما فلا تتبعوا الهوى أن تعدلوا وأن تلوا أو تعرضوا فإن الله كان بما تعملون خبيرا.**)[٥]

كذلك طالب الإسلام أتباعه بالتثبت والتبين ووضوح البراهين على القضايا قبل إصدار أحكامهم عليها فذلك أيضا أسلوب وقائى لدفع العدوان بأشكاله وفض المنازعات . وقد جاء هذا التوجيه الكريم فى قول الحق تعالى (**يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا أن تصيبوا قوما بجهالة فتصبحوا على ما فعلتم**

---

[١] تفسير الكبير الرازى - ص ١٣١ - الجزء الثامن والعشرون دار الفكر ١٩٩٥م.

[٢] سماحة الاسلام - الحوفى - ص ٦٣.

[٣] تفسير المنار - محمد عبده . تأليف محمد رشيد رضا . ص ٣٤٨.

[٤] سورة النساء الآية رقم .(٥٩).

[٥] سورة النساء الآية رقم (١٣٥).

نـادمين) [١] لأنه إذا استبان الحق وظهر جليا وضعت الأمور فى نصابها المقدر لـــها مما يترتب على ذلك كله صلاح الأمة ووحدتها.

ثامنا :- التربية فى القصاص

علمنا أن العدوان سلب لإرادة الإنسان وما يقع تحت يده مـــن حقـــوق وقـــد وضع الله تعالى القصاص علاجا لكل من تسول له نفسه خرق القانون الإلهي . حيـــث يقام الحد على من ارتكب جرما وقد أشرنا فيما سبق إشارة خفيفة إلى أن القصـــاص فيه الحياة . لأنة وسيلة مؤدية إلي الردع فإن المرء متى علم أنه (إذا قتل نفسا يقتل بها فإنه يرتدع عن القتل فيحفظ الحياة على من أراد قتله وعلى نفسه .) [٢] من هنـــا كان التعبير بليغا فى قوله تعـالى (**ولكم فى القصاص حياة يا أولى الألباب لعلكم تتقون**) [٣] وجعل الإسلام السبيل على الذين يظلمون الناس ويبغون فى الأرض بغـير الحق فهؤلاء لم تنفع معهم نصيحة ولم يعتبروا بالزجر ولا غرابة فى أن تكون (حياة المجتمع وقفا على موت بعض الأفراد والتضحية بعناصر الفساد .) [٤] كما أن الإسلام لايعرف عقوبة تنكيل أبدا (إلاعقوبة المفسدين فى الأرض ... مـــن قطـــاع الطـــرق والقتلة والمتربصين ونحوهم ...) [٥] كما جاء فـــي قولـــه تعـــالى (**إنما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون فى الأرض فسادا أن يقتلوا أو يصلبوا أو تقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف أو ينفوا من الأرض ذلك لهم خزى فى الدنيا ولهم فى الآخرة عذاب عظيم**) [٦] والقصاص فى الإسلام لا يكون إلابحق فقد جاء فى أبـــي بكـــر

---

(١) سورة الحجرات . الآية رقم (٦).
(٢) تفسير المنار . الجزء الثانى – ص ١٣٣.
(٣) سورة البقرة الآية رقم (١٧٩).
(٤) التربية فى الإسلام – ص ١٣٩.
(٥) لماذا أنا مسلم . عبد الرحمن العيسوى ص ١٢٣ ط مكتبة وهبة ١٩٥٤م.
(٦) سورة المائدة الآية رقم (٣٣)

التقليل من شأنه يؤدى للفوضى وعموم البلوى وقد لجأت بعض الدول لإلغاء عقوبة الإعدام من قوانينها العقابية . ووضعت حياة المجرم واستمرار عداءه وإجرامه فوق أي اعتبار قانونى آخر [١] وقد نتج عن ذلك إفسادا لمجتمعات انهار بنيانها ونحن نسمع كل يوم الكثير من هذه البلايا التى ابتليت بها تلك المجتمعات التى تهاونت في تطبيق شرع الله تعالى فقد تهاوى بنيانها وانتشر الفساد بها وأصبحت الجريمة شيئا مؤلوفا بين أفرادها.

تاسعا :- الجهاد طريق للتربية والتهذيب

أمر الإسلام أتباعه بمقاتلة الخارجين على نهج الله تعالى . ونشر لواء الاسلام في كل أنحاء الأرض . وذلك لأن رسالة الإسلام رسالة عالمية . وقد هذب الإسلام سلوكيات الناس بالدعوة إلى الجهاد فى سبيله . فالجهاد طريق يقضى فيه الإنسان طاقته في النافع المفيد بدلاً من إشباعها في العدوان والغضب أو الاعتداء على الآخرين من هنا كانت الدعوة للوقوف في ميدان القتال . وقد تهذبت أخلاق المجاهدين فى ميدان القتال كما هذبها الإسلام فى حالة السلم . ومن هنا كانت وصاياه عليه الصلاة والسلام للأمراء والقواد بقولة (**اغزوا باسم الله فى سبيل الله . قاتلوا من كفر بالله . اغزوا ولاتغلوا ولاتغدروا ولاتمثلوا ... ولاتقتلوا وليدا..**) [٢] تلك قمة التوجيهات النبوية والتى تساعد على إبقاء الحياة على حالها . كما أنها تبرز سماحة الإسلام تجاه خصومه فقد أنكر النبى صلى الله عليه وسلم قتل النساء حين مر بميدان القتال ورأى لمرأة مقتولة [٣] كما كتب عليه الصلاة والسلام المعاهدات والوثائق مع غير الراغبين فى الدخول في الإسلام وكذا فعل صحابته من بعد . إقراراً للسلم

---

(١) راجع عقاب المجرمين عدنان الدودى ص ١٢٢ مجلة العربي عدد (١٧٥) يونيو ١٩٧٢م.

(٢) أخرجه مسلم فى صحيحه / كتاب النووى / كتاب الجهاد / باب تأمير الامام الأمراء على البعوث / الجزء الثانى عشر ص (٣٧)

(٣) نفسه كتاب تحريم قتال النساء والصبيان فى الحرب / الجزء الثانى عشر ص (٤٨).

رضى الله عنه وقتاله للمرتدين وما نعى الزكاة إذ علل رضى الله عنه سبب قتاله لهؤلاء بقوله (**والله لأقاتلن من فرق بين الصلاة والزكاة فإن الزكاة حق المال . والله لو منعونى عقالا كانوا يؤدونه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم لقاتلتهم على منعه**.) [1] وكما علمنا سلفا أن القصاص ينبغى أن يكون عادلاً حتى على ألاقربين فإنه يتضمن مع هذا المساواة فى إقامته امتثالا لقوله تعالى (**وإن عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به ولئن صبرتم لهو خير للصابرين** .) [2] كما أباح الإسلام للمرء أن يتلفظ بكلمة الكفر فى حالة الاعتداء أو الهلاك من الغير مثل قتل نفس أو هتك عرض مع عدم المقدرة على منعهم . فلا جناح عليه أن ينطق بكلمة الكفر مادام قلبه مطمئننا بالإيمان وفى هذا يقول الله تعالى (**إلامن أكره وقلبه مطمئن بالإيمان ولكن من شرح بالكفر صدراً فعليهم غضب من الله ولهم عذاب عظيم**) [3] وبالفعل رأينا بعض الصحابة يأخذ بهذه الرخصة الإلهية عندما اشتد عليه العذاب من الكفار ومنهم **سيدنا عمار بن ياسر رضى الله عنهما** .

وبلغ الرسول صلى الله علية وسلم ماكان منه فقال (**إن عمارا ملئ إيمانا من فرقه إلى قدميه واختلط الإيمان بلحمه ودمه . فأتى عمار رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يبكى فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يمسح عينيه ويقول مالك إن عادوا لك فعد لهم بما قلت** .) [4] ومن ذلك قوله تعالى (**إلا أن تتقوا منهم تقاه**) [5] ومن هذايتبين لنا أن القصاص منهج تربوي فرضه الإسلام.كما أنه يعتبر سلاحا رادعا وعقوبة صارمة . إنه نوع من تربية الأفراد والجماعات كما أن

---

[1] أخرجه مسلم فى صحيحه . كتاب الإيمان باب الأمر بقتال الناس حتى يقولوا لاإله إلا الله.الجزء الأول ص ٢٠٧.

[2] سورة النحل الآية رقم (١٠٦

[3] سورة النحل الآية رقم (١٠٦

[4] أسباب النزول . الواحدى رقم ٢١٢.

[5] سورة ال عمران الاية رقم (٢٨).

وإظهارا لسماحة الإسلام . وجاء الوعيد والتهديد لمن قتل معاهدا فـــى قولـــه عليـــه الصلاة والسلام (**من قتل معاهدا لم يرح رائحة الجنة**) [1] والتاريخ خير شاهد علـــى سماحة الإسلام مع أعدائه . ويكفي القول بأن الإســـلام لايعــرف العدوانيـــة إلا مـــع المعتدين والخارجين عليه . فتعاليمه السمحة هى التى دعت خصومه للدخـــول فيـــه والاستظلال تحت لوائه بعدما رأوا من بنى جلدتهم وذوى دينهم ســـوء العـــذاب مـــن القتيل والتشريد والتمثيل ... الخ وهاك بعض النماذج من فعل المسلمين مع أعدائهم.

أولا :- معاملته صلى الله عليه وسلم الحسنة لأسري بدر ظهر فى عفوه عنـــهم ناهيك عن أصحابه رضى الله عنهم الذين كانوا يؤثرون الأسرى على أنفسهم بالطعـــام والشراب وقد أقبل عليه الصلاة والسلام بالأسرى و فرقهم علـــى المســـلمين وقـــال (استوصوا بهم خيرا ... فإنه كان ليقدم إليهم الطعام والشراب فما تقع بيد أحدهم من " الصحابة " كسرة إلا رمى بها إلى أسيره.) [2] إنها قمة الرحمة التى أرســـله الله بـــها للناس جميعا .

ثانيا :- ما جاء فى نص معاهدة عمر بن الخطاب رضى الله عنه لأهـــل لـــد ومن دخل معهم من أهل فلسطين ليبين مدى سماحة الإسلام . فقد أعطـــاهم (أمانـــا لأنفسهم وأموالهم ولكنائسهم وصلبانهم وسقيمهم وبريئهم وسائر ملتهم . أنه لاتسـكن كنائسهم ولاتهدم ولاينتقص منها ولامن خيرها ولا مللها ولا من صلبانهم ؛ ولا مـــن أموالهم ولايكرهون على دينهم ؛ ولايضار أحد منهم . وعلى أهل لد ومن دخل معـــهم من أهل فلسطين أن يعطوا الجزية . كما يعطى أهل مدائن الشام .) [3]

---

(1) أخرجه البخارى فى صحيحه / كتاب الجزية والموادعة باب اثم من قتل معاهدا الجزء السادس ٣٣١ ح ٣١٦٦

(2) تاريخ الإسلام . الذهبى – الجزء الاول – العدد الخامس ص ٢٩٣ دار الغد العربى

(3) تاريخ الرسل والملوك . تاريخ الطبرى . تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم الجزء الثالث ص ٦٠٩ ط دار المعارف .

ثالثا :- تسامح الإسلام عندما ترك ملوك الغرب وأمرائها على إمارتهم وممالكهم رغم مخالفتهم للعقيدة الإسلامية . كذلك تسامحه في وضع الجزية عن غير المستطيع كما بلغ من تسامحه مع أرباب الأديان الأخرى أنه آمن بجميع الرسل من أدم إلى عيسى عليهم الصلاة والسلام . مصدقا لقولة تعالى (آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لانفرق بين أحد من رسله .....) [1] ومن تسامحه مساواته في الحقوق للمسلم ولغيره واعتبر أن تعمير الكنائس من عمارة البلاد . وقد استفتى الإمام الليث بن سعد ؛ ١٧٥هـ - ٧٩١م- وغيره من علماء عصره في تعمير الكنائس فقال الليث وبقية العلماء (إن تعمير الكنائس من عمارة البلاد واحتجوا بأن الكنائس الكبرى بنيت أيام الصحابة والتابعين .) [2] والاستقصاء يطول بنا لو استعرضنا أحداث التاريخ وما سجله في هذا الشأن . أعنى سماحة الإسلام مع أهل الكتاب . أين هذا مما يحدث الآن ؛ من التطهير العرقي للمسلمين وانتهاك أعراضهم ؛ وسلب أموالهم وإخراجهم من ديارهم بغير حق إلا أن يقولوا ربنا الله . حدث هذا ويحدث الآن فى كثير من البلدان الإسلامية والتي بها أغلبيه نصرانية . إنهم يريدون القضاء على بناء الإسلام التسامحى . ولكن هيهات فروح (الإسلام واتجاهه باق لايتغير ولا حاجة به ولا بنا إلى أن يتغير مادامت السماوات والأرض).[3]

---

[1] سورة البقرة الآية رقم (٢٨٥).

[2] التسامح فى الإسلام . محمد أحمد حسونه . محمد خليفة التونسي . ص ٢٧ط. دار الكتاب العربي ١٩٥٢م.

[3] التسامح فى الإسلام ص (٣٧).

عاشرا :- الابدال والاستعلاء.

من الطرق الوقائية والعلاجية لدافع العدوان ما يعرف بالإبدال وهو عبارة عن (تحويل الطاقة الغرزية إلى أساليب متنوعة من النشاط الفردي والاجتماعي)[1] ولقد حرص الإسلام على استغلال الطاقات الإنسانية وتدريبها على الأعمال المفيدة لكي ينشأ الرجل صاحب الإيمان القوى وفى هذا يقول عليه الصلاة والسلام (**المؤمن القوى خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف وفى كل خير** ....)[2] وفى هذا المعنى جاء قول عمر رضى الله عنه (**علموا أولادكم العوم والسباحة والرماية ومروهم فليثبوا على الخيل وثبا** ..)[3] لذلك لجأت بعض الدول إلى بناء المشاريع المفيدة للشباب لاستغلال (أوقات فراغهم وتحويل اهتماماتهم نحو قنوات مثمرة بناءة.)[4] فالفراغ القاتل يحول بعض الشباب إلى درجة سيئة لاهم لها سوى العبث والإفساد . ولاريب في أن توفير العمل المفيد إلى جانب التوجيه السليم يساعدان الشباب وغيرهم على الخروج من دائرة الانغلاق الذهنى إلى الانفتاح العلمى ؛ ويكون لدينا المؤمن قوى البنيان قوى الإيمان . كذلك يحتاج الأحداث الصغار لمراكز إصلاح متطورة تقوم على حمايتهم وتأهيلهم مهنيا وبهذا يواجهون الحياة بنشاط وجد وحتى يكونوا أهل عطاء مفيدين في مجتمعاتهم . وقد تعددت المؤسسات الإصلاحية إلا أن لكل طابع خاص والأولى اجتماعها على هدف تربوي واحد بدل من إتجاه (كل مؤسسة نحو هدف دون غيره وقد تصوب بعضها إلى أكثر من هدف . وهكذا ضاع التصويب الدقيق وتعددت الاطلاقات وتباعدت بعض الأهداف

---

[1] القرآن وعلم النفس ص ١١٢ وزارة الثقافة . ١٩٦٢م.

[2] أخرجه مسلم في صحيحه . كتاب القدر باب الإيمان للقدر والإذعان له . الجزء السادس عشر ص ٢١٥.

[3] خطب عمر بن الخطاب (رضى الله عنه) محمد أحمد عاشور . ص ١٢٦ دار الاعتصام ١٩٨٥م.

[4] عقاب المجرمين – عدنان الدودى ص ١٢٣ . مجلة العربى عدد (١٧٥) يونيو ١٩٧٢م.

واقتربت الأخرى .)[١] وتوجيه الطاقة وصرفها لميادين شتى كالرياضة البناءة أو الجهاد بأشكاله المختلفة يحتاج لتدرج في الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر خاصة مع الشواذ من الناس . ويمكن إبدال الطاقة العدوانية بالصيام فهو عبادة تربوية تدفع صاحبها للتأنى والصبر والرأفة ... ألخ ومن ذلك قوله عليه الصلاة والسلام **(إذا أصبح أحدكم يوما صائما فلا يرفث ولايجهل فإن امرؤ شاتمة أو قاتله فليقل إنى صائم إنى صائم ...)**[٢] فالصائم يقطع حديث النفس الآمارة بالسوء بالاعتداء فيرجع عن المشاتمة والمقاتلة وبذلك يحفظ صومه ويزجر غيره . وتتبدل الأحوال ويدفع المرء عن نفسه الاعتداء الغيرى . أضف إلى ذلك أن الصيام يهذب القوى الإنسانية وذلك بصرفها فى النافع المفيد بدل العداء.

مما سبق يتبين لنا أثر الإسلام وتهذيبه لدافع العدوان بجميع صوره ومظاهره المختلفة .



عقاب المجرمين ص ١٢٣

حرجه مسلم فى صحيحه . كتاب الصيام . باب مايقوله الصائم إذا شوتم أوقوتل . الجزء الثامن ص ٢٨.

مقدمة فى فضل العلم والنظر

لاشك أن أجل نعمة أنعم الله بها على الانسان هى نعمة العقل اذ هو مناط التكليف والاختيار والتمييز ؛ وبه ارتفع على الكائنات الأخرى ومن خلاله يدور التساؤل الفكرى حول عالمى الغيب والشهادة . فيتساءل المرء عن السماء ومن رفعها ؟ والأرض ومن بسطها ؟ والجبال وقوتها ؟ وله حب استطلاع ما وراء هذه المخلوقات ؛ وغالبا ما تدور أسئلته حول المبدأ والمصير . كل ذلك لأ نه كائن مفكر لديه دافع حب الاستطلاع . ومن هنا كانت رسالة الإسلام داعية إلى استعمال العقل . وجاءت أولى آيات القرآن الكريم شاهدة على ذلك . فمن ذلك قوله تعالى **(اقرأ باسم ربك الذى خلق . خلق الإنسان من علق . اقرأ وربك الأكرم . الذى علم بالقلم . علم الانسان مالم يعلم)**[1] ومن قبل كان تعليم الله تعالى لآدم عليه السلام الأسماء كلها ليكون ذلك علامة بارزة على العلم وأفضليته وأحقية الإنسان بالخلافة و القيادة على غيره من الكائنات . كما حفز الإسلام على تنمية هذا الدافع بالسير والنظر فى الأنفس والآفاق فذلك أدعى لإشباع حب الاستطلاع لديهم بل والوصول إلى الله تعالى من خلال هذا النظر بعد التدبر والاعتبار . فمن ذلك نقرأ قوله تعالى **(قل سيروا فى الأرض فانظروا كيف بدأ الخلق ثم الله ينشىء النشأة الأخرة إن الله على كل شىء قدير .)**[2] كما قرن سبحانه وتعالى ذلك النظر بالتدبر والتفكر فقال **(أفلم يسيروا فى الأرض فتكون لهم قلوب يعقلون بها أو آذان يسمعون بها فإنها لاتعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التى فى الصدور)**[3] وضرب سبحانه الأمثال

---

[1] سورة العلق . الآيات رقم (١ إلى ٥).

[2] سورة العنكبوت الاية رقم (٢٠).

[3] سورة الحج الآية رقم (٤٦).

للناس ليتفكروا فيها وليقرب الصورة إليهم في أساليب بيانية ليشبع رغبتهم الاستطلاعية .وحث على العلم وكره الجهل فجاء قوله تعالى (وقل رب زدني علما) [١] وقوله عليه الصلاة والسلام (طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة .) [٢] وبين فضل العلماء على غيرهم من العباد بقوله تعالى (قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون ...) [٣] وقوله (يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات ...) [٤] وربما وجدنا في القرآن الكريم دعوة إلى التخصص الدقيق من أجل أن يبرز كل فريق في فنه فمن ذلك قوله تعالى (وما كان المؤمنون لينفروا كافة فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم لعلهم يحذرون) [٥] وفتح باب النظر والاجتهاد وأعطى الثواب على الأمرين الخطأ والصواب فجعل للمصيب أجران وللمخطيء أجر لأنه أفرغ ما في وسعه في البحث والنظر في الحقيقة . وفي هذا نقرأ قوله عليه الصلاة والسلام (إذا حكم الحاكم فاجتهد ثم أصاب فله أجران . وإذا حكم فاجتهد ثم أخطأ فله أجر .) [٦] ومع هذا الثواب فإن العلم نافع لصاحبه في الحياة والممات وفي هذا نقرأ قوله عليه الصلاة والسلام (إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث . صدقة جارية . وعلم ينتفع به . ولد صالح يدعو له .) [٧]

---

(١) سورة طه الآية رقم (١١٤).

(٢) أخرجه ابن ماجه في سننه . المقدمة . باب فضل العلماء والحث على طلب العلم . الجزء الأول ص (٨١) ح(٢٢٤) .

(٣) سورة الزمر الآية رقم (٩).

(٤) سورة المجادلة الآية رقم ١١ .

(٥) سورة التوبة الآية رقم ١٢٢

(٦) أخرجه مسلم في صحيحه /كتاب الأقضية - باب إتيان أجر الحاكم إذا اجتهد فأصاب أو أخطأ . الجزء الثاني عشر ص (١٣٠).

(٧) أخرجه الترمذي في سننه /كتاب الأحكام / باب ما جاء في الوقت / الجزء الرابع / ص ٥٢٣ / ح ١٣٧٦.

ولاشك أن التدبر فى الآيات والتفكر فى الصنع الإلهى يحدث انفعالا نفسيا عند المؤمن فينطق لسانه بقوله تعالى (**ربنا ما خلقت هذا باطلا سبحانك فقنا عذاب النار**)[1] أما الكافر فهو غافل عن ذلك لاتزيده الرؤية إلا عنادا و جحودا . ومن الآيات التى لفت الله الأنظار إليها ليستطيع المرء ما وراءها من حكم وعبر ما بثه فى الكون من آلاء ونعم تدل على قدرته وعظمته وتوحى إلى توحيده تعالى . قوله (**والشمس تجرى لمستقر لها ذلك تقدير العزيز العليم.**)[2] وقوله تعالى عن تعاقب الليل والنهار وما فى ذلك من عبر (**والليل إذ أدبر والصبح إذا أسفر**)[3] وعن الميزان الدقيق بين الشمس والقمر والموضوع فى جريانهما وسعيهمافى فلكيهما بحكمة ونظام لايختل . يقول سبحانه(**لا الشمس ينبغى لها أن تدرك القمر ولاالليل سابق النهار وكل فى فلك يسبحون**)[4] ويذكر الفخر الرازى بيانه عن مدى العلاقة الترابطية بين الليل و النهار فيما يتعلق بتلك الآيات قوله . أنه تعالى (زواج بين الليل والنهار لأغراض من ثلاثة لتسكنوا فى أحدهما وهو الليل . ولتبتغوا من فضله فى الآخر وهو النهار ولأداء الشكر على المنفعتين .)[5] ولأجل تقدير النعمة وشكر المنعم كان قوله تعالى (**قل أرأيتم إن جعل الله عليكم الليل سرمدا إلى يوم القيامة من إله غير الله يأتيكم بضياء أفلا تسمعون . قل أرأيتم إن جعل الله عليكم النهار سرمدا إلى يوم القيامة من إله غير الله**

---

[1] سورة آل عمران الاية رقم (١٩١).
[2] سورة يس الآية رقم ٣٨ .
[3] سورة المدثر الآيتين رقم (٣٣- ٣٤) .
[4] سورة يس الآية رقم (٤٠).
[5] التفسير الكبير للرازى الجزء الخامس والعشرون ص ١٣ .

يأتيكم بليل تسكنون فيه . أفلا تبصرون) [١] كما لفت سبحانه الأنظار تجاه الجبال لما فيها من عظمة الصنع الذى يورث إيمانا وتوحيدا للخالق تعالى . فقال (وترى الجبال تحسبها جامدة وهى تمر مر السحاب صنع الله الذى أتقن كل شىء ..) [٢] وقوله تعالى (ومن الجبال جدد بيض وحمر مختلف ألوانها وغرابيب سود) [٣] وقوله (والجبال أوتادا.) [٤] وعن نعمة الماء كان قوله تعالى (وجعلنا من الماء كل شىء حى أفلا يؤمنون.) [٥] وكذا تحدث سبحانه عن الرعد والبرق كظاهرتين يراهما الناس فقال (أو كصيب من السماء فيه ظلمات ورعد وبرق يجعلون أصابعهم فى آذانهم من الصواعق حذر الموت والله محيط بالكافرين.) [٦] ومن آيات قدرته الرياح وفيها يقول الله تعالى (وأرسلنا الرياح لواقح ....) [٧] كما لفت أنظارنا إلى بعض الشجر وما فيه من منافع كما فى قوله تعالى (الذى جعل لكم من الشجر الأخضر نارا فإذا أنتم منه توقدون.) [٨] وتمثل هذا أعظم تمثيل فى اختلاف الزروع والثمار رغم اتحاد الأسباب من الأرض والماء والهواء جاء ذلك فى قرآنه تعالى (وفى الأرض قطع متجاورات وجنات من أعناب وزرع ونخيل صنوان وغير صنوان يسقى بماء واحد ونفضل بعضها على بعض فى الأكل إن فى ذلك لآيات لقوم يعقلون.) [٩] كما لفت أنظارنا إلى آية عظيمة تدل على قدرته وكمال تفرده فى الوجود وهى آية الطير المسخر فى السماء فقال (ألم

---

[١] سورة القصص الآيتين رقم (٧١-٧٢).
[٢] سورة النمل الآية رقم (٨٨) .
[٣] سورة فاطر الآية رقم ٢٧ .
[٤] سورة النبأ الآية رقم (٧).
[٥] سورة الأنبياء الآية رقم (٣٠).
[٦] سورة البقرة الآية رقم (١٩).
[٧] سورة الحجر الآية رقم (٢٢).
[٨] سورة يس الآية رقم (٨٠).
[٩] سورة الرعد الآية رقم (٤).

..روا إلى الطير مسخرات في جو السماء ما يمسكهن إلا الله إن في ذلك لآيات لقوم يؤمنون.) [١] إلى غير ذلك من الآيات الكونية المنبثة في الآفاق . كما لفت سبحانه وتعالى النظر للنفس الإنسانية من حيث التكوين والتطور الخلقي . فقال سبحانه وتعالى (ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين ثم جعلناه نطفة في قرار مكين ثم خلقنا النطفة علقة فخلقنا العلقة مضغة . فخلقنا المضغة عظاما فكسونا العظام لحما ثم أنشأناه خلقا آخر فتبارك الله أحسن الخالقين.) [٢] وقوله تعالى (وفي أنفسكم أفلا تبصرون.) [٣] ونكتفي بهذا القدر من الآيات التي بثها الله عز وجل في مخلوقاته وغيرها كثير في كتاب الله عز وجل . والخلاصة إن الله تعالى أودع الإنسان عقلا عن طريقه استطاع عبر العصور المختلفة أن يصل لمكتشفات أفاد منها البشرية جمعاء في شتى النواحي الفكرية والعملية . كعلم الفلك ؛ وعلم طبقات الأرض وعلم الأغذية .... الخ وهذه الآيات تدعو إلى (معرفة الحق وبذلك يعمق هذا الجانب إيمان المؤمن بالله وحده وترسخ في قلبه تقواه .) [٤] فالآيات يجب أن لاتمر عليه دون أن يزداد إيمانا وقوة وتسليما لله تعالى وقد حكى القرآن الكريم ذلك فقال (ويرى الذين أوتوا العلم الذي أنزل إليك من ربك هو الحق ويهدي إلى صراط العزيز الحميد) [٥] وحكى موقف المعاندين فقال سبحانه وتعالى (وكأين من آية في السموات والأرض يمرون عليها وهم عنها معرضون.) [٦] وقال أيضا (ولو فتحنا عليهم بابا من السماء فظلوا فيه يعرجون لقالوا إنما سكرت أبصارنا بل نحن قوم

---

(١) سورة النحل الآية رقم (٧٩).

(٢) سورة المؤمنون الآيات رقم (١٢ : ١٣ : ١٤).

(٣) سورة الذاريات الآية رقم (٢١).

(٤) القرآن والسلوك الانساني . محمد بهائي سليم . ص ٢٤٢ ط الهيئة العامة للكتاب ١٩٨٧م.

(٥) سورة سبأ الآية رقم (٦).

(٦) سورة يوسف الآية رقم (١٠٥).

مسحورون) [١] فهؤلاء قوم قد ماتت قلوبهم وعطلت عقولهم . على أية حال فإن القرآن الكريم قد حكى التأثر النفسي لكلا الفريقين المؤمن والكافر على السواء وترك لها حرية الاختيار فقال سبحانه (**قل آمنوا به أولا تؤمنوا إن الذين أوتوا العلم من قبله إذا يتلى عليهم يخرون للأذقان سجدا . ويقولون سبحان ربنا إن كان وعد ربنا لمفعولا**)[٢] وقوله (**فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر**)[٣] وإذا كان المرء عند استطلاعه للآيات يتعجب وتأخذه الدهشة لهول ماوقف عليه من نتائج فأولى به أن يخشع لله إذ هداه إلى الحق وإلى الإسلام .

وفيما يلي عرض لأبرز التوجيهات التربوية والتهذيبية لدافع حب الاستطلاع من وجهة نظر إسلامية .

---

[١] سورة الحجر الآية رقم (١٤).
[٢] سورة الإسراء الآيتين رقم (١٠٧، ١٠٨).
[٣] سورة الكهف الآية رقم (٢٩).

أولا :- الاستطلاع والغيب

لقد بين الإسلام حدود العقل وتفاوته وكـذا قصـوره وعجـزه عـن إدراك بعـض الأشياء خاصة الغيبية منها . والتـى لايملـك العقـل السـبل المؤديـة والموصلـة لها . فهناك السؤال الملح عـن المبـدأ والمصـير . وقـد تخبـط السـابقون فـى استطلاع عالم ما وراء الطبيعـة فجـاءت آراؤهـم مختلفـة ومتعارضـة . ومـن ذلك كانت عبادة الشمس والقمر والنجـوم والأصنـام والمـاء والنـار إلـى غـير ذلك مما ضل فيه العقل البشرى .[1] ومن هنـا كـانت عنايـة اللـه تعـالى ببنـى آدم حيث ارسل اليهم رسلا مبشـرين ومنذريـن . ولينقـذوا العقـل مـن ضلالـه وغفلته فجاءت تعاليمهم واضحة بناءة فـى هـذا الشـأن . وقـد هـذب الإسـلام سلوك وأفكارأتباعه بدعوتهم للرجوع للوحـى الإلهـى ففيـه إرشـادهم إلـى مـا يريدون معرفته عن عالم الغيب . وكان هـذا التوجيـه مـن اللـه تعـالى رحمـة بخلقه حتى لاتشذ عقولهـم . فمـن ذلـك قولـه عليـه الصـلاة والسـلام (**فيما يرويه عن ربه . قال الله عز وجل إن أمتك لايزالون يقولون ما كذا ماكذا حتى يقولوا هذا الله خلق الخلق فمن خلق الله .؟**)[2] وجـاء فـى روايـة اخـرى قال رسول الله صلى اللـه عليـه وسـلم (**ليسألنكم الناس عن كل شىء حتى يقولوا الله خلق كل شىء فمن خلقه .؟**)[3] فالتربيـة الإسـلامية كفيلـة بعصمـة العقل عن الزيغ والضلال فيما يسـتطلعه المـرء مـن أمـور عارضـة مصدرهـا الوسوسة الشـيطانية أو أمـور مسـتقرة أوجبتهـا الشـبهة . فـالأولى تصـرف بالاستعاذة والثانية تصرف بالاسـتدلال والنظـر.

---

[1] راجع الملل والنحل . الشهرستانى . تحقيق محمد سيد كيلانى . الجزء الثانى من ص ٢٥٨ إلى ٢٦١ .ط دار صعب بيروت ١٩٨٦م.

[2] أخرجه مسلم فى صحيحه . كتاب الإيمان . باب الوسوسة فى الإيمان . الجزء الثانى ص ١٥٦ .

[3] نفسه . الجزء الثانى ص ١٥٦.

ثانيا :- العلم ليس حكرا على احد

من التوجيهات السديدة التي أرساها الدين الحنيف ؛ وهذب بها سلوك أتباعه هى عدم الاستئثار بالعلم أو بما يتوصل إليه المرء لنفسه دون نشره وتعميمه بين الناس للاستفادة منه . فتلك أنانية مستبدة وخلق سيىء لايقره الإسلام . ولذا جاء قوله عليه الصلاة والسلام مرشدا إلى ذلك بقوله **(من سئل عن علم فكمته ألجم يوم القيامة بلجام من نار.)** [١] وجاء أسلوب الترغيب لحث الناس على تبليغ العلم فذلك فيه النفع والثواب . فمن ذلك قوله عليه الصلاة والسلام **(من دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل أجور من تبعه لاينقص ذلك من أجورهم شيئا.)** [٢] وضرب الرسول الله عليه وسلم مثلا حسيا ليقرب الصورة البلاغية للعقل فقال **(مثل ما بعثنى الله به من الهدى والعلم كمثل الغيث الكثير. أصاب أرضا فكان منها نقية قبلت الماء؛ فأنبتت الكلأ و العشب الكثير ؛ وكانت منها أجادب أمسكت الماء؛ فنفع الله بها الناس فشربوا وسقوا وزرعوا وأصابت منها طائفة أخرى إنما هى قيعان لاتمسك ماء ولاتنبت كلأ فذلك مثل من فقه فى دين الله ونفعه ما بعثنى الله به فعلم وعلم ومثل من لم يرفع بذلك رأسا ولم يقبل هدى الله الذى أرسلت به.)** [٣] ومن ذلك أيضا كانت دعوة الإسلام للبعد عن التنطع والمغالاة فى الدين ومجاوزة الحد فى الأقوال والأفعال ومن ذلك قوله عليه الصلاة والسلام **(هلك المتنطعون قالها ثلاثا)** [٤] فتبليغ العلم لانتفاع الناس به سبيل الحياة الهادئة الهادفة. هكذا فرض الإسلام وحث عليه أتباعه .

---

[١] أخرجه الترمذى فى سننه . كتاب العلم . باب ما جاء فى كتمان العلم . الجزء السابع ص ٣٨٦ ح (٢٦٤٩).

[٢] أخرجه مسلم فى صحيحه . كتاب العلم باب من سن سنة حسنة أوسيئة . الجزء السادس عشر ص ٢٧٧.

[٣] أخرجه البخارى فى صحيحه . كتاب العلم . باب فضل من علم وعلم . الجزء الأول ص ٢٣٢ ح (٧٩).

[٤] أخرجه مسلم فى صحيحه . كتاب العلم . باب هلك المتنطعون . الجزء السادس عشر ص ٢٢٠ .

ثالثا :- التنجيم والسحر والكهانة .

وهذا سلوك آخر حذر منه الإسلام . وكان لابد من التهذيب والتربية وقد سلك الإسلام سلوكا تربويا . تهذيبيا تجاه هذه الأمور فحرم السحر والكهانة والتنجيم . والشعوذة وضروب الرجم بالغيب لما فيها من استحواذ على عقول العباد ؛ وتخريب العقيدة وأكل أموالهم بالباطل . إذ أن هذه الأعمال لاسبيل إلى استطلاعها لأنها ضروب من الغيب استأثر الله بعلمها . من هنا جاء وعيده عليه الصلاة والسلام بقوله (**من أتى عرافا فسأله عن شيء لم تقبل له صلاة أربعين ليلة .**)[1] كما هذب نفسية أتباعه عند ترددهم في الاختيار بين أمرين إذيحار المرء في اختيار أيهما . والاستطلاع على ذلك ضرب من ضروب الغيب فأى الأمرين أصلح لايعلمه إلاالله . من أجل هذا كانت صلاة الاستخارة دعوة لاستلهام الغيب من مصدره وهو الله عزوجل وقد كان النبى صلى الله عليه وسلم يعلمها لأصحابه في شئون حياتهم كلها كما جاء في صحيح الأحاديث وفيها يقول صلى الله عليه وسلم (**إذا هم أحدكم بالأمر فليركع ركعتين من غير الفريضة ثم ليقل . اللهم إنى استخيرك بعلمك واستقدرك بقدرتك وأسألك من فضلك العظيم فإنك تقدر ولا أقدر ؛ وتعلم ولاأعلم وأنت علام الغيوب . اللهم فإن كنت تعلم هذا الأمر يسميه باسمه خيرالى فى دينى ومعاشى قال " أبو سعيد " ومعيشتى وعاقبة أمرى فاقدره لى ويسره ثم بارك لى فيه . اللهم وان كنت تعلمه شرا لى فى دينى ومعاشى وعاقبة أمرى فاصرفنى عنه واصرفه عنى واقدر لى الخير حيث كان ثم رضنى به .**)[2] وهكذا

---

[1] أخرجه مسلم فى صحيحه . كتاب السلام . باب تحريم الكهانة وإتيان الكهان . الجزء الرابع عشر . ص (٢٢٧).

[2] اخرجه أحمد فى مسنده . الجزء الثالث - ص ٣٤٤ (عن جابر بن عبد الله) ط مؤسسة قرطبة.

يتخلص المرء من الداء ويتقى بالدواء الذى وصفه الله لـــه الســبيل الأمثــل فــى استطلاعته.

رابعا :- الاستطلاع والإفساد

نرى بعض الناس عندهم حب اســتطلاع للأمــور . ومــا ذاك إلا لمعرفــة الأخبــار التى يمكن أن يرتب عليهـــا أذى للآخريــن . مــن هنــا كــانت دعــوة الإســلام مرشدة لاستطلاع المفيد النــافع مــن الأخبــار وتجنــب الســيىء الضــار فيهــا ؛ وعدم استخدام ما توصــل إليــه الإنســان مــن معرفــة كســلاح هــدام يضربــه الآخرين من بنى جنسه كى يهلك الحــرث والنســل ؛ ويعبــث فــى الأرض فســادا فهذا سلوك سيىء يضاد الخلافة عن الله التى خلق الانســان مــن أجلهــا . فهــو القــائل (**ولاتعثــوا فى الأرض مفسدين**)[١] ويقــول (**ولا تفسـدوا فـى الأرض بعـد إصلاحها**)[٢] وقد كان دعاء سيدنا صالح عليه الســلام لقومـــه كمــا حكــى القــرآن (... **هو أنشأكم من الأرض واستعمركم فيها** ...) [٣] وفــى عصرنــا الحــــاضر نرى السباق بين الأمم فى صنع الأسلحة التى تفتــك ببنــى البشــر وعلــى رأســها الأسلحة النووية ؛ ناهيك عن الأقمار الصناعيــة والتــى رصــدت للتجســس علــى بعض الدول . وهكذا وجهت تلك المعــارف للتخريــب والدمــار بدلامــن توجيههــا لما يفيد البشرية . من هنــا أصبحــت الأمــم تــتربص الدوائــر بعضهــا للبعــض الآخر . لذا يجب اتباع منهج الإسلام فى أخذ الحذر مــن الأعــداء كمــا جــاء فــى قوله تعالى (**ياأيها الذين آمنوا خذوا حذركم** ...)[٤] مــع الدعــوة إلــى القــوة والأخذ بأسبابها فى توجيه ما توصل إليـــه العلــم الحديــث مــن أقمــار صناعيــة

---

[١] سورة هود الآية رقم (٨٥).
[٢] سورة الأعراف الآية رقم (٥٦).
[٣] سورة هود الآية رقم (٦١).
[٤] سورة النساء الآية (٧١).

وغيرها في الدول الإسلامية تبعا لمنهج الله تعالى ؛ فنوجهها للمنافع المفيدة فقط . وذلك من باب القوة التي أمر الله المسلمين بها في قوله تعالى **(وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم وآخرين من دونهم لا تعلمونهم الله يعلمهم ...)** [1] وقد كان عليه الصلاة والسلام يرسل فرقا استطلاعية لتكشف أسرار العدو وما أعدوه . وعرفوا قديما بالعيون . وبهذا يطوع الدين المكتشفات الحديثة لخدمة الإنسان بدلا من استعمالها كأداة للخراب والفساد.

خامساً :- " الاستطلاع والتوجيه الفكري "

حرص الإسلام على تهذيب دافع الاستطلاع نحو المادة وماوراءها بسؤال أهل الذكر المتخصصين فيما يتوصل إليه الإنسان فذلك أدعى لوضع الأمور في نصابها السليم وفي هذا يقول الله تعالى **(فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لاتعلمون)** [2] وقد كان الصحابة رضوان الله عليهم بل وغيرهم من أصحاب الأديان الأخرى يأتون رسول الله عليه وسلم ليسألوه عن أمور ماديه وأخرى روحية فمن ذلك سؤالهم عن الخمر وعن الميسر والأنصاب والأز! وعن الجبال وحالها يوم القيامة وعن الساعة وحقيقتها وعن موعدها . وعن الروح وحقيقتها ...... ألخ فالإنسان لديه حب الاستطلاع خاصة فيما لايعلمه فكانت الإجابات منه عليه الصلاة و السلام قاطعة للشك و الريب ومحذرة من سؤال الجهال لأنهم يشكلون بؤرة فساد بجهلهم و في ذلك يقول عليه الصلاة والسلام **(إن الله لا يقبض العلم انتزاعا ينتزعه من الناس . ولكن يقبض العلم بقبض العلماء ، حتى إذا لم يترك عالما اتخذ الناس رؤسا جهالا . فسئلوا فأفتوا بغير**

سورة الأنفال الآية رقم (٦٠).

سورة النحل الآية رقم (٤٣) .

علم فضلوا وأضلوا .)[1] وهكذا يكون التهذيب بتوجيه هذا الدافع نحو العلماء المتخصصين . فالعلماء المتخصصون عندهم إجابه لكل سؤال ، ولديهم إشباع لدافع حب الاستطلاع.

سادسا : التجسس و التوجيه الإسلامي

هناك بعض الناس لديهم استطلاع لأخبار الآخرين و التجسس عليهم والتحسس لأخبارهم ، ولاشك أن هذا خلق ذميم و سلوك سيىء يبغضه الله ويكرهه العباد . و فى هذه النقطة نرى موقف الإسلام الطيب الذى ينهى عن التجسس والتحسس على اعتبار أنه خلق بذىء و سلوك سيىء . فقد هذب الإسلام هذا الدافع بدعوة أتباعه للبعد عن مواطن الريب و الزلل وغيرها من مثل هذا السلوك أعنى الاطلاع على عورات الآخرين فذلك أدعى لحصول الشقاق و التنازع وأجلب للفتنة . من هنا كان تهذيب الدين الحنيف هادفا لاجتناب مثل هذه الأمور نقرأ فى هذا المعنى قوله تعالى (**... و لاتجسسوا ولايغتب بعضكم بعضا)**[2] ناهيك عن السنة الشريفة وما فيها من توجيه طيب لهذا السلوك السيىء و نقرأ فى هذا قوله عليه الصلاة و السلام **(إياكم والظن .فإن الظن أكذب الحديث ولاتحسسوا و لاتجسسوا ولاتنافسوا ولاتباغضوا ولا تدابروا وكونوا عباد الله إخوانا .)**(٣) كما كره الإسلام التطفل و الاطلاع على الآخرين بحجة استطلاع أنباءهم وفى هذا يقول عليه الصلاة و السلام (**من اطلع فى بيت قوم بغير إذنهم فقد حل لهم أن يفقئوا عينه .)**(٣) ومن هنا كان شرعية الاستئذان و غض البصر وهوما يعنيه قوله عليه الصلاة والسلام (**إنما جعل الاستئذان من**

---

[1] أخرجه مسلم فى صحيحه . شرح النووى كتاب العلم . باب رفع العلم . الجزء السادس عشر . ص ٢٢٤

[2] سورة الحجرات الآية رقم (١٢) .

[3] أخرجه مسلم فى صحيحه . شرح النووى كتاب البر والصلة باب تحريم الظن و التجسس . الجزء السادس عشر ص ١١٩

(٢) نفسه - **كتاب الاستئذان**. باب تحريم النظر فى بيت الغير . الجزء الرابع عشر . ص ١٣٨ .

أجل البصر .)[1] كما رسم الإسلام الطريق أمـــام الإنســـان حيـث هذبـه و علمـه كيفيه استخدام حواسه في الحـــلال فقـط . أمـا المحـرم فـلا . قـال تعـالى (ولاتقف ماليس لكبه علم إن السمع و البصر و الفؤاد كل أولئك كان عنه مسئولا)[2]

سابعا : الإسلام يراعي التطور الزمني عند الإنسان

تتفاوت القدرة الاستطلاعية مـن طـور إلـى طـور فـالرضيع (يتعقب الأشـياء التي تعرض له في محيطه بحركات مـن عينيـه . كمـا يبـدو عجبـه مـن تبـدل تعبيرات و جهه مع شخص كبير إلى فحص الأشياء بكل مـا يملكـه مـن حـواس كالقبض عليها بيديه أو و ضعها في فمـه.) [3] فحركاتـه مبينـة علـى التجـاوب الحسي مع ما يراه من عالمه الجديد بذلـك يتجـاوب (الطفـل للمثـيرات بطريقـة ذات معنى و ينمو الخيال العقلـي البدائـي .) [4] ومـن مرحلـة الرضاعـة إلـى مرحلة الطفولة المبكرة و التي تبدأ من سـن عـامين إلـى سـتة أشـهر حيـث تتغير حالة الطفل إذ تنمو مداركه شيئا فشـيئا علـى سـبيل المثـال تنمـو لديـه قدرة (وضع الأشـياء فـي مجموعـات بسـيطة و التفكـير يسـوده الإدراكـات المباشرة . فهو غالبا يدرك جانبا واحدا مـن الموضـوع أو المواقـف كمـا أنـه لا يستطيع الرجوع لأصول الأشياء .) [5] ويقوى بعـد ذلـك انتبـاد الطفـل أثنـاء مرحلة الطفولة المتأخرة تقريبا من سن (٧-١١ سـنة) وفيهـا(يسـتطيع العـودة بالأشياء إلى أصولها و تصبح العمليات العقلية لديـه سـهلة و ميسـورة إلـى أن يصبح عنده القدرة على أن يتكيـف مـع مفـاهيم الأرقـام والتصـانيف المعقـدة

---

[1] أخرجه مسلم في صحيحه شرح النووي كتاب الاستئذان . باب تحريم النظر في بيت الغير . الجزء الرابع عشر . ١٣٦

[2] سورة الإسراء الاية رقم (٣٦) .

[3] علم النفس التعليمي – أحمد زكي ص ٦٣

[4] الطفولة و المراهقة . محمد حموده ص (٣٠) ط المطابع الفنية بدون تاريخ .

[5] نفسه ص (٣٣) .

للموضوعات) [١] لذا يرى علماء النفس من الباحثين أن على الأبوين المسئولية الكبرى فى توجيه فكر أولادهما مع مراعاة التفاوت العقلى ففى سن الطفولة يكون الجواب على السؤال من الأبوين متفقا مع مدارك الطفل ، ثم يتطور الجواب تبعا لتطور عمر صاحبه . كذلك يمكن مراعاة ذلك بالسماح للطفل بالبحث الذاتى فى ملابسه وفى ألعابه إلى غير ذلك مع المراقبة لحركاته وأفعاله،وإشعاره بالأمن مع الربط التفاهمى للأمور و بذلك ينمو خياله و تتسع مداركه . و يمكن مراعاة ذلك بتوجيههم إلى قراءة قصص الأنبياء و الصالحين والمصلحين ، ومن لهم فى التاريخ يد بيضاء فى صنع الحضارات و التقدم فى الحياة إلى غير ذلك من الأمثلة . هنا يجد الطفل أمامه القدوة كأنموذج يحتذى به بدلا من قراءة القصص الغامض والأسطورى والذى يؤثر فى نفسية الطفل ويجعله يتوهم أشياء لا وجود لها كالغول والشريرة [٢] ولا شك أن الإسلام كما علمنا دعا لرفعة العقل وتوجيهه إلى الهادف من الأعمال. كذلك دعا لتحرى القدوة فى شخص رسول الله صلى الله عليه وسلم .فقال تعالى (**لقد كان لكم فى رسول الله أسوه حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الأخر وذكر الله كثيرا .**) [٣] كما أن النهى عن الإفساد يشمل العقل وتحريره من الأوهام والخرافات التى تهدم ولا تبنى . وما أسرع تفتح طفل اليوم عن سابقه بسبب التقدم العلمى والذى جعل الطفل يستطلع أمورا عديدة عن طريق الأجهزة المختلفة وهذه الأمور منها الغث والثمين.لذا كان لابد من المراقبة من الآباء للأبناء فى تلك المراحل المختلفة حتى يمكنهم بذل الجهد والنشاط فى اكتساب المعرفة. [٤] ومن خلال ما سبق يتبين لنا أثر الإسلام فى تهذيب وتربية دافع حب الاستطلاع .

---

(١) الطفولة والمراهقة ص . ٣٤

(٢) راجع طفلك الصغير . محمد كامل عبد الصمد ص . ١٤٢ ط . دار الوفاء . الثانية ١٩٨٨م .

(٣) سورة الأحزاب الآية رقم ٢١ .

(٤)راجع علم النفس التعليمى . ص ٦٢ .